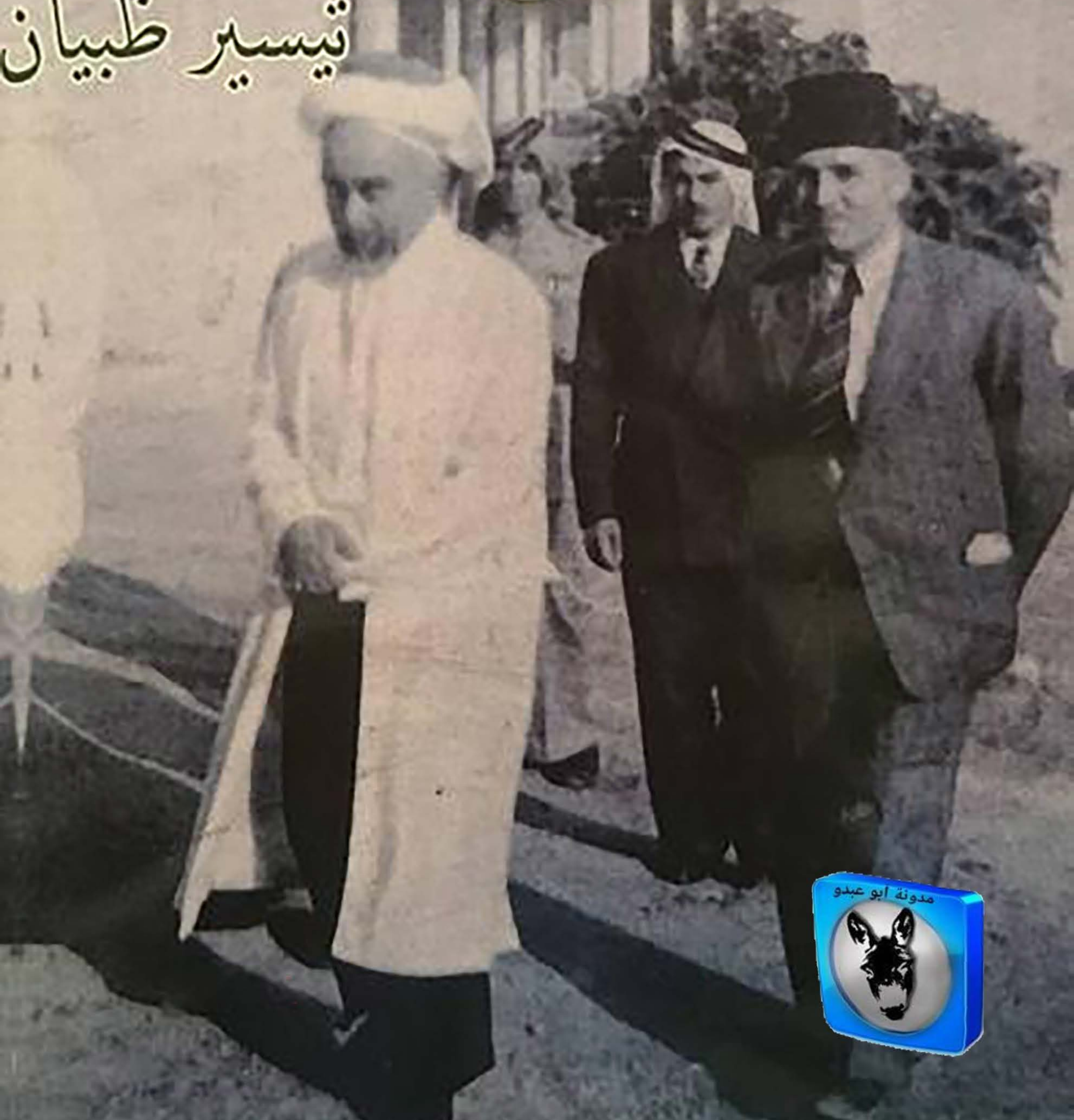
الملك عبد الله كما عرفته



بقلم . .

تيسير ظبيان



المَلِك عَبدُالله

كَمَا عَرَفتُهُ

بِقَلَمْ

تيسير ظبيان

مذكرات ووثائق وبيانات هامة عن حياة الفقيد

١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م

المطبعة الوطنية ومكتبتها ـ عمان

وسام فخر واعتزاز

البلاط الهاشمي

رئاسة التشريفات الملكية

الرقم ....

تاريخ

الموافق

تبرع ضيائه مصحح لوقف الزيارة

[illegible]



المغفور له الملك عبد الله بن الحسين

«كما عرفتـه»

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

فاما الزبد فيذهب جفـاء ، وامـا مـا ينفع الناس فيمكث في الارض ·

صدق الله العظيم

ان أسمى هدية يمكنني تقديمها الى بني قومي ، والى الاجيـــال العربية الصاعدة في هذه الظروف العصيبة التي التاثت فيها الامور ، واضطربت الاحوال ، وزاغت العقول ، وأظلمت النفوس ، وعميت البصائر ، واختلت الموازين ، وضاعت المفاهيم ، ومرجت العهود ، وسخمت الضمائر ، والتوت المقاصد ، وفسدت العقائد ، وتأرثت الفتن ، وتتابعت المحن ، وفي هذه الايام الحالكة التي تهفو فيها القلوب وتشرئب الاعناق الى فجر جديد ومستقبل باسم مجيد ـ هذا الكتاب الذي وددت أن أخلد فيه حياة شخصية عربية كبيرة كانت ولا تزال موضع الاعجاب والتقدير من بعض الناس ، وهدف التساؤل والتحامل من البعض الآخر ولا سيما من الذين لا يريدون أن يجشموا أنفسهم مؤونة البحث والاستقصاء وتحري الحقائق .

وكما سجلت بالامس حياة المغفور له الملك فيصل الاول في الكتاب الذي أصدرته بعيد وفاته بأسم (فيصل بن الحسين من المهد الى اللحد) فقد كتب علي أن أسجل اليوم حياة أخيه ساكن الجنان الملك عبد الله ابن الحسين في هذا الكتاب الذي أصدره بأسم (الملك عبد الله كما عرفته) ·

وبين العاهلين الكبيرين تشابه واتساق في كثير من النواحي الخلقية والنفسية ، وانسجام ووفاق في وحدة الهدف ووسائل العمل ، وكلاهما غصنا دوحة واحدة ونبعا أرومة واحدة ، وكلاهما نذر نفسه وكرس حياته لتحرير وطنه واسعاد بلاده وتوحيد أمتــه بالحكمة والسداد ، وكلاهما سقط صريعا في حلبة النضال ، وميدان الكرامة والشرف ·

وانني لاستميح قراء هذا الكتاب عذرا اذا ما اعتبرت نفسي (بكل تواضع بل بكل فخر واعتزاز) جنديا من جنود الرعيل الاول الذي حمل الامانة ورفع اللواء وواكب الاحداث منذ بزوغ فجر النهضة العربية ، وساهم بلسانه ويراعه وسلاحه في دعم هذه النهضة وارساء قواعدها وتعميق جذورها ٠

كما كان لي شرف المساهمة في خدمة هذه البقعة الطيبة من الوطن العربي واقامة كيانها فقد كنت في طليعة الوافدين اليها وأنا ما زلت يافعا وذلك عام ١٩٢٠ اثر معركة « ميسلون » المشؤومة التي أسفرت عن تغلب قوى العدوان والطغيان على القوى الوطنية الثائرة التي استماتت في سبيل الذود عن حياض الوطن المقدس والدفاع عن حرية سورية واستقلالها في عهد المغفور له الملك فيصل الاول ٠٠ وان لهجرتي الى هذه البلاد صلة بمعركة ميسلون المذكورة وبالاحداث التي رافقتها ٠٠ فقد تخرجت من الكلية العسكرية بدمشق في أيار سنة ١٩٢٠ برتبة ملازم ثان واختارني المسؤولون لانضم الى مرافقي وزير الحربية الشهيد يوسف العظمة ، وظللت أعمل تحت لوائه حتى نشبت الحرب ضد الفرنسيين ، فاستبقاني بدمشق المرحوم يسين الهاشمي الذي تولى القيادة العامة وألحقني بالهيئة التي تألفت للاشراف على الحركات الحربية

وانني لاذكر بهذه المناسبة كيف اجتاحت تلك القوى الفرنسية الغاشمة الوطن السوري ، وكيف دخلت مدينة دمشق دخول الغزاة الفاتحين ، وكيف توجه القائد العام لتلك القوات الجنرال غوروتوا الى ضريح الملك العادل صلاح الدين الايوبي لا لتحيته أو الاعراب عن مشاعر التقدير لبطولته بل ليشفي غليل أحقاده وليخاطبه بأسم اجداده الصليبيين قائلا : (ها نحن قد عدنا اليك يا صلاح الدين) ٠

ولقد أدمى هذا التحدي السافر قلب كل سوري ، وأثار حفيظة كل عربي ، مما استفز حمية شاعر العراق الكبير معروف الرصافي (وكان يقيم آنئذ في دمشق) فجادت قريحته بقصيدة عصماء يرد فيها على القائد المذكور أخذنا نرددها صبح مساء لانها كانت تعبر عن مشاعرنا واحساساتنا أصدق تعبير وقد جاء في مستهلها :



مؤلف الكتاب في لباسه العسكري
عندما نزح من سورية الى الاردن عام ١٩٢٠

رويدك غورو ايهـــا الجنـــرال لقد آلمتنـا من خطابك اقــوال
اتيت بلاد الشرق من بعد هدنــة قد اضطربت في المسلمين بها الحال

ومنهـــا :

وقلت عن الافرنج قومك انهـــم لابطـال هاتيـك المعارك انسـال
فهيجت حزنا كان في الشرق ساكنا وجددت عهدا منه في الشرق اوجال
ذكرت لنا الحرب الصليبية التي بها اليوم قد تمت لقومك آمـــال
اسات الينا بالذي قـــد ذكرتـه من الامر فاستاءت عصور واجيال
وتلك لعمري قرحة قد نكاتهـــا بما قلته فاهتاج بالشرق بلبـــال
فيا عجبا من امة قدت جيشهـــا تشابـــه كردينالهـا والجنـــرال
ولو اننا قلنا كما كنت قائـــلا لانحى علينا بالتعصب عـــــذال

ومنهـــا :

حنانيك ياقبر ابن ايوب فانصدع لينهض ثاو في مطاويك مفضـــال
اليك صلاح الدين نشكو مصيبـــة أصيب بها قلب العلـي فهو مغتال

في الميدانين

لقد وصلت الى مقاطعة اربد في أوائل أيلول عام ١٩٢٠ أي قبـــل قدوم سمو الامير الى معان ببضعة أشهر وكانت قد تألفت فيها فور انفصالها عن الوطن الأم حكومة محلية برئاسة القائد الكبير علي خلقي الشرايري ، كما تألفت في مقاطعات أخرى حكومات محلية مماثلة يديرها حكام وطنيون بالتعاون مع بعض المستشارين البريطانيين ٠

وقد سبق أن تعرفت على القائد المذكور في العهد الفيصلي حين كان يقود ثورة مسلحة ضد الفرنسيين والانكليز في القنيطرة ومنطقة الجولان وكنت قد التحقت بهذه الثورة مع نفر من زملائي طلاب الكلية الحربية في دمشق وناضلنا تحت لوائه ٠

وما كدت أدخل عليه في مكتبه حتى رحب بي أجمل ترحيب وكـــان يجلس الى جانبه شيخ من شيوخ القبائل مهيب الطلعة وقد عرفني بـــه قائلا : « هذا هو الشيخ سليمان السودي زعيم عشيرة الروسان ومن أعضاء المؤتمر السوري بدمشق » ٠

وبعد أن استمع القائد الى حديثي عن سورية والاوضاع فيها بعد الاحتلال الافرنسي وأسباب نزوحي منها قال لي :

انني واثق يا تيسير بأن الواجب المقدس الذي حملك على المجيء الى هذا الربوع هو نفس الواجب الذي حفزك في الماضي الى الالتحاق بثورتنا في القنيطرة ويمكنني أن اطمئنك بأن عددا من اخوانك المجاهدين الذين حكم عليهم الفرنسيون بالاعدام قد التجأوا الى هذه البلاد واختاروا الاقامة في قرية كفرسوم المتاخمة للحدود السورية ٠ وهم يستعدون لتنظيم الحركات المسلحة تمهيدا لاستئناف القتال ضد الافرنسيين في الوقت المناسب ٠ ونحن عاملون على شد أزرهم وامدادهم بما يحتاجون اليه من مال وسلاح وعتاد ٠ وأرى أن تتوجه اليوم الى قرية (سما) مع الشيخ سليمان السودي لتكون على مقربة من اخوانك وتتولى في الوقت نفسه مهمة التعليم في مدرسة القرية ٠

وقد ذكر لي السيد علي خلقي أسماء بعض اولئك المجاهدين المرابطين على الحدود السورية ومنهم الامير محمود الفاعور وأحمد مريود وأدهم خنجر وصادق حمزه ٠

فقبلت هذا العرض بكل ارتياح ومضيت في تأدية الواجب في الميدانين : التربوي والثوري ، حيث قمت بتأسيس المدرسة وتنظيم شؤونها وتعليم أبناء تلك القرية الماجدة ، والتعاون مع اخواني المجاهدين في تنسيق الحركات الوطنية ٠ وكانت تعقد الاجتماعات في مضافة الشيخ سليمان وتتخذ فيها القرارات اللازمة ، وكثيرا ما كان يحضرها القائد علي خلقي حاكم المقاطعة ٠

نبأ عن قدوم الامير

وفي يوم من أيام تشرين الثاني من العام المذكور زف الينا القائد علي خلقي في أحد هذه الاجتماعات نبأ اهتز له الجميع طربا وهو وصول الامير عبد الله بن الحسين الى بلدة معان (وكانت تابعة في ذلك الحين لحكومة الحجاز) على رأس قوة عربية للزحف على سوريا ، وطرد المستعمرين منها ، واعادة حريتها واستقلالها اليها ٠ وذكر ان وفودا كثيرة ستتوجه من سوريا والاردن وفلسطين الى معان للترحيب بالامير والاشتراك معه في الحركات القادمة ، وانه (أي علي خلقي) سيشخص أيضا الى معان على رأس وفد من شيوخ عجلون لمقابلة الامير والاتفاق معه على الخطوات السريعة للبدء بالعمل الوطني ٠

ويطالع القراء في هذا الكتاب تفاصيل وصول الامير الى معان ثم قدومه الى عمان حيث ألقى فيها عصا تسياره ، وحيث انصرف الى تأسيس امارة شرقي الاردن • وفي شهر آذار من عام ١٩٢١ تشرفت بزيارة الامير (لاول مرة) في المخيم الذي أقيم على احدى الروابي المطلة على محطة السكة الحديدية في ماركا ومن ثم بدأت زياراتي لسموه تترى ، واتصالاتي تتابع ، ورغم عودتي بعد ذلك الى دمشق فقد كنت أتردد من حين لاخر على الاردن الذي أحببته ، وشاءت الاقدار ان امضي في ربوعه شطرا كبيرا من سني حياتي ، وان اشهد ولادة هذا المولود الجديد ، وأن أحظى بشرف المساهمة في تنشئته وتتبع مراحل نموه والعيش مع أحداثه ، وسلخت بضعة وعشرين عاما في خدمته في مجالات : التربية والتعليم والجيش والصحافة ، كما كان لي شرف الاتصال الدائم بالرائد الاول الذي قام بكفالة هذا المولود العزيز ، والاشراف على تربيته وتكوينه ، والسهر على راحته ، وتزويده بكل ما يحتاج اليه من عناصر القوة والمنعة والتوعية والاستقرار •

وكان من أبرز ثمار هذا الاتصال اخراج هذا الكتاب الذي كنت أدون فيه بين الفينة والفينة بعض الذكريات والمعلومات والمشاهدات والانطباعات • وهو ينطوي أيضا على تسجيل لحوادث وقعت ، واخبار رويت ، وبيانات صدرت ، وتصريحات نشرت ، ومشروعات أنجزت ، وتدابير اتخذت ، ووثائق هامة كتب بعضها بخط الملك الراحل••

وعلى القارىء أن يستشف الحقائق من ثنايا السطور ، وعليه أيضا أن يميز بين الحق والباطل ، ويفرق بين الغث والسمين ، وان لا يكتفي بما

نشر في بعض الصحف والمجلات والكتب من بيانات وتعليقات تهدف الى اثارة الشبهات حول سياسة الملك الراحل والتنديد ببعض تصرفاته •• وقد اشترك مع الاسف في هذه الحملات المغرضة بعض المؤرخين وقد فاتهم أن التاريخ نفسه كثيرا ما يظلم الناس ، ويشوه الحقائق ويحرفها ، وكثيرا ما يداجي ويحابي ويضلل ويماري ، وكثيرا ما يجعل من الصنم آلها ، ومن الجمل فأرا ، ومن المحسن مسيئا ، ومن المجاهد خائنا ، ومن البر فاجرا ، ومن العبقري خاملا •

ولا غرو فالتاريخ انما هو عصارة تفكير واضعيه ، ومرآة ميول صانعيه ، وصدى لاهوائهم ونزعاتهم • وطالما اعتمد بعض المؤرخين على الاخبار الملفقة ، والشائعات المغرضة ، والروايات الموضوعة ، والتعليقات الباطلة ،

وربما كان للخصومات والاحقاد والخلافات المذهبية والسياسية والعقائدية أثرها النافذ في صياغة تلك الاخبار والشائعات والروايات والتعليقات . وهؤلاء المؤرخون هم على كل حال من طينة البشر يخطئون ويصيبون ، ويحسنون ويسيئون ، وكثيرا ما يقولون ما لا يعتقدون .

وقد أثبتت في هذا الكتاب أيضا خلاصة ما وقفت عليه من حياة الملك في مختلف المجالات : الدينية والادبية والسياسية . وموقفه من الانكليز والمستعمرين ، ونضاله من أجل الوحدة العربية وفي سبيل تحرير سورية وفلسطين ، وأقوال الكتاب والشعراء فيه ، وأهم الاحداث التي وقعت في عهده وختمت الكتاب بصفحات مطوية من حياة الفقيد كتبها بنفسه .

على أن هناك جوانب غامضة في حياة الملك السياسية كانت مصدرا لبعض الحملات التي أثيرت ، والاتهامات التي كانت تكال جزافا وبلا حساب ، وهذه الجوانب تتعلق بمفاوضات اليهود ومفاوضات رودس وتسليم اللد والرملة ، وبالنظر لعدم المامي بتلك الجوانب ، والملابسات التي أحاطت بتلك القضايا لانها تعتبر من قبيل الاسرار الرسمية التي أجهلها ولم أحاول البحث عن حقيقتها والوقوف على دقائقها فقد رأيت أن خير من ينبري للافصاح عن تلك الاسرار الزعيم عبد الله التل بطل معارك القدس الذي كان يتولى قيادة القوات الاردنية المسلحة في تلك المنطقة والذي أشغل بعد ذلك منصب الحاكم العسكري فيها ، فقد كان بحكم منصبه وبحكم اتصاله الوثيق بالملك الراحل مطلعا على دقائق الامور ، وملما بتفاصيل تلك الاحداث التي تعاقبت على فلسطين في ذلك الحين في المجالين : العسكري والسياسي ، وكان قد تغيب عن وطنه بضعة عشر عاما بسبب بعض الوشايات التي لفقت عليه بقصد الوقيعة واقصائه عن الملك الراحل ، ثم عاد بعد ان شمله العفو السامي ليقول كلمة الحق ويضع النقط على الحروف . عاد ليدافع عن كرامة وطنه ، وينافح عن سياسة باني هذا الوطن ومؤسس نهضته ، ويدحض التهم التي وجهت اليه في هذا المضمار . انه يفعل ذلك بوحي من ضميره وايمانه بعروبته ووفائه لبلاده . وقد نشرت رسالته عقب هذه المقدمة مباشرة والله أسأل أن يوفقني الى خير العمل ، ويجنبني مواطن الزلل ، وأن يغدق على الملك الراحل شآبيب رحمته ورضوانه ، ويسكنه فسيح جنانه ، وان يكلأ حفيده الحسين بعين عنايته ويسدد خطاه ليمضي قدما في السير على غراره ، وينسج على منواله ويقتفي أثره في أعماله ويجعل منه خير خلف لخير سلف .

عمان **تيسير ظبيان**

رسالة السيد عبدالله التل

بسم الله الرحمن الرحيم

فضيلة الأستاذ الجليل تيسير ظبيان حفظه الله ،

السلام عليكم ورحمة الله وبعد ، فإنه يسرني أن أكتب اليكم حول النقاط الثلاث التي ترون أنها بحاجة إلى إيضاح وتفسير ، حرصاً منكم على استكمال جوانب تاريخ الملك الشهيد المغفور له عبدالله بن الحسين - وهي اللد والرملة ، المفاوضات السرية ، معاهدة رودس :

وعن مأساة اللد والرملة أقول بأنها وقعت بعد انتهاء الهدنة الأولى في ٩ تموز ١٩٤٨ ونشوب القتال ثانية ، رغم تحذير القادة العسكريين الذين تنبهوا إلى التفوق العسكري اليهودي الذي أحرزه خلال الهدنة ، وكان جلالة الملك عبدالله على رأس أولئك الذين أدركوا ضعف الجانب العربي في الحرب وآثروا عدم تجدد القتال . بيد انه لم يؤخذ برأيه ، وقررت الجامعة العربية استئناف القتال رغم ان أوجه الضعف لم تعالج . ومن أخطرها يومئذ :

١ - عدم توحيد القيادة ، ولم تكن القيادة العامة التي أسندت لجلالة الملك عبدالله سوى عملية صورية خادعة

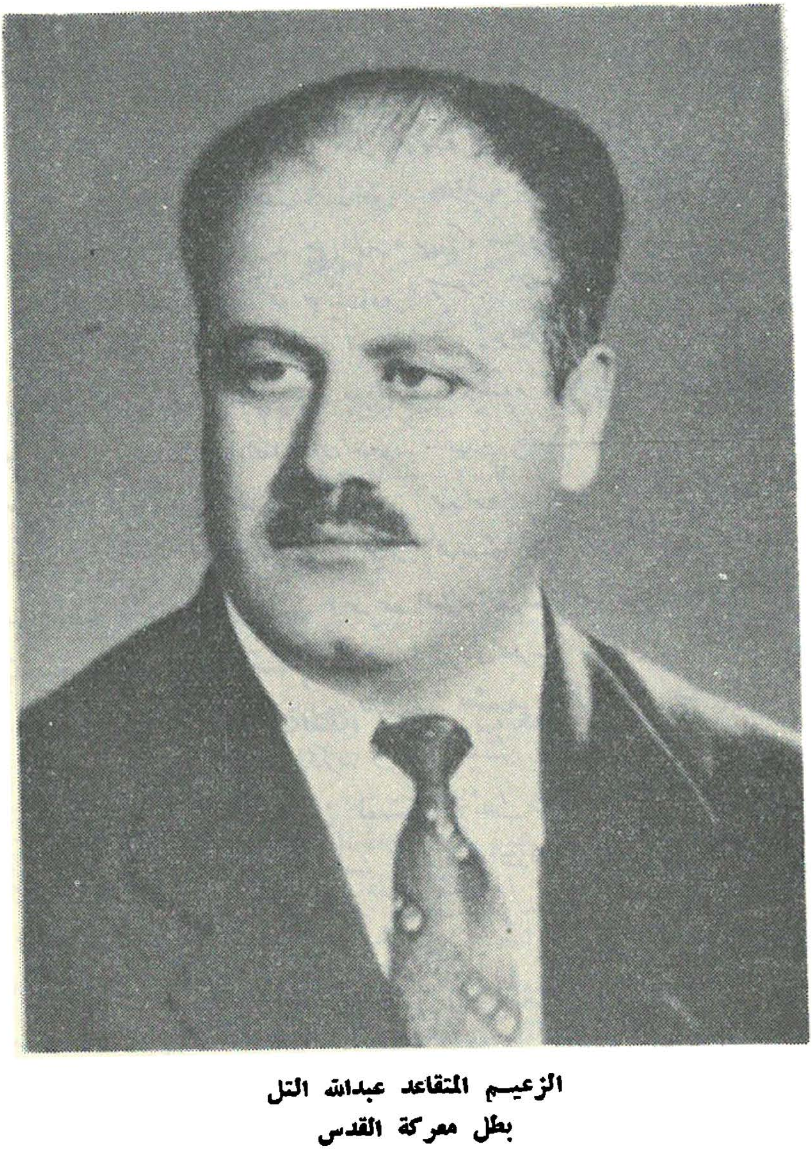
٢ - تغلغل النفوذ الأجنبي في كثير من البلدان العربية

٣ - عدم حشد القوى العربية الكافية لمواجهة القوات اليهودية بعد الهدنة الأولى .

ولقد شجعت هذه كلها اليهود على حشد قواتهم الضاربة أمام الجبهة الأردنية في اللد والرملة ، مستهزئين فرصة تفرقة القيادات العربية وتدهور معنوياتها . فضربوا ضربتهم ، واستولوا على المدينتين ، وأبعدوا الخطوط العربية عن عاصمتهم تل أبيب . ولم تكن للملك عبدالله أية مسؤولية في تلك المأساة ، والمسؤولية تقع موزعة على الجامعة العربية وحكوماتها المتنافرة وعلى الجنرال كلوب .

أما عن المفاوضات السرية ومعاهدة رودس فأقول :

حينما أدرك اليهود تفرقة كلمة العرب وتنافر حكوماتهم وتناحرها ، انفردوا بكل جيش على حدة . فبعد مأساة اللد والرملة وفرض الهدنة الثانية في ١٨ تموز ١٩٤٨ ، حشد اليهود قواتهم أمام الجيش المصري وأخرجوه من النقب . ثم انقلبوا على الجبهة الشمالية وأخرجوا القوات السورية وجيش الانقاذ من فلسطين . ثم حاولوا الاستيلاء على القدس القديمة التي كان لي شرف قيادة القوات المدافعة عنها . ولابد من أن أذكر هنا بأن اليهود



الزعيم المتقاعد عبدالله التل
بطل معركة القدس

قد انتصروا في جميع الجبهات باستثناء الجبهة الأردنية في القدس وباب الواد
وكان ثباتنا في الجبهة الأردنية مرتكزاً على حوافز معنوية عالية بثها
المغفور له الملك عبدالله في نفوسنا جميعاً، مما جعلنا نستميت في الدفاع
عن بيت المقدس وتحطيم هجمات موشي دايان وغروره، وهو الذي أصبح فيما
بعد بطلاً يهودياً عالمياً....!
ولما انفرد اليهود بالجيوش العربية كل على حدة، فقد انفردوا بالحكومات العربية
وأجبروها على المفاوضة لعقد هدنة دائمة في جزيرة رودس كل على انفراد.
لقد وقعت مصر اتفاقية الهدنة مع اليهود في ٢٤ شباط ١٩٤٩، ووقعت لبنان
في ٢٣ آذار، والأردن في ٣ نيسان، وسورية في ٢٠ تموز من العام نفسه.
وفي أثناء المفاوضات الأردنية اليهودية في رودس كشر اليهود عن أنيابهم
وطالبوا بإجراء تعديلات كبيرة على الحدود. وهددوا بالحرب إذا لم تتحقق
مطالبهم. ونقلت المشكلة إلى جلالة الملك وحكومته في عمان. فاستنجد
جلالته بالحلفاء من أمريكان وإنجليز فخذلوه ونصحوه بالموافقة على مطالب
اليهود. وتلفت الملك من حوله ليجد الجيش العراقي مصراً على الانسحاب
من فلسطين والعودة إلى العراق، ويجد القوى العربية ممزقة مهزومة، ويجد
حكومته ضعيفة واقعة تحت إرهاب الجنرال كلوب. فلم يجد جلالته بداً
من الاجتماع باليهود في محاولة للحد من جشعهم وأطماعهم. ولقد تم
الاجتماع بحضور أقطاب الحكومة وقادة الجيش، وهم المسؤولون عن
نتائج المفاوضات التي كانت تعتبر في تلك الأيام جبناً وتفريطاً،
ثم تثبت الأحداث التي وقعت في أيامنا هذه، بأنها كانت شجاعة
وحكمة أنقذت ما يمكن إنقاذه، وأدت إلى حفظ بيت المقدس والضفة
الغربية وقطاع غزة مدة عشرين عاماً.
وأحب أن نعلم أيها الأستاذ الفاضل، بأن جلالة الملك عبدالله كان
بعيد النظر، حكيماً شجاعاً في الذود عن أمته ووطنه، لا يهمهم بما
يقوله عنه فرسان الكلام الظالمون من بني قومه ولسان حاله يردد --

يعيّرني بالدين قومي وإنما ... ديوني في أشياء تكسبهم حمدا
وإن الذي بيني وبين بني أبي ... وبين بني عمي لمختلف جدا
فإن أكلوا لحمي وفرت لحومهم ... وإن هدموا مجدي بنيت لهم مجدا
وإن زجروا طيراً بنحس تمر بي ... زجرت لهم طيراً تمر بهم سعدا

ولا أحمل الحقد القديم عليهم   وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا

وختاماً أرى من العدل والإنصاف والواجب الوطني تفرض جميعاً على الأمة العربية أن تعتبر المغفور له الملك عبدالله بطلاً قومياً، ولو كان صنع التماثيل لتخليد الأبطال من ديننا وتقاليدنا، لوجب أن ينصب تمثال للملك عبدالله في كل عاصمة من عواصم البلاد العربية، ليظل رمزاً للصدق والتضحية وسداد الرأي والشجاعة الأدبية. تغمده الله برحمته الواسعة وحشره في زمرة الصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المخلص

عبدالله التل

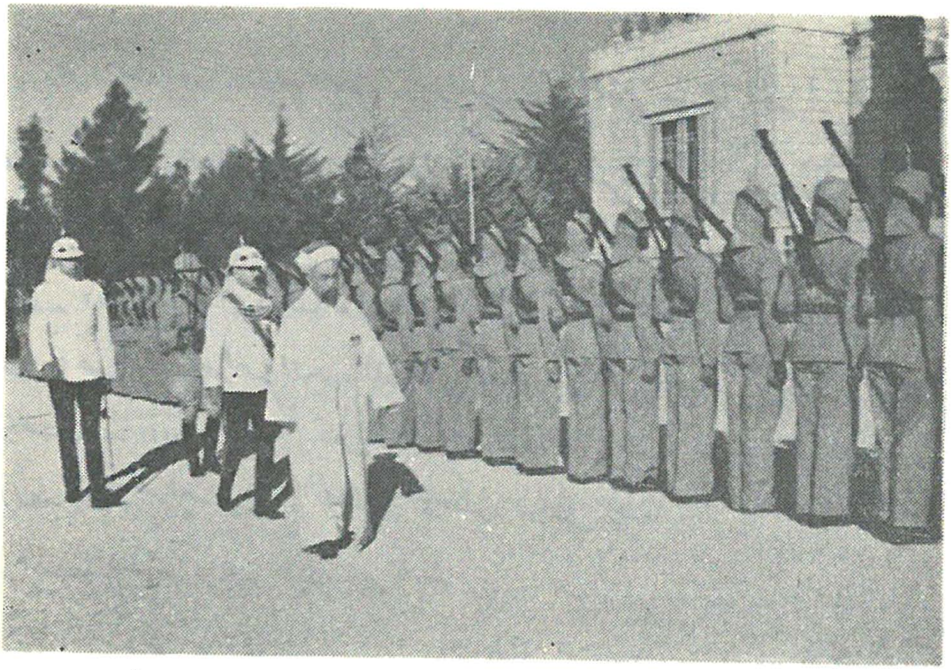
عمان ٢٦ ربيع الثاني ١٣٨٧

٢ آب ١٩٦٧

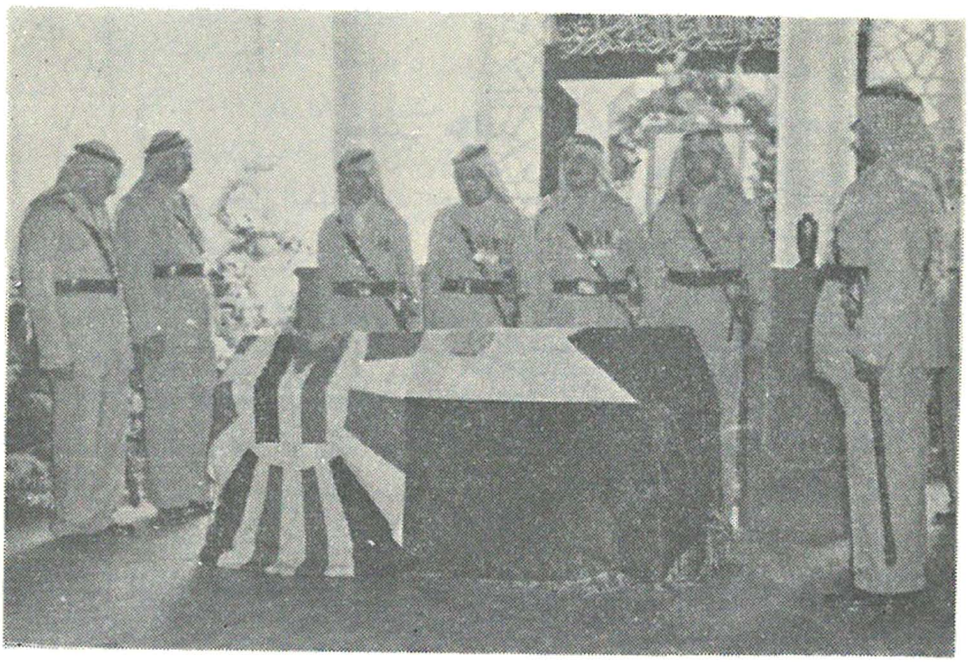
تعقيب مؤلف الكتاب

ان مؤلف هذا الكتاب اذ يعرب عن تقديره العميق لهذه الرسالـة الجريئة التي تلقاها من الزعيم التل بطـل معارك القـدس والتي توخى فيها اقرار الحقائق ودحض المزاعم والمفتريات يرى من واجبه أن يثبت فيما يلي قولا للملك عبـد الله عـن القضيـة الفلسطينيـة ومـا كـان يجابهه من صعوبات في تطبيق السياسة التي ينشدها . قال جلالتـه (رحمه الله) في الصفحة ٢٤٢ من مذكراته (طبعة عمان) :

وشهد الله انني لم أدخر وسعا في تنبيه رجال العـرب وممثلي حكوماتهم الى ما فيه النفع العام والمصلحة الوطنية وخير فلسطين بالذات ، ولكن الآذان كان بها وقر ، وتوالت الخسائر والاضـرار على فلسطـين وأهلهـا .



جلالة الملك عبدالله القائد الاعلى للجيش الاردني
يستعرض حرس الشرف في احدى الحفلات الرسمية



فريق من كبار ضباط الجيش الاردني يقفون خاشعين حيال ضريح قائدهم
الاعلى المغفور له الملك عبدالله وفوق رؤوسهم برزت الآية الكريمة
(ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا
بل أحياء عند ربهم يرزقون)

شخصية الملك

—=—

لقد أحببت الملك عبد الله لثلاث : صراحته ، دماثته ، صلابة عقيدته ٠ وأعجبني منه : صدق فراسته ، ودقة ملاحظته ، وسرعة بديهته ، وقوة ذاكرته ، وسلامة طويته ، وصفاء سريرته ، وحدبه على رعيته ، وسعيه لتوحيـد أمتـــه ٠

وأكبرت فيه : حسن توكله ، ورسوخ ايمانه ، وحرصه على شعائر دينـــه ٠

واستهواني : وقار مجلسه ، وطلاقة لسانه ، وطلاوة حديثه ، وغزارة علمه ، وسعــة اطلاعه ولا سيما في الدين والادب ٠

هذه السجايا والخصال والمواهب عرفتها بنفسي ، ووقفت عليهـــا نتيجة اتصالي الوثيق بالفقيد ، وغشياني لمجالسه ، واستماعي لاحاديثه وتصريحاته وتعليقاته ٠

وكان يتحلى بجميع الصفات والفضائل التي يجب ان تتوفر في المسلم الحقيقي : ايمان راسخ ، عقيدة متينة ، تمسك بالغ بأهداب الدين ، حرص شديد على تطبيق مبادىء الشريعة ، ممارسة لمختلف العبادات واداء للصلوات في أوقاتها ، ورع وتقوى وصلاح ، ابتعاد عن المباذل والمنكرات والمحرمات ، توقير لعلماء الدين ٠

كان ينهض مبكرا فيؤدي فريضة الفجر ويعكف على تلاوة القـــرآن الكريم وكان يستظهره عن ظهر قلب ، ثم يستقبل بعض أخصائه وافراد حاشيته فيبحث معهـم شتى المواضيع الدينيـــة والسياسية ، ويستمع باهتمام بالغ الى أخبار البلاد ، وشؤون العالم الاسلامي والوطن العربي ٠

وكان يمقت التدخين ولا يجرؤ أحد على تعاطي الدخان في حضرته ، ويترتب على كل من يحضر مجلسه ان يشترك معه في اداء الصلوات جماعة سوى شخص واحد كان ينتحل بعض المعاذير للتهرب من اداء الفريضة ولكن الفقيد كان ينظر الى تقصيره بعين الاستهجان ويعلم أنه ملحد وأنــه لا يقيم للقيم الروحية وزناً ٠

وكان يحب المرح والدعابة ويستمع الى النكت المستملحة والنوادر الطريفة التي كان يطلقها بعض رجال حاشيته وأخصائه ويعلق عليها • ويكره الوجوم والعبوس ، وقد زاره ذات مرة أحد الاطباء العرب الذين عينوا حديثا بمعية رئيسه الدكتور جميل التوتونجي فأخذ الفقيد يتحدث مع الدكتور جميل في بعض الشؤون الطبية وكان الطبيب الزائر صامتا لا يبدي رأيا ولا يحير جوابا فقال له الملك : مالك يا هذا واجما مقطب الوجه هل أنت مريض فأعالجك ؟ فتدخل الدكتور جميل وقال : يا سيدي انه متهيب من مجلس سيدنا وربما استبد به شعور المهابة فضحك الملك وأخذ يداعب الطبيب •

ومن ندمائه الذين كان يرتاح الى أحاديثهم ويعجب بنوادرهم ويقربهم اليه : الشيخ فؤاد الخطيب ومحمد الانسي والشيخ عبود النجار وعبد السلام كمال والشيخ مخلد وعبد الحميد السراج •

وقد انضم الى هذه الحلقة فيما بعد الوطني السوري المعروف فخري البارودي حين التجأ الى عمان عقب مطاردة الفرنسويين اياه في ابان الحرب العالمية الثانية •

وكان الملك يحب الفروسية ، ومغرما بركوب الخيل واقتناء الجياد ، وله في هذا الموضوع مؤلف خاص اسمه (جواب السائل على الخيل الاصائل) •

ومن هواياته المعروفة لعب الشطرنج ، ويعتبر من الابطال البارعين في هذه اللعبة •

وكان انسانا بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى رفيع ، وكان يحنو على أفراد رعيته حنو الام الرؤوم على أبنائها ويتألم لآلامهم ومما رواه لي أحد أفراد حاشيته أنه بينما كان عائدا ذات يوم من مشتاه في الغور في سيارته الخاصة اذا بقروي أسمر اللون رث الثياب يقف في الطريق ويعترض السيارة فأمر الفقيد السائق بأن يقف وخاطب القروي قائلا : ماذا تريد ؟ فأجاب أرجو أن تركبوني معكم الى السلط ، وهو لا يدري من يخاطب ، فسمح له الفقيد بالركوب وفي الطريق سأله الفقيد عما يريد ان يفعل بالسلط فقال القروي : ان معي كيسا من الحنطة كلفتني والدتي بأن أبيعه هناك واشتري به قمر الدين لاطعام اشقائي السبعة ونحن ايتام • فرق له الفقيد حتى اذا وصل الى السلط اوقف السيارة وطلب من قائد المخفر بأن يبلغ رئيس بلدية السلط عن لسانه باعطاء القروي مبلغا من

المال على حسابه الخاص . وما كاد القروي يسمع هذا الكلام حتى ادرك حراجة الموقف وأن الذي أركبه في السيارة هو أمير البلاد فأقبل على يديه يقبلهما وهو يضطرب ولكن الفقيد هدأ من روعه وطيب خاطره .

وفي اليوم التالي اتصل برئيس بلدية السلط للتثبت من دفع المبلغ ثم حوله اليه . وهناك قصص شتى من هذا القبيل يرويها بعض المقربين اليه وهي تنم عما يتأجج بين جوانحه من مشاعر انسانية كريمة .

وكان كريما الى أبعد حدود الكرم ، رغم ضيق ذات يده ، وله في هذا المجال مواقف مجيدة ، أذكر على سبيل المثال أن أحد الادباء كان قد وقع في عسر شديد وكتب اليه يستعطفه ، ولم يكن في وضع مالي يمكنه من تلبيه طلبه فاستمهله حتى تتهيأ الظروف المناسبة ، فاستاء الاديب وبعث اليه بكلمة عتاب شديدة اللهجة ختمها بقول المتنبي (أنا الغني واموالي المواعيد) ، فاستدعاه وقال له : لقد بخلتنا يا رجل ، والله لو كنا نملك القناطير من الذهب لوهبناها اليك اقرارا بفضلك ، ثم اتصل (رحمه الله) هاتفيا بأحد التجار وقال له : أقرضني ٢٠٠ دينار فأرسلها التاجر المذكور حالا ثم دفعها الفقيد بدوره الى الاديب .

وألقى أحد الشعراء ذات مرة قصيدة يمدحه فيها ويعدد مآثره ، وقد بلغ من اعجابه بالقصيدة انه أخرج ساعته الخاصة وكانت ساعة أثرية ثمينة وقدمها الى الشاعر قائلا (والله يا ولدي لا أملك سوى هذه الساعة) .

ولم يكن للمال قيمة بنظره ، حتى انه لم يكن يفرق بين الدينار والعشرة دنانير .

ولعل من أبرز سجاياه التي فطر عليها والتي كان يأخذها عليه خصومه صراحته البالغة ودفاعه عن وجهة نظره بحزم وعناد ، لا يوارب ولا يحابي ولا سيما في الشؤون الدينية والقضايا السياسية . وأعتقد أن صراحته هي التي أكسبته عددا لا يستهان به من الخصوم والاعداء وربما كانت هي الجانية عليه ، وكنت ألمس هذه الصراحة في مختلف التعليقات السياسية ، والاحاديث الخاصة التي كان يدلي بها ، وكانت تتجلى بنوع خاص في دعوته الى الوقوف الى جانب الحلفاء ، ومكافحة التيارات الشيوعية والالحادية ، واصراره على المطالبة بتحقيق الوحدة العربية ، والمناداة بمشروع سورية الكبرى والهلال الخصيب ، ورغبته في حل المشكلة الفلسطينية بالوسائل السلمية اما عن طريق التقسيم أو انشاء دولة مشتركة .

وكان يرى في الانكليز عدوا لا بد من صداقته ، وحليفا لا يمكن الاستغناء عن مساعدته ، وكان يعتقد ان العرب لن تقوم لهم قائمة الاعن طريق الوحدة او الاتحاد ، وان سورية بأجزائها الثلاثة (الاردن وسورية ولبنان) تؤلف وطنا واحدا لا يجوز تجزئته ، وأن الصهيونيـة داء وبيل لا يمكن استئصاله الا بعمل موحد وقوة جماعية ، وان الاحتجاجات والخطب والبيانات لا تجدي نفعا ولا تغني فتيلا اذا ظل العرب على ما هم عليـه من ضعف وفرقة واختلاف ٠

وان السياسة التي ينتهجها بعض الزعماء العرب لمعالجة قضايا شعوبهم لن يكتب لها النجاح لانها لا تستند الى خطط عملية مدروسة وهي تقتصر على استفزاز الجماهير واستثارة عواطفهـم ، واذكاء جذوة الحماس في صدورهم ، واخفاء الحقائق عنهم ، وكان يندد بتلك السياسة في مجالسه ويحمل عليها مما أثار حفيظة أولئك الزعماء عليه ٠

من اقوال الملك

* داء العرب الاساسي هو الترف والتمرد على الامراء ، ومن أسباب الانهيار : التفرقة واختلاف العقيدة والحسد والتدابر ٠

* ما العرب الا بالاسلام ٠ والثورة العربية التي قام بها والدي كانت ثورة حق للدفاع عن الاسلام ٠

* الامة العربية أشبه بجسم بلا رأس أو جسم له رؤوس كثيرة ٠

* الاسلام عقيدة راسخة ، وتاريخ حافل ، وشجاعة قوية ٠

* ليس يحزنني الا ما انتاب الامة من تفرق وضعف ووهن وما غشى على أبصارها من ضلالة وجهل ولكنني وطيد الامل في أن الظفر معقود لها اذا تدبرت أمرها ووعت تاريخها ، وشدت من عزمها ٠

* التفرقة تخيفني لانها مصدر كل خطر ٠

* والله ان الامة العربية لم تصل الى ما وصلت اليه من الضعف والانحلال الا بعد أن نبذ أبناؤها تعاليم الدين الحنيف ففسدت عقائدها وتدهورت أخلاقها ٠

* العرب في وضعهم الحاضر كالرجل المفلوج فلجا عاما ، فهو يشعر ولا يقدر على استعادة حركات أعضائه ، ومع ذلك لا يتألم لان خدر المفلوج جعله ولا ألم في أعضائه ، وفالج العرب أخلاقهم الحاضرة يرضون بالقليل ولا يسعون الى الكثير ، دأبهم التقليد وهمهم المتعة والتظاهر بالوطنية الخطابية ٠

* انني لم أترك فرصة تعزز كلمة قومي وتقربني من رضاء ربي في جميع تبعاتي الا انتهزتها لخير هذه البلاد ٠

* انني لا أتساهل مدة حياتي في أي اعتداء على شرف الانسانية ومخالفة الدين الحنيف ٠

* لقد أخذنا نشعر أن هناك مؤامرات تدبر في جنح الظلام لابادة أحرار العرب من رجال الساعة الاولى ٠

* لقد عرفت شعوب الارض أن التحكم هو الاصل الذي تقوم عليه النظريات الهدامة من شيوعية ونازية وفاشية ٠

* اليهود خطر دائم علينا قبل غيرنا من الاقطار العربية وأنا وشعبي واقفون لهم بالمرصاد ٠

* ما أنا الا رجل حجازي أبطحي أخدم العرب وأضحي في سبيلهم بنفسي ٠

* السياسة كالشطرنج انك لا تستطيع اقحام بنادقك بأراضي العدو ولكن عليك أن تنتهز المنافذ المناسبة ٠

* نحن لا نريد اغتصاب حقوق أحد لكن نأبى أن تتعرض حقوقنا للاغتصاب ٠

* ان أهل العلم هم القدوة الصالحة والنجوم الهادية ٠

* انني أخاطب الامة العربية بلزوم تناسي الاحقاد والادبار عن الانانيات والاعتراف بالفضل لاولى الفضل واتباعهم في الجليل والحقير ٠

* من أحب العرب جمع كلمتهم ووحد صفوفهم وساقهم الى خيرهم وحفظ لهم صبغتهم ومن كره العرب دعاهم الى التفرقة ٠

* الله واحد والامة واحدة والقصد واحد ٠٠ والكفر والشرك والاقليمية أخوة من النار والى النار ٠

* الا أن الشورى أصل من أصول الحكم عند العرب وقاعدة أساسية من قواعد الاسلام ٠

* نحن أمة ندافع عن وطننا وعن مقدساتنا مع احترامنا حقوق غيرنا ومقدساته ٠

* كل شيء مصيره للزوال ولا يمكث في هذه الارض الا النافع ، ولا يصح الا الصحيح ، ولا يرتفع في النهاية الا منار الحق وان للباطل جولة ثم يضمحل ٠

* العرب أمة مبتكرة لا أمة مقلدة ، والعرب أمة توحي الى الغير ولا يوحي اليها ٠

* لا تضيع أيها الجيل أوقات فراغك في قراءة روايات الجيب والمجلات السخيفة المليئة بالتصاوير الفاضحة التي تستحي أن تحملهـا الى بيتك .

* لا ريب أن الامم لا تصل الى غاياتها الا بالعقل ، والعقل يـكون بالنظام ، والنظام هو الذي يوصل الى الغاية المنشودة .

* أنا لست بالجبان واذا وقعت مصيبة فلا بد لي من الموت .

* ان اليقظة العامة والتيار الذي أوصل الامم الى حقوقها سيوصلكم الى حقوقكم .

* شهد الله انني لم أدخر وسعا في تنبيه رجال العرب وممثلي حكوماتهم الى ما فيه النفع العام والمصلحة الوطنية وخير فلسطين بالذات ، ولكن الآذان كان بها وقر ، وتوالت الخسائر والاضرار على فلسطين وأهلهـا .

* وضع الاسلام أساس لا حكم الا لله ، ولا عمل الا بالكتاب والسنة ، وبهذا جمع شتات العرب وأخضعهم للقانون الالهي .

* ان العرب لم ينهضوا نهضتهم المعلومة الا توصلا لغرض شريف ، وتحقيقا لآمال قومية مقدسة ، ودفعا لمظالم لا تطاق لحقت بهـم وبوطنهـم .

نشأة الملك

دوره في النهضة العربية ـ الزحف نحو سورية

ولد في منـزل الوحي وبجوار بيت الله الحـرام ، وتربى في دار الخلافة وعلى ضفاف البوسفور ، وأنشأ ملـكه في طريق الفتـح وموطن الاسراء ومهبط الرسالات ، وعاش في حلبة الذود عن حمى أولى القبلتين ، ولقي حتفه بين جدران ثالث الحرمين ·

في هذه الاجواء الزاخرة بالامجاد ومآثر الاجداد ، والمليئة بالمكارم العربية والفضائل الاسلامية والمقدسات الدينية والمناطق الحضاريـة تكونت شخصية (عبد الله بن الحسين) ·

ولد في مـكة المكرمة عام ١٨٨٢م وتعلـم القراءة والكتابة والقرآن الكريم ومبادىء العلوم على أيدي بعض الشيوخ وبعض علماء الدين ، وقد أمضى أيام صباه في الحجاز ثم سافر الى الاستانة ليلحق بوالده حيث تابع دراسته ، فتعلم التركية ومختلف العلوم العصرية على أيدي معلمين خصوصيين ·

ويقول الملك في مذكراته بأن سني اقامته في استانبول كانت سني عبرة واستفادة ·

وقد شغف بحب الآستانة وافتتن بجمالها وروعـة مناظرها وطالما أعرب في مجالسه الخاصة عن حنينه الى تلك الربوع ، والى الحياة الرغيدة الناعمة التي كان يرفل في حللها في عاصمة السلاطين · وقد ألمع الى ذلك في مذكراته اذ قال « أما الآستانة فرائع جمالها ، مقبول صيفها وشتاؤها ، ما أجمل ربيعها وأكثر ثمارها ، وأسهل مناخها ، جميلة حوت الجمال ، وحسناء فتنت الرجال » ·

ولا جرم بأن السنوات التي أمضاها في تلك الديار في شرخ شبابه كان لها الاثر الفعال في صقل مواهبه ، وتوسيع مداركه ، وزيادة معارفه ، وأكسبته خبرة ودراية ·

ثم عاد مع والده الى الحجاز بعد ان اسند اليه منصب امارة مكة ·

دوره في الحركة العربية

يخطيء من يزعم بأن الحركة العربية التي ذر قرنها في مستهل القرن العشرين كانت تهدف الى تقويض كيان الدولة العثمانية أو الانفصال عنها ، فلولا الحرب العظمى التي خاضت حكومة الاتحاديين غمارها بلا وعي ولا تفكير ، ولولا انحيازها الى صفوف الالمان ووضع مقدرات البلاد ومصيرها تحت تصرفهم ، ولولا ما اقترفه الحكام الاتراك في ذلك العهد من مظالم ضد العرب ، ولولا ما اجترحوه من آثام وارتكبوه من أخطاء وتصرفات شاذة في ادارة شؤون السلطنة أدت الى انتشار الفوضى والفساد في جهاز الحكم ــ لما فكر الحسين أو أي عربي في اضرام نار الثورة ضد دولة الخلافة ٠

لقد كانت مطالب أحرار العرب ، وأهداف الاحزاب والهيئات السياسية العربية تنحصر في رفع المظالم ، وانصاف الشعب العربي ومنحه بعض الحقوق المشروعة ، وادخال بعض الاصلاحات الضرورية في جهاز الحكم ، واعتبار اللغة العربية لغة رسمية في المناطق العربية ٠ ولما اندلعت جذوة الحرب العالمية الاولى هب جميع زعماء العرب وأحرارهم لنصرة دولة الخلافة وتأييدها والانضواء تحت لواء الجهاد المقدس ولكن طغاة الاتحاديين أبوا الا أن يتحدوا الشعب العربي ، ويقابلوا المشاعر الاخوية التي أظهرها قادته وزعماؤه في مختلف المناسبات بالعقوق والجفاء ، واثارة الاحقاد الدفينة ، وارتكاب المظالم الوحشية البشعة ، مما اثار حفائظ رجالات العرب وعلى رأسهم المغفور له الحسين بن علي وأنجاله فأعلنوها ثورة حمراء على أولئك الطغاة الغاشمين ٠

ويمكن القول بأن الملك لعب دورا رئيسيا هاما في النهضة العربية الحديثة وثورتها المباركة سواء في المجال السياسي او على الصعيد العسكري بتوجيه من والده العظيم الذي حمل لواء الثورة واطلق الرصاصة الاولى ايذانا باعلانها ٠

وقد هيأ له الجو الذي عاشه في الاستانة وفي مجلس النواب (المبعوثان) الذي انتخب عضوا فيه فرصة الاتصال برجالات الدولة العثمانية وبشباب العرب الاحرار الذين كانوا يقيمون في العاصمة ، ويعملون من أجل وطنهم وعروبتهم ، واستطاع ان يؤدي خدمات جليلة للقضية العربية ٠

وانك لتلمس صدى ما كان يعتلج في صدر الملك من شعور المرارة والاسى بسبب السياسة الملتوية التي كان ينتهجها حزب الاتحاد والترقي في تصريف شؤون الدولة واضطهاد العرب وذلك حين تطالع مذكراته فقد أعرب عن هذا الشعور بقوله : « فالاموال التي تجبى ، والمدارس التي تشيد وتبنى ، والطرق التي تفتح ، كل هذه الاموال العمومية التي تجرى عليها القوانين العثمانية ، فيما قرب من العاصمة وبعد من الولايات ، نقول أنه كان يصرف منها ثمانون في المئة على البلاد ، التي هي تركية محضة ، وما في هذا من الحيف مشاهد معروف ، ثم أن أكثرية الوزارة تختار من العنصر الحاكم ، وللعرب وزير واحد وهو وزير الاوقاف ، ومن الاقليات الاخرى يختار الصدر من أراد بالمناوبة ، وفي هذا ما فيه من حكم الناس حكما استبداديا تقوم به وزارة عنصرية » .

وقد اشاد السيد جورج انطونيوس في كتابه يقظة العرب بالمواهب التي كان يتمتع بها الملك والدور الهام الذي لعبه أثناء وجوده في الاستانة ومما قاله السيد انطونيوس في هذا الصدد ـ « كان الامير عبد الله ، الابن الثاني للحسين ، في مقدمة المبعوثين العرب في البرلمان العثماني ، وكان وهو ما يزال دون الثلاثين من عمره يتمتع بمكانة بارزة في الدوائر السياسية ، وكان منذ بداية حياته يمتاز على أقرانه بروحه المستقل واعتزازه بنسبه وتحمسه لمزايا قومه والدفاع عنها » .

ثم قال ـ (كان عبد الله متمتعا بشهرة واسعة وبمحبة الناس له ، وكان في ذلك متفوقا على أخويه تفوقا كبيرا ، وكان من ميزاته الكبرى جاذبيته الشخصية ، وكان يتعشق الشعر العربي ، الامر الذي حببه الى نفوس زملائه العاملين في القضية العربية) .

ولقد ساوره القلق حين أحس بسوء نية الاتحاديين نحو العرب ، وما يبيتونه من مؤامرات تتسم بطابع الغدر والبطش فأخذ يبحث عن شتى الوسائل التي يمكن بواسطتها تحريرها منه وانقاذها من الاخطار التي تتهددها فاتصل باللورد كتشنر الذي كان يشغل منصب المندوب السامي في مصر ، ، وبستورس من كبار الموظفين البريطانيين وبحث معهما الشؤون العربية ومدى استعداد حكومتهما لنصرة العرب فيما اذا اتخذوا موقفا حاسما للحفاظ على كيانهم ومجابهة الاخطار التي تتهددهم .

قائد شجـــاع

وحين أعلن والده (الحسين) الثورة على الدولة العثمانية برز الفقيد في حلبة الوغى كقائد بطل ومقاتل شجاع لا يشق له غبار ٠

ويتحدث الملك في مذكراته عن المهمة الخطيرة التي اسندت له في هذه الثورة ويصف الاعمال التي قام بها فيقول : ـ

« انه لما تقرر أن يكون اليوم التاسع من شعبان هو يوم النهضة ، أمرت بالسفر الى الطائف كي أقوم بأهم واجب في تلك الحركة ، وهو حصر فرقة عسكرية ، كانت أقرب القوات العثمانية الى مكة المكرمة ، مركز الحركة ومقر الشرافة وعاصمة الاسلام ٠ فوصلت الى الطائف في أول شعبان وليس معي سوى سبعين هجانا ، اذ ان كل القوات الهاشمية كانت أرسلت الى المدينة المنورة مع الاميرين علي وفيصل » ٠

وبعد أن ذكر ما دار بينه وبين الوالي ألتركي من الحوار حول الوضع الدقيق الذي كان يجتازه في ذلك الحين ، وما تم اتخاذه من التدابـــــير والترتيبات في الطائف قبيل اعلان الثورة ، استطرد قائلا : ـ

« وفي ٩ شعبان كانت الثورة في البلاد الحجازية ما عدا الطائف فان الهجوم قد وقع عليه في الحادي عشر من شعبان بسبب بعض النواقص ٠ وفي ليلة السبت الحادي عشر من شعبان ، في نصف الليل ، ابتدأ الهجوم من الجهة الشمالية التي كنت أدير حركاتها بذاتي » ٠

وبعد ان جمع القبائل وعبأ القوى واتخذ ما يلزم من الاجراءات الحربية السريعة ووزع الاسلحة التي تلقاها بدأ الهجوم على القـــــوات التركية بعنف وضراوة وحمى وطيس القتال بين الجانبين ، وقد استولـــى الحرس الامامي على رسول من القائد التركي بالطائف الى القائد التركـــي بمكة ، ومعه رسائل موجهة بأوامر الى القواد والى قائد القوة الامدادية بالمدينــــــة ٠

وقد جاء فيها « ان الشريف حسين قد أعلن العصيان ، وان قلعة الطائف والفرقة العثمانية تقاتل ببسالة ضد هجمات العرب الذين يقودهم الشريف عبد الله النجل الثاني للشريف حسين ، وأن مسؤولية هـــذه الحركة تقع على الشريف وانجاله » ٠

وبعد أن أحكم الحصار على القوات التركية تلقى من القائد التركـــي الفريق غالب باشا كتابا يستنجد به لكي يسمح للقوات التركية المحصورة

بالسفر الى المدينة المنورة بجميع اسلحتها فاعتذر اليه طالبا الاستسلام التام · ثم ما لبثت القوات التركية أن أذعنت واستسلمت ورفع العلم العربي فوق قلعة الطائف ، بعد ان انزل العلم التركي وقد جرى ذلك يوم (٢٣ أيلول سنة ١٩١٦) ·

ثم تقلد قيادة الجيش الشرقي العربي وكلف بمحاصرة المدينة المنورة وتضييق الخناق على القوات التركية المرابطة فيها وذلك في كانون الاول سنة ١٩١٦ بالاشتراك مع أخيه الشريف علي وقد استطاع ببراعته وحسن تدبيره أن ينقذ مدينة الرسول ويقضي على القوات التركية ، ويأسر قائدها ، والاستيلاء على مغانم كثيرة من أسلحة وذخائر وأعتدة ·

ولاجرم بأن هذين النصرين العظيمين اللذين سجلهما الفقيد في تاريخ الثورة العربية سواء في جبهة الطائف أو جبهة المدينة المنورة كان لهما الاثر الفعال في نجاح هذه الثورة واتساع نطاقها وابادة القوات التركية في أرض الحجاز ·

الزحف الى سورية

وبعد أن تكللت الثورة بالنجاح ، ووضعت الحرب أوزارها ، واستقرت الامور في الحجاز وفي سائر الاقطار العربية التي انسلخت عن الدولة العثمانية ـ أخذ الامير عبد الله يساعد والده في تصريف شؤون البلاد ولا سيما فيما يختص بالسياسة الخارجية وكان له في هذا المضمار القدح المعلى والباع الطويل والاثر النافذ · · ·

حتى اذا وقت الواقعة في سورية في صيف عام ١٩٢٠ ، واحتلت الجيوش الفرنسية دمشق ، وخرج الملك فيصل من البلاد اثر هذا الاحتلال لبى الامير عبد الله نداء الواجب ، واستجاب الى توسلات أحرار العرب في سورية والاردن فتحرك ـ تنفيذا لرغبة والده العظيم ـ من المدينة المنورة في شهر ت ٢ سنة ١٩٢٠ على رأس قوة من الاشراف والمتطوعين الى معان لنجدة الحركة الوطنية الملتهبة في سورية ·

وقد بادر فور وصوله اليها ووجه نداء الى زعماء سورية وقوادها وضباطها الى الالتفاف حوله فاستجاب نداءه عدد غير قليل منهم وخفوا الى مقابلته في معان وفيما يلي نص النداء المذكور :

الى كافة أخواننا السوريين

سلام · لا أجد في نفسي ادنى ريب واقل شبهة في أن أبناء الوطـــن السوري سيتلقون بياناتنا التالية بقلوب ملؤها التصديق والاخلاص · فليعلم أبناء سوريا أن ما أصابهم من الضياع المحزن من اعتداء رجـــال الاستعمار الافرنسي على وطنهم ومبادرتهم بسرعة فظيعة غريبة لهدم عرشهم في أول سعيهم لتشكيل حكومتهم التي وضعت أساسها على سياسة الولاء والصداقة لكل الامم على الاطلاق ، قد أثر عـلى حواس كل عربي على وجـه الارض · وفي الوقت نفسه نعلم علما يقينا أن أبناء سوريا الكرام هم من جملة المفاخر العربية وركن منإركان الجامعة القحطانية والعدنانية لا يرضون بالذل ولا ينقادون الى من جاء لاهانتهم في عقر دارهم ، وانهم لا يعذرون أبناء جنسهم اذا منعوا عنهم يد المعاونة والمدد في مثل هـــذه الآونة الخطيرة ·

كل عربي يعلم انكم يا ابناء سوريا تستنصرون وتستثيرون حميته ليأتيكم مسرعا ملبيا مقبلا غير مدبر · ومن حيث قد توالت علينا الدعوات وصخت اذاننا الصرخات ، فها انا ذا قد اتيت مع أول من لباكم لنشارككـم في شرف دفاعكم لطرد المعتدين عن اوطانكم بقلوب ذات حمية وسيـــوف عدنانية هاشمية ، ليعلم من اراد اهانتكم وابتزاز اموالكم واهانة علمكـــم واستصغار كبرائكم ان العرب كالجسم الواحد اذا شكا طرف منه اشتكى كل الجسم ، وان الله سبحانه وتعالى لم يترك الامة سدى بددا متفرقـة مفتونة بالباطل مغرورة بالكذب وواهن القـــول ·

ليعلم أبناء سوريا أن هؤلاء المعتدين قد عدوكم من جملة من ادخلوا تحت عـــار استعمارهم ، ووضعوهم في مصاف الزنوج والبرابرة ، وظنـــوا انكم لستم من ذوي الغيرات وأصحاب الحميات ·

كيف ترضون بأن تكون العاصمة الاموية مستعمرة فرنسية · ان رضيتم بذلك فالجزيرة لا ترضى وستأتيكم غضبى · وان غايتنا الوحيـــدة هي كما يعلم الله نصرتكم واجلاء المعتدين عنكم · وها انا أقول ولا حرج بأنني قد قبلت تجديد بيعة مليككم فيصل الاول عن الاكثرية الغالبة التـــي جددت تلك البيعة على يدي · وأني سأعود ان ابقاني الله حيا الى وطني يوم نزوح عدوكم من بلادكم · وعلي هذا اليمين بالشرف · وأمركم حينئـــذ وبلادكم بين يديكم · متعكم الله فيها بالعز والسؤدد والرفاهية والمجد ·

أتينا لبذل المهج دونكم لا لتخريب البلاد كما يفترى علينا ، وكفانا دليلا صدق بلائنا في الله والجنسية والوطن وتعريض النفس للاخطـــار

والمحن · وما وضعه عليكم ذلك المستعمر من الضمانات المثقلة اثـــــر اعتدائه عليكم لدليل لا يحتاج الى دليل ·

أتاكم ذلك المستعمر ليسلبكم النعم الثلاث : الايمان والحريـــة والذكورية ·

أتاكم ليسترقكم فتكونوا غير أحرار · أتاكم ذلك المستعمر ليأخذ منكم أسلحتكم فتكونوا غير ذكور ، أتاكم ليخيفكم بقوته وينسيكم أن الله بالمرصاد فتكونوا غير مؤمنين · لذا ندعوكم للحياة والاجتماع والـــذب عن الوطن وعدم الاصغاء لكل دسيسة تفل عزمكم وتبـدد جمعيتكـم · وأستعين الله لي ولكم فيما نحن بصدده ·

حرر في ٢٥ ربيع اول سنة ١٣٣٩

الامير عبد الله

موقف بريطانيا من هذا الزحف

على أن الحكومة البريطانية لم تقف مكتوفة الايدي ازاء هذه الحركة التحررية التي يتزعمها شبل الحسين بل حاولت أن تعترض سبيلـــه وتثنيه عن عزمه ، وتحول دون تحقيق مهمته ، فأوعزت الى ممثليها في فلسطين والاردن بأن يشيروا عليه بالعودة وعدم القيام بأي عمل عدائي ضد فرنسا ولكنه لم يأبه لتلك المحاولات بل عقد النية على المضي في طريقـه مهمـا كانت النتائج ، متكلا على الله ، وعلى تأييـــد السوريين والاردنيين ، وفي صباح يوم ٢ آذار من العام المذكور وصل الى عمـــان فاستقبل استقبال الفاتحين ، وكانت تلك القرية المتواضعة آنئذ (والتي أصبحت فيما بعد مدينة شامخة وعاصمة كبرى) تموج بالوافدين مـــن سورية وفلسطين ، وبشيوخ العشائر والقبائل يحدوها أمل واحـــد ، وتحفزها غاية مشتركة وهي تحرير سورية من نير الاستعمار ·

بيد أن الرياح جرت خـلاف ما يشتهي الامـــير الثائر وبعكس ما ينشده الزعماء الاحرار ، والمواطنون الشرفاء ، فقد وصل المستر تشرشل وزير المستعمرات البريطاني الى بيت المقدس في ذلك الحين فأعرب عـــن رغبته في مقابلة الامير ، وهناك في القدس عقد الاجتماع التاريخي بين الامير العربي والوزير البريطاني بحضور ممثلين عن الجانبين ، وبعـــد حوار

طويل دار بين الشخصيتين تم التفاهم على انشاء دولة في الاردن يرأسها سموه ويستعين في تنظيمها بمن شاء من رجالات العرب ، وقد فهم من الاحاديث التي دارت في هذا الاجتماع أن الحكومة البريطانية طلبت من الامير عدم القيام بأية حركات مناوأة للفرنسويين في الاراضي الاردنية ، وان من مصلحة الامير والاردن وسورية نفسها أن يجنح الامير الى سياسة الاعتدال ، فقد تحاول بريطانيا اقناع حليفتها (فرنسا) بعد أن تهدأ الامور بأن تمنح البلاد السورية استقلالها ، وتقيم فيها دولة حرة يرأسها الامير عبد الله ، ووعد تشرشل بأن يبذل نفوذه الشخصي في هذا السبيل ٠

وعلى ضوء هذه المحادثات التي اطلع عليها بعض زعماء الاردن وسورية تم الاتفاق على تشكيل أول حكومة وطنية في الاردن ، قوامها عدد من أحرار سورية الذين حكمت عليهم السلطات الفرنسية بالاعدام ، فأشغل بعضهم منصب الوزارة ، وبضعهم انضم الى الجهاز الحكومي ، وقد اوقف الجميع جهودهم على دعم ذلك الوضع القائم أملا بأن تتألف قوات محلية تدرب تدريبا عسكريا ، وتتأهب للمعركة الفاصلة رضي الانكليز أم لم يرضوا وبين الذين وفدوا الى عمان وساهموا في التعاون مع الامير في ذلك الحين وتأييد جهوده (من المدنيين) : رشيد طليع وحسن الحكيم وكامل القصاب وأحمد مريود وخير الدين الزركلي وسامي السراج ويوسف يسين ومحمد الانسي ورمضان البعلبكي وعادل ارسلان ونبيه العظمة وعوني عبد الهادي وأمين التميمي ومظهر رسلان وعمر شاكر وعباس ميرزا ومصطفى الغلاييني وعبد اللطيف شاكر وجميل شاكر وعثمان قاسم وأديب الصفدي ٠ ومن العسكريين : علي خلقي وغالب الشعلان ومحمود أبو راس وفؤاد سليم ومحمد علي العجلوني وجميل المدفعي ورشيد المدفعي وعبد القادر الجندي وطارق الجندي وأحمد صدقي الجندي وراضي عناب وجلال القطب وأديب وهبه وخليل ظاظا وعبد الله الريحاني وعبد الرحمن الجمل وصدقي القاسم وبهجت طبارة وعبد الهادي العرب وحسيب ذبيان وصبحي العمري ومحمود الهندي وسعيد عمون وشكري العموري ورشدي الصفدي وعبد الكريم الخص ومحمد توفيق النجداوي وصالح النجداوي وأحمد ابو راس ومحمود ابو غنيمة وخلف التل ومنيب الطرابلسي ومحمد حافظ معاذ وأحمد التل ومحمد جانبك وعارف الحسن وأحمد حلمي العلاف وعبد المجيد الهريسي وعبد الكريم المدفعي وصبري فريد البديوي وسعيد البابا ومحمد الجندي وشوكت العائدي وسليم السعدي وسيف الدين القائد وخالد آقبيق وبهاء الدين قباني وعبد القادر السمان وعمر المغربي وابراهيم صدقي وعوني

القضماني ومحمود أبو غنيمة وخالد الحكيم وأحمد استانبولي وصالح زكي وراشد عبد الهادي وحامد الوادي وداوود المدفعي ومحمود الشهوني وسعيد الطلال ونور الدين البرزنجي وزكي الادلبي ومصطفى الملي وعبد العزيز الجندي ورضا غويطين وسالم المظلوم وحسن كحاله وعبد السلام الكيلاني(١) ٠

ومن الاشراف : الامير شاكر وعلي بن الحسين الحارثي وحسين الشقراني ومحمد علي البديوي وجعفر ومنصور بن فتن وعقاب بن حمزة وعبد الرحيم اللهميق ٠

هذا عدا عن العدد العديد من زعماء الاردن وشيوخ العشائر ووجوه البلاد ٠

وقد انضم فيما بعد الى هذه القافلة : أحمد حلمي عبد الباقي وعمر زكي وعبد الستار السندروسي ومحمد الشريقي والدكتور تيسير الخاني والدكتور فؤاد البيطري وسعيد العاص وتيسير الدوجي وعادل العظمة وسعيد الكرمي وابراهيم هاشم ٠

موقف حزب الاستقلال

ان واجب الاقرار بالفضل ، والامانة للتاريخ ، والوفاء للاحرار المخلصين ـ يتقاضاني بأن أسجل لحزب الاستقلال دوره في ارساء قواعد هذه المملكة ، واقامة هذا الكيان ٠ فقد انضوى أعضاء هذا الحزب تحت لواء الامير عبد الله فور وصوله الى هذه البلاد ، وتعاونوا معه الى مدى بعيد في رأب الصدع ، وجمع الشمل ، وتنظيم النضال الوطني ٠

ومما هو جدير بالذكر أن رئيس أول حكومة تألفت في الاردن كان من أقطاب هذا الحزب وكذلك بعض أعضائها ، ويرى الكثيرون أن أعضاء الحزب لو استمروا حتى النهاية في مضمار هذا التعاون ولاذوا بالصبر والاناة لاسدوا الى هذا الوطن الصغير بل الى الوطن العربي الكبير أجل الخدمات ، ولحققوا لامتهم أسمى الاماني والاهداف بالنظر لما كانوا يتمتعون به من ماض مجيد وسمعة طيبة ، ومؤهلات عديدة ٠ ولكن كانت تنقص بعضهم النظرة الواقعية ، والحنكة السياسية ، والتجرد من أوضار الحزبية ، والانانيات الشخصية ٠

---

(١) يلاحظ أن هذه الشخصيات المدنية والعسكرية التي انضمت الى هذه الانتفاضة القومية تنتمي الى أقطار مختلفة : الاردن وسورية والعراق وفلسطين ولبنان ٠

وقد أدى تطرفهم وعنادهم ، واندفاعهم ، وتمسكهم بحزبيتهم العمياء الى نشوب نزاع بينهم وبين الامير من جهة ، وبينهم وبين الانكليز من جهة أخرى ، وقد استحكمت حلقات هذا النزاع ، وحمي وطيسه حتى بلغ حدا لم يعد بالامكان التغاضي معه عن بعض التصرفات مما أفضى الى اقصاء بعضهم عن الحكم ، واخراج البعض الآخر من البلاد .

وفي سبيل استيفاء هـذا البحث رأيت أن أفسح المجال في هـذا الكتاب لاحد أعضاء هذا الحزب (وهو الصديق المرحوم الاستاذ سامي السراج الذي كان يشغل منصب السكرتير العام لرئاسة الحكومة في ذلك العهـد) . كي يدلي دلوه في الدلاء ويدافع عن وجهة نظر اخوانه وتبرير سياستهم . وقد عالج أسباب هذا النزاع في مذكرات خاصة زودني بها قبل انتقاله الى دار البقاء اقتطف منها ما يلي خدمة للحقيقة والتاريخ قال :

... «وكانت الحكومة قد تألفت من رشيد بك طليـع (رئيسا) ومظهر بك رسلان (مشاورا[١]) للملكية أي الداخلية) وأمين بك التميمي (مشاورا للحقوق) وحسن بك الحكيم (مشاورا للمالية) ، وعين الامـير عادل أرسلان بعد عوني بك عبد الهادي رئيسا لديوان الامير والسيد الزركلي مفتشا للمعارف والسيد السراج سكرتيرا لمجلس المشاورين كما عين نبيه بك العظمة وجميل بك المدفعي محافظين لعجلون والـكرك ، ورشدي باشا الصفدي مديرا للامن العام .. وخالد بك الحكيم رئيسـا للمهندسين ، وفؤاد بك سليم رئيسا لاركان حرب الجيش ، وعدد من اخوانهم الوطنيين في مختلف أعمال الدولة الناشئة .

ويقول الاستاذ السراج في مذكراته : « وهنا يتساءل البعض لمـاذا تقبل هؤلاء الزعماء الوطنيون مناصب في هذه الامارة بعد ان وضحت غايات تشكيلها واستبانت الاسس التي قامت عليهـا ، تلك الاسس[٢] التي لا تأتلف مع مرامي الوطنيين وتفترق كل الافتراق عن المقاصد التـي جاؤوا لتحقيقها ؟ ألم يكن أخلق بهم أن يرفضوا هذه المناصب ويعتبروا مهمة الدولة التي ينشئونها مهمة غير محققة لآمالهم ، متباينة مع أغراضهم ، ثم يطالعون امتهم ببيان يكشف لها وجه الحقائق ويدلها على مواطن العـوج والالتـواء ؟

---

(١) أطلق على هيئة الحكومة اسم مجلس المشاورين (بفتح الواو) وقد اشغل الزركلي منصب سكرتير المجلس قبل أن يعين فيه السراج (٢) يقصد الاسس التي تم الاتفاق عليها بين الامير وتشرشل .

وأقول (والكلام للسراج) : « نعم لقد كان هذا اول ما فكر فيه هؤلاء الرجال وقد عقدوا لبحثه الجلسات وقلبوه على جميع الوجوه ، وقد كاد اجماعهم ينعقد على الانسحاب جميعا من المنطقة كما فعل الاخ عوني بك عبد الهادي الذي عاد الى القدس مستقيلا من رياسة الديوان الاميري ، ولم يحل دون هذا الاجماع سوى رأي تقدم به المغفور له رشيد بك طليع ذلك الرجل الواسع العقل ، الصادق العزم ، الراجح التفكير وكان مجمل رأيه : أن الاتفاق الذي تم بين الامير وتشرشل مدته ستة اشهر فقط فمهما يكن من مواد هذا الاتفاق فان بالاستطاعة اعتبارها فرصة لتأليف حكومة عادية في الظاهر ، ثورية في الباطن تتولى تنظيم المنطقة ، وتجمع حولها قلوب الاهلين من مدنيين وعشائر ، وترصد جانبا من الجباية لتأليف كتيبتين عسكريتين منظمتين على رأسهما قواد وطنيون ، عارفون بأصل المهمة فتكون الكتيبتان نواة لجيش مقاتل مؤلف من نظاميين ومتطوعين ورجال قبائل ، ثم تكون لهذا الجيش اعاشة منظمة وسلاح كامل مما يمكن جمعه من مخلفات اسلحة الجيش التركي الذي رحل عن البلاد وترك في أيدي الاهلين كمية من البنادق والرشاشات وبعض المدافع . « كما يجري السعي لجلب كميات من السلاح مما لدى الملك الحسين بمكة والامير علي ولي العهد بالمدينة المنورة . « ويضاف الى هذا ان الاخوان الذين قدموا الى المنطقة اكثرهم لا يملك مكان الخطوة الثانية اذا انسحب من عمان وغدا في مركز حرج وبخاصة ان هؤلاء الاخوان مبعدون من الديار ، أو محكومون بالاعدام من السلطة الفرنسية ، أو غير مرغوب باقامتهم في المناطق الخاضعة للنفوذ الانكليزي » .

ويتابع الاستاذ السراج كلامه عن موضوع انسحاب الاستقلاليين من البلاد فيقول : على انه ان تيسر لهم الانسحاب فسيقول الاكثرون انهم فروا من العقبات ، ولم يتحملوا الصدمات ، ثم ان انسحابهم يضع اقدار شرق الاردن تحت سلطة رئيس المعتمدين البريطاني ، ولهذه البواعث الهامة ليس من المستحسن ولا من علائم الرجولة أن ينسحب الرجال من مضمار الكفاح ويدعوا امور البلاد بين أيدي دعاة التردد والهزيمة وطالبي القوت من أي سبيل وعلى كل الموائد . . .

ويتابع الاستاذ السراج حديثه قائلا : « ذلكم كان رأي رجلنا الكبير رشيد بك طليع ، وقد استطاع بما أدلى من حجج ، وبما وهب من سداد منطق ، وبراعة اقناع ، أن يظفر من اخوانه بالموافقة على خطته هذه ، وبذلك آثروا البقاء على الجلاء ، وشرعوا في تنظيم أمور الدولة ، وملء هيكل التشكيلات بأقدر الرجال ، وأحكم الخطط ، وأقوم النظم فما مضت أشهر

حتى كانت حكومة الاردن الوطنية نموذج الحكومات المجاورة في اقرار الحق ، وتركيز قواعد العدل ، وتنسيق شؤون الجباية ، واقامة شبكة المواصلات ، وتعمير الجسور الخربة بفعل الحرب الماضية » ٠

ثم يتحدث الاستاذ السراج عن اعادة تشكيل حزب الاستقلال في عمان فيقول : « اجتمع أعضاء الهيئة العامة للحزب في عمان وانتخبوا هيئة ادارية من الامير عادل ارسلان وأحمد مريود وسامي السراج وخالد الحكيم وعوني القضماني وانتخبتني الهيئة سكرتيرا عاما للحزب ، وشرع الحزب في تنظيم أعماله فضم اليه فريقا من الرجال منهم السادة مظهر رسلان وسليمان السودي وناجي العزام ومثقال الفائز وحديثة الخريشة وحسين الطراونة وعبد الرحمن الرشيدات ٠ وتمكن المرحوم رشيد بك من حمل سمو الامير على الثقة بهذا الحزب والاطمئنان له ٠ فانقضت فترة قصيرة لم يقع خلالها تصادم يذكر بين الحزب والمقر ٠ وكانت الحكومة مؤلفة من رجال هذا الحزب فلما ساءت الحالة تقدمت للامير باستقالتها يوم ٢٣ حزيران سنة ١٩٢١ فلم يقبل الامير الاستقالة وطلب الى الحكومة سحبها أو على الاقل الاستمرار في الاعمال ريثما ينظر في الامر ٠ ثم أعيد تأليف الحكومة يوم ٣١ من الشهر المذكور من السادة رشيد طليع رئيسا والامير شاكر نائبا للعشائر ومظهر رسلان للمالية والعدلية والمعارف وغالب الشعلان مستشارا للقيادة العليا وقد رفض نبيه بك العظمة ـ وقد كان متصرفا في عجلون ـ تعيينه وزيرا للداخلية كما استقال بعد ذلك من منصبه كمتصرف ٠ وعين علي خلقي بك مرافقا حربيا للامير ورشدي باشا الصفدي مديرا للامن والانضباط (كذا) وقد استبدلت كلمة مشاور بكلمة مستشار كما استبدل اسم (حكومة شرق الاردن) باسم (حكومة الشرق العربي) لكي يعم معناه الفكرة الاصلية المتوارية وراء هذه الحكومة ٠ وعلى أثر تشكيل هذه الهيئة عين الامير عادل ارسلان رئيسا للديوان الاميري وبادر سمو الامير الى تعيين محمد افندي الانسي كاتبا خاصا له (وهنا يحمل الاستاذ السراج حملات عنيفة على السيد الانسي ويندد بمؤهلاته وتصرفاته) ٠

ثم يستطرد السيد السراج قائلا : « وقد اجتمعنا (يعني أعضاء الحزب) يوم ١١ آب سنة ١٩٢١ وقررنا مفاتحة الامير بالقضية الوطنية وتحديد يوم معين للقيام بحركة عامة لانقاذ الوطن المحتل (أي سورية) وتهيئة الوسائل اللازمة للبدء بالعمل وتأليف قوة بدائية لا تقل عن ألف مقاتل ، وتنسيق الدعاية في الخارج لهذه الحركة ، وجلب بطارية مدفعية من الحجاز مع كمية من العتاد والبنادق ٠ وانتقلنا عشية الى مضرب الامير فتولى الاخ رشيد طليع الكلام فأجاب بأن الوقت لم يحن بعد لتعيين

موعد الحركة المطلوبة ووافق على ايفاد شخصين الى مكة لبسط الامر الى والده ، كما وافق على رصد مبلغ من مخصصات المقر للدعاية الخارجية ·

ثم يختم الاستاذ السراج مذكراته بالاشارة الى حادث الاعتداء على الجنرال غورو المفوض السامي في سورية ولبنان والذي أسفر عن جرح حقي بك العظم حاكم دولة دمشق ومصرع مرافقه العسكري ، وكيف اتهم رجال حزب الاستقلال بتدبير هذا الاعتداء وكيف اتخذه الانكليز ذريعة للضغط على سموه لتسليم بعض المعتدين والمحرضين من أعضاء الحزب الى السلطات الفرنسية ، وأن عدم اتخاذ اجراءات شديدة ضد الحزب يعتبر خرقا لبنود الاتفاق بين سموه والمستر تشرشل ، وكان من نتائج هذا الضغط وذيوله أقصاء رشيد بك طليع (زعيم الاستقلاليين) من منصب رئاسة الحكومة ، ثم الاستغناء عن عدد من الموظفين المدنيين والعسكريين المنتسبين لحزب الاستقلال ·

وبالتالي تم اخراج بعض زعماء الحزب من البلاد عقب الانذار الذي وجهه الانكليز في آب ١٩٢٤ ، وبقي البعض الاخر بعد أن أخذت عليهم العهود بأن لا يقوموا بأي نشاط سياسي ·

بنـاء دولة وانشاء كيان

ان بلادنا هذه وان تكن صغيرة في حدها فانهـا لكبيرة بآمالها وجدها ، وخليقة بأن تبذل المهـج والارواح من اجلها ، وتحقيق ما يجدر بنا وبهـا من شرف وسؤدد ، واستقلال موطد

عبد الله بن الحسين

ما كاد الامير عبد الله يستقر في شرقي الاردن حتى انصرف الى اقامة كيان الدولـة ، وارساء قواعدها وتنظيـم شؤونها ومرافقها ، واستطاع بفضل السياسة التي انتهجها أن يؤسس دولة عربية تكاد تكون نموذجا فريدا في العالم العربي وكان يساعده في ذلك نخبة من أصحاب المواهب والكفاءات من رجالات الاردن وفلسطـين وسوريـة والعراق والحجاز . وكان في جميع مواقفه وأعماله وتصرفاته مثال القائـد الموجه ، والرائد الملهم ، والاب الرحيم .

وفي غضون الثلاثين عاما التي أمضاها في هذه البلاد خطا بها خطوات حثيثة في مضمار التقدم والازدهار ، ونأى بها عن خضم المنازعات السياسية والخصومات الحزبية والتيارات العقائدية والاندفاعات العاطفية ، وألف بين مختلف فئات الشعب وبسط ألوية العدل والاخاء ، ووطد دعائم الامن والاستقرار ، وركز أسس الحياة الدستورية مرحلة تلو الاخرى ، مـع حرصه البالغ على تطبيق المبادىء الاسلامية والتمسك بالقيم الروحيـة والتقاليد العربية الى أبعد مدى ، ولم يدخر وسعا في تحسين اقتصاديات البلاد وتنشيط الحركة التجارية والصناعية والعمرانية ، وتنظيم طـرق المواصلات على أوسع نطاق ... ، وتنسيق العلاقات وتوثيق الروابط مع الاقطار العربية والدول الكبرى .

وبفضل السياسة الحكيمة التي انتهجها الملك في تصريف شؤون الدولة ، وتوجيه رجال الحكم ، تم تحقيق عدة مشروعات اقتصاديـة وعمرانية ، وأخذت البلاد تنعم بوضع ثابت يخيم عليه الهدوء والاستقرار ، ويسوده التقدم والازدهار مما جعل أفئدة من الناس تهوي الى هذا الوطن العربي الصغير ، ومما حفز الاحرار والمجاهدين من شتى أقطار العروبة للالتجاء اليه واتخاذه موئلا وملاذا .

الجيش الاردني

لقد تم تجهيز جيشنا الفتي الباسل بأحدث الاسلحة الحربية والمعدات الفنية ، وتقيم في فلسطين حامية من هذا الجيش كما تقيم حامية اخرى في العراق

عبد الله بن الحسين

ولقد بادر منذ تقلده زمام الامارة الى تأسيس جيش منظم • وتألفت بادىء بدء قوة الدرك والسرية السيارة والكتيبة النظامية وقوة الهجانة سنة ١٩٢١ ، وكان السيد علي خلقي أحد أركان الوزارة في ذلك الحين ويطلق عليه اسم (مشاور الامن)(١) مشرفا على هذه القوات ثم أخذت هذه القوات الصغيرة تنمو وتتضاعف في عددها ومعداتها وتجهيزاتها بفضل رعاية الامير ومقدرة القواد والضباط والجنود من العرب من اردنيين وسوريين وفلسطينيين حتى أمكن تكوين جيش عربي يشار اليه بالبنان من حيث تنظيمه وتدريبه وبسالة أفراده ، وقد أدى هذا الجيش واجبه على الوجه الاكمل في اقرار الامن ، وقمع حركات العصيان والتمرد ، وصد العدوان الاجنبي عن البلاد ، ولعب دورا هاما في ساحة القتال في العراق وسورية وفلسطين ، وكانت له مواقف بطولية خالدة في المعارك التي دارت بينه وبين اليهود حيث شن الهجمات الكاسحة على القوات الاسرائيلية منذ عام ١٩٤٨ وكبدها خسائر فادحة في تلك المعارك الضارية وقد تمكن هذا الجيش الفتي من الحفاظ على عروبة القدس القديمة ، والقضاء على فلول اليهود الذين كانوا يقيمون في بعض أحيائها ، وتطهير المقدسات الاسلامية والمسيحية من أرجاسهم وتحرير أجزاء هامة من أرض فلسطين (كما سيأتي) •

وقد بلغ به حبه لجيشه ورعايته له وغيرته عليه أنه أطلق عليه في أيامه الاخيرة أسم (الجيش المصطفوي) وكان يزور وحداته ، ويشهد مهرجاناته ومناوراته ، ويشرف على حركاته •

وكان يشيد في كل مناسبة رسمية وغير رسمية ببطولة أفراد الجيش وحسن تدريبهم وقوة بأسهم •

---

(١) لقد استدعاني السيد علي خلقي حينما تولى شؤون الامن الى عمان وأعادني الى الجيش واختارني مرافقا له بيد انني لم استمر في هذا العمل سوى بضعة اشهر فقد آثرت مهنة التعليم على الانتظام في السلك العسكري •

النهضة التعليمية

المدرسة هي الدار التي يهيأ بها الرجال والنساء ليكونوا المجموع

عبد الله بن الحسين

أما النهضة التعليمية فقد أولاها عنايته القصوى ، فقد كان الجهل قبل انشاء الكيان الاردني يخيم على سكان البلاد ، وكان أبناء الشعب الاردني مضطرين في العهد التركي الى ارتشاف مناهل العلم في معاهد سورية ولبنان والاستانة · وقد أمر منذ ألقى عصا تسياره في هذه الربوع بوضع نظام (التدريسات الابتدائية) وبموجبه يغرم الآباء الذين يمتنعون عن ادخال أبنائهم الى المدارس الحكومية ، وان تقدم الكتب المدرسية للطلاب والطالبات مجانا ، وأن لا يرهق المعلمون الطلاب في الالتزامات التي تثقل كواهلهم ·

وبناء على توصية سموه عمد المسؤولون في ادارة المعارف الى استقدام المعلمين من البلدان العربية الشقيقة كفلسطين وسورية ولبنان ومصر واعتمدت الكتب المدرسية المقررة في هذه الاقطار ··· وكان يطوف في جولاته على المدارس ، ويتفقد سير التعليم ، ويلقي أسئلة على الطلاب ، ويسدي الى المعلمين والتلاميذ النصائح والتوجيهات الرشيدة ، كما كان يحض الاهلين على تعليم أبنائهم ·

وقد بلغ من توفيره لرجال التربية والتعليم أنه كان يدعو مثلا معلمي المدرسة الثانوية في السلط (باعتبارها اولى مدارس الاردن في ذلك العهد) الى تناول طعام الافطار في شهر رمضان المبارك على مائدته الكريمة ويناقشهم في شتى الموضوعات والمباحث العلمية والادبية ·

وكان له آراء ونظريات خاصة في مناهج التعليم وأساليبه فكان يرى أن التعليم الديني يجب أن يقوم على بث روح التعاون بين ابناء الشعب ، وأن يعتقد المسلم بأن المسلمين والعرب أسرة واحدة ، وكان يطلب من أساتذة دروس الاجتماعيات (مثلا) أن يعملوا على تقوية الشعور الوطني ، وغرس الروح القومية في نفوس الطلاب ، وأن لا يدخروا وسعا في اعطاء طلابهم صورا صحيحة عن مفاخر أجدادهم وأمجادهم ·

وبفضل توجيهاته وتشجيعه للعلم ازدهرت النهضة التعليمية في

البلاد(١) ، وأصبحت مدارس الاردن تضاهي سائر المدارس في البلاد الشقيقة وربما تفوقت عليها ، وازدادت نسبة المتعلمين ازديادا مطردا ٠

توجيهات سامية

وبهذه المناسبة نثبت فيما يلي نص الكلمة التي تفضل الامير بتوجيهها الى وزارة المعارف بعنوان (المدرسة) في آذار عام ١٩٤٠ وقد أرسلت الوزارة بيانا الى مديري المدارس وأساتذتها تلفت نظرهم الى وجوب اتخاذ هذه النصائح منهاجا يسترشدون به في اداء الواجبات الخطيرة المترتبة عليهم :

المدرسة أنشئت لتكون مصدرا للخيرات والبركات ٠ ينزلها الله على البنين والبنات من كل أمة تتهيأ لتخوض غمار الحياة بين الامم التي تستحق أن تنعت بالامم ٠ المدرسة أنشئت للتهذيب الروحي والثقافة الحقيقية ، أنشئت لتقويم المعوج ، وأسست لتفرق بين الصالح والفاسد فتحتفظ بالاول وتبقيه ، وتقذف بالآخر فترميه ٠ المدرسة هي البيت الحقيقي للنشء به يعالج الشخص أو يخيب ، المدرسة هي الدار التي تتهيأ فيها الرجال والنساء ليكونوا المجموع الذي سيبقى على البلاد ومن بها ويزيدها ازدهارا وثباتا وقوة ٠ المدرسة تعلم الانسان من هو ومن أبوه ومن قومه وما هي بلاده ، المدرسة تعد الشخص ليعرف دينه وعقيدته ومنشأه ٠ فالمدرسة هي الحصن الحصين الذي يرتكز عليه المستقبل والاصل في تعليم الاخلاق ومبدأ الاخلاق الطاعة ، فعلى التلميذ أن يعلم قبل كل شيء بأن أول شرط للتعلم هو الطاعة فاذا تحلى بها اقتدر وتمكن من تلقي العلم بذهن نقي وقلب صادق وفي ومتى حصل له هذا نعت بأنه التلميذ المطيع المجتهد فشكره معلموه وافتخر به ذووه وربما أوتمن على من هم دونه في أن يكون قدوة لهم ومرشدا ، والمدرسة هي الركن الذي تفاخر به ادارات المعارف من وزيرها الى أصغر موظف فيها ، فمتى أحرز التلميذ المنتسب الى أي فرع من فروع دور التعليم من ابتدائية أو ثانوية أو عليا شهادة المدرسة بنجاح كانت لادارة المعارف

(١) أطلعني السيد صياح الروسان وكان يشغل منصب وكيل وزارة المعارف في عهد الملك عبد الله على تقرير أعده عن الحركة التعليمية في الاردن جاء فيه أن عدد المدارس في شرق الاردن في العهد العثماني لم يتجاوز أربع مدارس رشدية (اعدادية) وعشر مدارس ابتدائية ، وحين تأسست الامارة أصبح في الاردن مدرستان ثانويتان كاملتان عام ١٩٢٥ وفي عام ١٩٥١ بلغ عدد المدارس الثانوية والاعدادية والابتدائية ١٤١ مدرسة وعدد الطلاب والطالبات ٥٢٨٢ وعدد المعلمين والمعلمات ٤٧٦ علاوة على دور المعلمين والمعلمات والمدارس الصناعية والمدارس الاهلية والاجنبية ومدارس الجيش والاوقاف ووكالة الغوث

الحصة العظمى بذلك النجاح الشخصي · واذا لم ينجح الطالب أو أضاع بعض مزاياه البيتية واكتسب شيئا مما لا يرضي من الاخلاق كانت لادارة المعارف الحصة العظمى من هذا التقهقر أيضا ·

فعلى المسؤولين عن المعارف من نظار ومفتشين ، وعلى رؤساء ومدراء المدارس والمعلمين أن يتحققوا من أن الحصة المالية المخصصة للمعارف من خزانة الامة انما ترصد لتحقيق الاغراض الحقيقية للتربية والتهذيب والتعليم · ولما كان انفاق هذه الاموال قد يترتب عليه الفشل أو التوفيق في المستقبل فان ادارات المعارف الصالحة هي التي تعمل في سبيل ضمان التوفيق لا الفشل ·

والمعلم هو بمقام الاب لكل تلميذ ومتى عرف المعلم هذا اجتهد لتلقين طلابه ما هو مؤول اليه بحق وصدق ومتى علم التلميذ بعد التلقين أن معلمه هو بمثابة الوالد منه احترمه ولجأ اليه وأطاعه · وبهذا الشكل وبهذه الروح من التعاون بين المعلم والتلميذ تكون ادارة المعارف قد خطت أول خطوة لايجاد نشء من الذكور والاناث تستند عليه الامة والبلاد في مستقبلها ·

والناس ليسوا في درجة واحدة من الاخلاق والاستعداد والذكاء والتفاوت معترف به ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم (الناس كابل مئة لا تجد فيها راحلة) فعلى رجال المعارف توجيه الطلاب الى حيث استعدادهم الفطري وليس للوالد أن يقرر ادخال ولده الى مدرسة الطب أو الى المدرسة العسكرية أو أب يقول : سأعلمه الكيمياء أو الهندسة أو غير ذلك بل الخير كله أن يترك تقرير مصير ولده لما فطر عليه هذا من الميل والاستعداد ولا يعين هذه الميول الا المعلم وهيئة المدرسة مسترشدين بأنظمة المعارف وبرامج التعليم ·

ان دعامة المدرسة النظام فبالنظام يطبق القانون وبالنظام تسود الطاعة فيتخرج الطالب وتتخرج الطالبة عارفين ملمين بما كان فيه وما صارا اليه وما يطلب منهما في المستقبل ·

وبهذا تتكون الامة على نظام واحد وعقلية واحدة واتجاه واحد وبهذا يوضع الحجر الاساسي في بناء الامة · ان على أولياء الطلاب والطالبات قبل كل شيء ايجاد البنين والبنات الذين واللواتي تتوفر فيهم وفيهن شروط اللياقة للالتحاق ببيوت الثقافة من ابتدائها الى انتهائها وأن يقدموا من الازهار ما عبق شذاها وقوي مبناها وطاب ثراها فتكون ذراريهم مدار

افتخارهم وقرة عين شعبهم • ومتى أهمل الأولياء هذا الواجب وردت ادارة المعارف أبناءهم وبناتهم على غير ما يؤملون فالذنب عليهم وحدهم •

ان العلم بحر والمعرفة لا حد لها فالصناعة علم والزراعة علم والتجارة علم وكل ما يراه الانسان من صنع الانسان فهو عن حاجة ولجاجة ، فالمخترع علم ، والصانع فن ، ولكل بكل حاجة • ولولا ذلك لما كان هذا • والسعادة البيتية هي غاية العالم والفنان والصانع وهدف كل انسان • فالله نسأل أن يهيأ لكل فرد من الرجال والنساء حسن التوفيق ليكونوا مجموعة صالحة متحدة في جهودها وأهدافها كالحلقة المحكمة لا يعرف أين رأسها •• والسلام ••

الاستعمار يقيم العثرات

الا أن السلطة المنتدبة التي كانت تهيمن على موازنة الدولة كانت تقيم العثرات في طريق هذه النهضة والحد من نشاطات القائمين عليها ، ولا سيما في مجال التعليم العالي •• حتى اذا ما تقلص ظل الانتداب البريطاني انطلقت الحكومات المتعاقبة في توسيع نطاق التعليم وتحسين أوضاع المدارس وزيادة عددها ورفع مستوى المعلمين وقطعت في هذا المضمار أشواطا بعيدة المدى بعد أن أرصدت لهذه الشؤون الاموال اللازمة .

الارقام تتكلم

ويؤيد هذا القول ما ورد في كتاب (حولية الثقافة العربية) الذي أصدرته الادارة الثقافية في جامعة الدول العربية بتاريخ ١٩٤٩ بأشراف المربي الكبير الاستاذ ساطع الحصري فقد جاء فيه ما يلي :

بعد الغاء الانتداب الانكليزي واعلان الاستقلال أصبحت البلاد تعرف باسم « المملكة الاردنية الهاشمية » وذلك منذ ١٩٤٧ • وقد زاد خلال هذا العهد الجديد الاهتمام بأمور المدارس زيادة بارزة فقد صعدت مخصصات المعارف من ٣٥ر٢٤٨ جنيها فلسطينيا سنة ١٩٤٤ الى ٤٢ر٣٨٧ في السنة الماضية والى ٥٢ر٨٢٨ هذه السنة •

وزاد عدد المدارس الاميرية من ٦٩ الى ٨١ وعدد التلاميذ من ٩٨٧٤ الى ١٢١٢٠ في السنتين الاخيرتين •

الطلائع الاولى في هذه النهضة

وأرى من الواجب أن أهتبل هذه المناسبة لاسجل بمداد الفخر أسماء بعض الذين تعيهم الذاكرة من الذين اسهموا في ارساء النهضة التعليمية ابان تأسيس الامارة من شتى الاقطار العربية : **محمد الشريقي ، أديب وهبة ، عمر زكي الافيوني ، نجيب علم الدين ، حسن أبو غنيمة ، محمود ابو غنيمة ، حسن فهمي بارود (لبنان) محمد الشريقي (سورية) سعيد البحرة (سورية) رشيد بقدونس (سورية) هاني أبو مصلح (لبنان) مصطفى وهبي التل (الاردن) رمضان المعلبكي (لبنان) محمد علي المجابري (مصر) وهيب الافيوني (لبنان) صلاح عابدين (سورية) محمد أديب العامري (فلسطين) عبد اللطيف شاكر (سورية) جميل شاكر (سورية) نصوحي القادري (لبنان) جميل قره بي (سورية) مسلم الحافظ (سورية) أديب التقى (سورية) نديم الملاح (لبنان) بهاء الدين العابودي (فلسطين) سعيد الدرة (لبنان) مسعود الداغستاني (سورية) شكيب الداغستاني (سورية) شفيق الداغستاني (سورية) محمد علي الحوماني (لبنان) سليم الزركلي (سورية) طاهر الهاشمي (سورية) علي روحي (الاردن) حسن روحي (الاردن) عبد الحليم زيد (الاردن) صالح مريش (الاردن) صياح الروسان (الاردن) حسني فريز (الاردن) عبد القادر التنير (لبنان) محمد رفيق الحسيني (فلسطين) جريس القسوس (الاردن) عبد الرؤوف الجوهري (فلسطين) عبد الرؤوف الخطيب (لبنان) سعيد الخطيب (لبنان) حسيب الخطيب (لبنان) حسن البرقاوي (فلسطين) مصطفى الشريف (سورية) نسيب تقي الدين (سورية) صبري فريد البديوي (سورية) صهيب العطار (سورية) بهاء الدين القباني (سورية) عبد القادر السمان (سورية) ومؤلف هذا الكتاب .**

عقيدة وايمان وعمل

انني لا اتساهل مدة حياتي في اعتداء على شرف الانسانية وحرمة الدين الحنيف ٠

عبد الله بن الحسين

مخطط واضح المعالم

ان رجلا كعبد الله بن الحسين تحدر من سلالة الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم ، ونشأ نشأة دينية كريمة بجوار بيت الله الحرام ، وفي كنف والد جليل عرف بالتقوى والصلاح ورسوخ العقيدة والتمسك بأهداب الدين ، وتحت رعاية نخبة من العلماء الاعلام ، لا يعقل أن يسلك طريقا لا ينسجم مع هذه العوامل والاعتبارات ، أو يسير على غير ذلك النهج الاسلامي القويم ٠٠٠

ولقد كانت جميع خطواته وأعماله وتوجيهاته في الاردن مستمدة من تعاليم القرآن ومبادىء الاسلام ، وكان يفرغ قصارى جهده (رحمه الله) في سبيل تطبيق تلك التعاليم والمبادىء بقدر ما تسمح له الظروف والاوضاع ٠

وبالاضافة الى الابحاث الدينية التي كان يتناولها من حين لآخر مع علماء الدين. فكان يقربهم اليه ويوقرهم ويغمرهم بعطفه ويستشيرهم في مختلف الشؤون الشرعية والقضايا الاسلامية ، ويناقشهم مناقشة العالم القدير في شتى الموضوعات والمباحث الفقهية ، وتفسير الآيات الكريمة ، ورواية الاحاديث النبوية ٠

وكان يبعث بتوصياته وارشاداته الى رجال الحكم يحثهم فيها على القيام بالواجبات الدينية والحفاظ على شعائر الاسلام ، ومكافحة الرذائل والمنكرات ، ومقاومة الالحاد والسموم الاخلاقية والاجتماعية التي تهدد كيان الاسرة الاردنية ٠

وفيما يلي نص رسالة وجهها الى أحد رؤساء حكومته بهذا المعنى وقد نشرتها جريدة الجزيرة في حينه :

فخامة رئيس الوزراء !

(ان هذه البلاد ، ومنها القدس الشريف وقد قدسها الله ، وبارك حواليها ، وشرفنا بخدمتها ، جديرة بأن يتحلى أهلها بالاخلاق الفاضلة لما لها من مكانة قدسية في الديانات الثلاث وبالاخص فان فيها المسجد الاقصى وفيها أيضا قبر الخليل عليه الصلاة والسلام · لذلك وبما اننا نلاحظ أن الاخلاق قد تغيرت وان الناس أخذوا يسلكون سبلا منحرفة عن وقار الامة الاسلامية وتاريخها ومقدساتها ، رأينا اتقاء لنتائج التبعات التي نتحملها أمام الله سبحانه وتعالى والتاريخ أن نطلب اليكم والى ابنائنا سكان هذه البلاد القيام بما تقتضيه المواد الآتية :

١ ـ المحافظة دواما من أصحاب الفخامة رؤساء الوزارات وأصحاب المعالي الوزراء جميعا وحضرات الاعيان والنواب وقواد وضباط الجيش والمديرين ورؤساء الدواوين وموظفيها والمتصرفين والقائمقامين على تأدية فرائض الصلاة وأن يداوموا على صلوات الجمع والعيدين وأن لا يخل أحد منهم بصوم رمضان ·

٢ ـ أن يعمل أهل القرى والمخاتير ورؤساء العشائر بهذا الواجب في قراهم وبين عشائرهم ·

٣ ـ ان تضع وزارة المعارف التعليمات الملزمة لكافة المدارس حتى يشب الطلاب وهم محافظون على فرائضهم وواجباتهم الدينية وحب الوطن الذي هو من الايمان ·

٤ ـ أن يهتم كبار الموظفين بهذه التعليمات وأن يمتنعوا عن تعاطي المسكرات والميسر ·

٥ ـ أن تنظر الحكومة في التقليل من استيراد الخمور بعد ان عم استهلاكها بصورة فظيعة وسرت الى بيوت الشعر من البادية ·

ان تنفيذ هذه الاجراءات قد يجر الى الطريق السوي وقد يشفينا من الامراض التي أخذت تهدد كياننا واذا وجهت الاندية الرياضية الى العمل بهذا فقد يكون من وراء هذا سرعة الوصول الى تقويم الاخلاق والبعد عن الفساد وعلى كل فالاشارة الى هيئة العلماء بما في هذا المعنى هو من أهم ما شكلت الهيئة المشار اليها من أجله وانني اذ أقوم بهذا فانني أنفذ ما أمرني الله به ورسوله صلى الله عليه وسلم ·

وكان يتفقد بنفسه سير التعليم الديني في المدارس ، ويصدر تعليماته الخطية والشفوية الى المسؤولين في وزارة المعارف بضرورة الاهتمام بدروس الدين وحمل الطلاب والطالبات على اداء الصلوات ، والمحافظة على الشعائر الاسلامية ، ومقاومة المبادىء الالحادية ، والانحرافات الخلقية .

وقد تجلت هذه المشاعر الكريمة بنوع خاص عندما ساهمت مع نخبة من تجار العاصمة وفضلائها بانشاء (دار العلوم الاسلامية) التي انبثقت عنها الكلية العلمية الاسلامية وكلية الشريعة فقد غمرها بعطفه وشملها برعايته ، وشد أزرها حينما نهض مؤسسوها بحملة التبرعات لتوسيع نطاقها ورفع مستواها .

عطف سام

وتفضل (رحمه الله) بارتجال الكلمة التالية في الحفلة الكبرى التي أقامتها هذه المؤسسة عام ١٩٤٤ وقد نشرتها كل من جريدتي الجزيرة والاردن :

« مباركة هذه المدرسة في مبدئها ومبناها وغايتها . ومبارك على القائمين بأمرها الجادين في تأييدها . مبارك على من أعان عليها . وانني على ثقة من أن كل درهم يدفع في بابها هو براءة لمن دفعه من عند الله وبركة عليه وعلى ورثته . مباركة هذه المدرسة لانها الوحيدة في بابها بهذا العصر .

مبارك كل من سعى اليها وبعث بأفلاذ أكباده اليها . مبارك كل من علم فيها وصبر من أجلها فانها الجهاد اليوم والمدرسة التي تعلم الناس ما خلقوا من أجله تأمر بمحاسن الاخلاق وتنهي عن المنكر والشقاق والنفاق . وانه لمن واجبي أن أشكر الهيئة التدريسية وأشكرهم خاصة على أئتمانهم على أمرها الاستاذ الصديق تيسير ظبيان . وانني لاحثهم وأحثه على البقاء في اتمام جهادهم وانني لمعهم أعينهم وأعاونهم ما بقي لي من الدنيا يوم . وأسأل الله لنا جميعا التوفيق والصلاة على محمد رسول الله وقد أمرت وزير داخليتنا ومعارفنا وصديقنا الحميم محمد باشا الانسي أن يتلو هذه العبارات التشكرية لمن حضر ، وأن يوزع الجوائز بصفته وزيرا للمعارف » .

وقد استشرته ذات مرة في انشاء ناد باسم (نادي الفضائل الاسلامية) فاستحسن الفكرة وأمر بتنفيذها حالا . وقد أقيمت حفلة افتتاح النادي تحت رعايته في ١٨ تموز سنة ١٩٤٧ وألقى فيها الكلمة التالية : ـ

لا بد من قول كلمة بعدما سمعت وبعد أن رضيت بما سمعت : ـ لقد دعيت الى حضور هذه الحفلة لنادي الفضائل الاسلامية فلما حضرتها رأيت أكثر مما سمعت ٠ فالحمد لله والثناء له والرضى عن قصدكم ونيتكم الا أن لهذه الامة داء عضالا الا وهو الملل عن كل عمل يبدأونه ثم يتركونه وانني لا أخاف عليكم هذا الداء والفضائل الاسلامية لاكثر من أن تحصى فالتمسوها وتحروها تجدوها هادية الى الخير دافعة رجاله ، ولا تكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبلكم فطال عليهم الامد فقست قلوبهم والعياذ بالله من ذلك ٠ الا انني أذكركم بواجب فالاسلام وأهله في مرض ولا بد للمرض من مشخص يجده فيوصى بالدواء ، وانني أرى هذا الداء في اغفال التعاليم العربية المصطبغة بالصبغة المحمدية وفي الميل الى التعاليم الغربية المبعدة عن هذه الفضائل التي تدعون اليها ٠ انقذوا أبناءكم وبناتكم من تلك الكليات الاجنبية وانشئوا مقابلها ما يضمن لكم منالتكم المنشودة ، والسلام عليكم ٠

وفيما يلي نص الكلمة الملكية التي تفضل فأمر معالي محمد باشا الشريقي وزير البلاط بتلاوتها ردا على كلمة سماحة الاستاذ الشيخ عبد الله غوشه قاضي القضاة لدى تشريف جلالته حفلة افتتاح دار معهد العلوم الاسلامية وكان المؤلف يتولى ادارته :

(سمعت خطابكم وحمدت الله على ما أنعم به علي من ترسم لخطط السلف الصلح من الاباء والاجداد الطاهرين الطيبين وليس بغريب أن نتحلى بما أوجبه الله علينا بالنسبة لنسبنا وكون أمتنا هي أمة مرموقة لانها خير أمة أخرجت للناس فهي تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر ٠ هذه أمة محمد أمة كريمة بمأموريتها ، عزيزة بشرعها وعلمها وجهادها وان نحن نأمر بالواجب فانما هي الذكرى والهداية بيد الله والتوفيق منه ، فاعملوا على ارشاد الناس كي يكرمهم الله بما هيأهم له ٠ ومن عمل على هذا فهو من أمة محمد ، ومن تكاسل عنه فأمره الى الله ٠

قال صلى الله عليه وسلم ـ لئن يهدى الله بك رجلا واحدا ، خير لك من حمر النعم ٠ وان أهل العلم هم القدوة الصالحة والنجوم الهادية فاستعينوا رحمكم الله على الفوز في الدارين بالدعوة والارشاد والعلم والتعليم مستضيئين بنور الله الكريم الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة واني لمبارك معهدكم مسرور لوجهتكم وفقكم الله جميعا الى ما فيه خير الامة وتمام النعمة وصلى الله على محمد وآله وصحبه ٠

الشيوعية والتبشير

وكان الملك يعمل بحزم على منع تسرب الشيوعية الى الاردن ويعتبرها داءا وبيلا يهدد المجتمع العربي الاسلامي في هذه البلاد ، ويبدي دهشته لانتشارها في بعض الاقطار العربية والاسلامية ويعتبر تلك الاقطار بعيدة كل البعد عن التعاليم الدينية ..

وكان في الوقت نفسه يقاوم الحركات التبشيرية وينظر اليها نظرة حذر وريبة ولم يسمح مطلقا بانشاء أية مدرسة أجنبية (باستثناء مدرسة المطران ، التي قضت ظروف قاهرة بانشائها في عمان) لانها تشكل خطرا على مشخصات البلاد ومقوماتها الدينية والثقافية والخلقية والاجتماعية .

ولقد نشرت جريدة (اللندن تريبيون) الانكليزية حديثا لجلالته أفضى به لمراسلها في آب من عام ١٩٤٦ قال فيه ـ «اني أقاوم الشيوعية والمدارس الاجنبية لان كليهما خطر على كياننا واستقلالنا : فالاولى تتنافى مع ديننا الاسلامي وتعاليم نبينا وقرآننا ، ونظمنا الاجتماعية وحياتنا العائلية . أما المدارس الاجنبية فهي شوكة يضعها المستعمرون في سبيل تفرقة صفوف الامة وغرس مبادئهم الاستعمارية في عقول الشباب ، انني أسعى لان العب دورا هاما في العالم العربي في مكافحة هذه المبادىء» .

واني لاذكر أن بعض الارساليات التبشيرية كانت تحاول اقامة مؤسسات ومعاهد للتعليم في عمان على منوال ما فعلته في مختلف الاقطار العربية فأوعز جلالته الى الحكومة بعدم السماح بانشاء مثل هذه المؤسسات والمعاهد حرصا على الطابع الاسلامي في البلاد .

العروبة والاسلام

والكلمة التالية التي تفضل (رحمه الله) فنشرها في جريدة الجزيرة تفصح عن وجهة نظره في العروبة والاسلام :

لكل حمى هذيان . وهذيان الاستقلالات العربية اليوم التفرقة . فالعرب حيث تسود اللغة العربية . والعراق وسورية ومصر وليبيا وتونس والجزائر وفاس ، هذه كلها تنطق بالعربية ، وفيها العرب فهي بلاد عربية ، أما البلدان التي اجتاحها العرب ولكن عجز اللسان العربي عن سيادتها فهي بلاد الفرس والروم والافغان فهناك لغات غير عربية وأقوام

ليسوا عربا . ولكن للدين الاسلامي عروته الوثقى ، فأخوة المسلمين الذين يوحدون الله ويؤمنون برسالة محمد صلى الله عليه وسلم هم أشد ارتباطا من أية أمة . لسانها واحد ودمها واحد ولكن عقيدتها في الله ليست بواحدة فلا يمكن والحالة هذه أن يكون طالب الاستقلال طالبا للتفرقة الا بسبب حمى الاستقلال . فسورية الواحدة اذا أرادت الشفاء من هذه الحمى فعليها أن تتحد قبل أن ينخر السوس في العظم ويصل الداء الى المخ فعيي الشفاء نطس الاطباء . ننصح قومنا بهذا ونحذر رؤساءنا من ذلك . ونحب السير بقدام ثابتة ، ومن حسن عناية الله بالعرب زوال الرجال الذين كانوا على منصات الحكم والذين لا يتورعون عن طلب تزعم بلد أخرى عليهم .

فنحن نرى أن اللسان العربي حيث ساد والدين المحمدي حيث يكون تكون هناك القومية العربية الموحدة والقومية الاسلامية العامة والسلام على العالمين العربي والاسلامي ورحمة الله وبركاته .

وفي كلمة أخرى تناول الملك موضوع العروبة والاسلام ، وأثر الاسلام في جمع شتات العرب ولم شعثهم وتوحيد كلمتهم اذ قال :

وهكذا فبنعمة الله قد هيأ الباري لهذه الامة السعيدة تلك المزايا وشرفها بخاتم الانبياء والمرسلين . وكان العهد النبوي قد تم فيه اعتناق الدين المبين ، وتم فيه اتحادهم للقيام بما أوجبه عليهم ، من وحدة واحدة ، ونبذ عادات الجاهلية والفرقة ، فأصبحوا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا ، لا تأخذهم في الله لومة لائم .

حرص الملك على الآداب العامة

وكان الملك يشعر في قرارة نفسه بأن عليه واجبا جللا حيال امته ولا سيما في المجالات الدينية والشؤون الروحية والعمل على رفع مستواها الخلقي ، وقد بلغ من غيرته على الآداب العامة وحرصه على صيانة اخلاق المرأة المسلمة انه اصدر ارادة سنية بتاريخ ١٩٤٠/٣/٢٧ في كتاب وجهه الى رئيس الوزراء حول هذا الموضوع هذا نصه ويفهم من سياق هذا الكتاب أنه وجه كتابا سابقا بهذا المعنى :

حضرة صاحب الفخامة رئيس الوزراء الافخم ،

عزيزي توفيق باشا ،

من الواجب المتحتم أن ألفت أنظاركم الى ما سبق التنبيه اليه غير مرة ، والى ما صدر بسببه أكثر من بلاغ رسمي ، فيما يتعلق ببعض النساء المسلمات اللواتي يرى أنهن لا يبالين بما فرضه الله عليهن من عدم التبرج واتباع اللائق بالمخدرات المؤمنات والفتيات المسلمات من الوقار والحشمة ، لانه قد عاد بعضهن الى ما نهين عنه بعد ان مضت فترة على البلاغ الاخير بهذا الصدد ٠

انني حمدت الله سبحانه وتعالى على انه صادف وقت قيامنا بهذا الواجب في زمن يشغل فيه وزارة المعارف الجليلة سماحة قاضي القضاة من وزارتكم وتعلق الوظيفتين بما نحن في صدده ٠

اني آمر بالاشارة الى سماحته أن يصوغ بيانا جديدا يثبت فيه نص ما نوجهه عن واسطتكم بهذه الارادة معلنا انه صادر عنا لنبرأ الى الله عز وجل من تبعة الاغضاء عن هذه المخالفة الممقوتة شرعا ، والتي شرع النساء يقبلن عليها غير محتشمات وقد جاء في الاية الكريمة (٣٠) من سورة النور الشريفة قوله تعالى « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك ازكى لهم ان الله خبير بما يصنعون » وفي الآية الكريمة (٣١) « وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهم ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن أو أبائهن أو أباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو اخوانهن أو بني اخوانهن أو بني اخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت ايمانهن أو التابعين غير اولي الاربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على

عورات النساء ، ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون لعلكم تفلحون » « وجاء في سورة الاحزاب الشريفة في الاية الكريمة (٦٠) (يا ايها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن منْ جلابيبهن ذلك أدنى ان لا يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما ») وفي الآية (٣١) من سورة النور ذكر (وليضربن بخمرهن عى جيوبهن) والخمر المقانع جمع خمار وهو غطاء رأس المرأة على جنبيها ·

لقد أمرن بالقاء المقانع على خصورهن تغطية لنحورهن فقد قيل انهن كن يلقين مقانعهن على ظهـــورهن فتبدو صدورهن وكنـــى عن الصدور بالجيوب لانها ملبوسة عليها وقيل انهن أمرن بذلـك ليسترن شعورهن وقرطهن وأعناقهن قال ابن عباس (ونحن نقول بقوله رضي الله عنه) تغطي شعرها وصدرها وترائبها وسوالفها · فليفهمن وليفهم أولياؤهـن ذلك ثم ليتأملوا سائر ما جاء في الآيات الكريمة من الاوامر ولينظروا أيضا في الآية الشريفة بسورة الاحزاب كما ورد آنفا ·

واني آمر بالاشارة الى وزير المعارف بأن من جملة مسؤوليـــات سماحته التفتيش الجدي على المعلمات في مدارس البنات وما يلقنـــه تلميذاتهن وهل المعلمات في درجة علمية كافية لهذه المسؤولية الدينيـــة والاخلاقية التي وضعت على عواتقهن فانهن يكفلن بنات الاسلام على مـا فطرن عليه من الولادة على فطرة الاسلام وانهن في المدرسة محل الاب والام فاذا عثر على مديرة لمدرسة أو على معلمة بها تترخص في هذه المقدسات الاخلاقية فليقلها بدون تردد · هذا واجبي الذي سيسألني الله عنـــه أضعه على عاتق الحكومة لتقوم بواجبها نحوه وانني آمل من اخلاقـــكم المرضية وحميتكم الدينية الاهتمام بأمرنا هذا ومتابعته وعرض نتائجـه علينا ، وآمل من الاردنيات المسلمات أن يخضعن لامر الله ونصائحنا وانني أرجو بمشيئة الله قيامهن بذلك وأن يشكرن على ذلك عزيزي ·

١٨ صفر ١٣٥٩

٢٧ آذار ١٩٤٠

« عبـد الله »

وبعث بتاريخ ١٩٤٠/٧/٢٧ الى رئيس الوزراء بالكتاب التالي :

لقد علم لرئاسة الوزراء ولقاضي القضاة ما نعلقه من الاهمية الكبرى على الاخلاق وعدم تطرق الخلل على ما ورثناه من الغيرة من الاسلاف في الجاهلية وما هذبه الاسلام من ذلك مؤيدا العناية بالاخلاق .

ولقد أشرنا الى الحكومة أكثر من مرة الى نقطة هامة وهو ما شاع من التبرج في النساء وعدم اعتدادهن بالحجاب وخروجهن في الاسواق بما لا يليق . ولقد شاهدنا في الايام الاخيرة ما أوجب عميق حزننا على أخلاقنا الطاهرة العربية وعاداتنا الفاخرة الاسلامية حيث شاهدنا الكثير من المنتسبات الى كبرى العائلات في شكل مزر ومن العامة أيضا وعليه فنصدر ارادتنا هذه اليكم بلزوم جعل الملاءة (الشرشف المعروف) هو الرداء الواجب على المسلمة أن تخرج به خارج بيتها . ونقترح ان تسنوا بهذا قانونا مستعجلا يعرض علينا حالا مع تعيين مادة للتعزير الشرعي على حسب ما يرتأيه سماحة قاضي القضاء لكل عائلة تخالف ذلك مع لفت انظاركم للتنبيه بأن حسر الرأس للرجال في الاسواق يتنافى مع ما ورثته الامة من فضائل معروفة . وانني أعلمكم بأنني لا أتساهل مدة حياتي فيما فيه من الاعتداء على شرف الانسانية وما جاء به الدين الحنيف وأن اللاتي يخرجن متبرجات غير متسترات فانهن قد عصين الله عمدا ومن يعص الله عمدا فلا دين له ، وقد قال الله عىالى : (ولا تمسكوا بعصم الكوافر) فلا يحل لامرىء مؤمن شريف أن تكون ربة بيته على هذا الطراز وانني مصمم كل التصميم على القيام بالمسؤوليات الدينية ، فألفت أنظاركم جميعا الى القيام بما فرضه الله عليه داخل بيته وفي مسؤولياته الرسمية ، والسلام .

عبد الله

وقد حدد جلالته حقوق المرأة وواجباتها من الناحية الشرعية وذلك في حديث خاص أفضى به الي في الثالث من آب عام ١٩٥١ قال : « ان المرأة المسلمة ليست ممنوعة دينا عن القيام بأمرها في بيتها أو خارج البيت ولكن المرأة المسلمة ممنوعة عن الاختلاط بغير المحرم عليها ، والاختلاط معناه المقابلة والمؤاكلة والمشاربة كما يقع بين الزوج والزوجة والاب والبنت والجد والعم والخال والاخوة ، فكل أجنبي عدا هؤلاء ليس للمرأة المسلمة أن تتبرج أمامهم أو تخالطهم وتخاصرهم وتراقصهم . وللمرأة المسلمة أن تخرج فتقضي حاجتها وترى قضاياها وعليها خمارها أو ما يقارب الآن الخمار ولا يرضى الدين ابدا بالتبرج والخلاعة والنزول الى الساحل للسباحة مع الرجال ، وتأبى المروءة العربية أن تطرح المرأة درعها حتى عند زوجها .

التوجيه القومي

من أحب العرب جمع كلمتهم ، ووحد صفوفهم وساقهم الى خيرهم وحفظ لهم صبغتهم · ومن كره العرب دعاهم الى التفرقة ·

« عبد الله بن الحسين »

الدعوة الى الوحدة

كان الملك عبد الله يعمل ليل نهار على جمع شمل العرب ولم شعثهم وتوحيد كلمتهم وتذكيرهم بماضي أسلافهم · وكان يوجه الكتاب تلو الكتاب الى ملوك العرب ورؤسائهم يحثهم على القيام بواجبهم في هذا المضمار ، ويرسل النداء تلو النداء الى الشعوب العربية يدعوهم الى تحقيق الوحدة الشاملة التي لا تقوم لهم قائمة الا عن طريقها (أو الاتحاد اذا تعذرت الوحدة) ·

وكان أنصار هذه الفكرة يترددون على (عمان) ويتصلون بجلالته للمساهمة في هذا العمل القومي المجيد ، ولكنهم كانوا قلة (مع الاسف) لان السلطات الاستعمارية والحكومات المحلية في العالم العربي كانت تقف عثرة في هذا السبيل وتقاوم جهود الملك بمختلف الوسائل حتى انها لم تتورع عن تشويه هذه الدعوة المباركة · وقد قام بمحاولات شتى لاقامة اتحاد بين الاردن والعراق كخطوة اولى في طريق الوحدة ولكن هذه المحاولات باءت بالفشل ·

وعلى سبيل المثال أذكر ان السيد كميل شمعون (رئيس الجمهورية اللبنانية الاسبق) زار الاردن في كانون الثاني ١٩٥١ وقابل الملك غير مرة للبحث في موضوع الاتحاد والتفاهم معه على الاسس التي يجب ان يقوم عليها هذا الاتحاد وقد اجتمعت به في فندق فيلادلفيا وتحدثت اليه في موضوع زيارته فتبين لي أن الغرض من هذه الزيارة متابعة البحث مع الملك في الوسائل التي تؤدي الى تحقيق الوحدة العربية وقال أنه واثق من أن الاردن والعراق وحتى لبنان (كذا) لا يعارض في اقامة مثل هذا المشروع الاتحادي · ثم ذكر لي السيد شمعون أنه بحث هذا الموضوع

مع السيد شكري القوتلي حينما كان رئيسا للجمهورية واقترح بأن تبدأ الخطوة الاولى باقامة مشروع اتحادي بين (سورية ولبنان والاردن والعراق) فأجاب الرئيس القوتلي أنه مع تأييده لهذا المشروع ولكنه يعتقد أنه سابق لاوانه ، وانه يجب التثبت قبل كل شيء من موقف الانكليز من هذا المشروع وهل يقفون منه موقفا ايجابيا ؟ وهل هم على استعداد للتخلي عن مصالحهم في كل من العراق والاردن ؟ فرد عليه الرئيس شمعون بقوله : أليس من الافضل يا صاحب الفخامة أن نتفاهم أولا فيما بيننا ونتفق على الاسس التي يجب أن يقوم عليها هذا المشروع ثم نجعل الانكليز تحت الامر الواقع فصمت ولم ينبس ببنت شفه !

وقال لي السيد شمعون : انه بحث مع القوتلي موضوع ضم الضفة الغربية من فلسطين الى الاردن ، ولكن السيد القوتلي استشاط غضبا من هذا الضم وقال بلهجة حادة : انني أفضل ألف مرة أن يبقى هذا الجزء منفصلا ولو أدى الامر الى انشاء حكومة فلسطينية تسندها الحكومة البريطانية على أن ينضم الى الاردن !

قال ذلك دون أن يعلل أسباب هذا التفضيل (! !)

الطريق الى الوحدة

أما وجهة نظر الملك في طريقة اقامة تلك الوحدة والاتحاد فقد أفصح عنها في رسالة وجهها الى صاحب جريدة الزمان العراقية بتاريخ ١٩٤٥/١١/٢١ وهذا نصها :

حضرة المحب الاعز !

تلقيت رسالتكم بمناسبة عيد الاضحى اعادكم الله لامثاله ، واني لاثني على أريحيتكم هذه في التهنئة والدعاء ولقد طلبتم منا أن نبعث اليكم بكلمة توضع على صفحات الزمان الاغر عن الاتحاد العربي وأهميته ، وانها لكلمة يصعب الخوض فيها ٠

أما الاتحاد لغة ، فلا يخفى على أحد ، وأما قصدا وسياسيا فلا يمكن حصوله الا بتقارب في الاجزاء المفرقة والمرجو اتحادها لمصلحة تضطر الى هذا الاتحاد وهذا عمل الاحرار ٠ وكلمة الاحرار أيضا ليست بالتي تحدد على سهولة ، فالحر الاصيل النجيب ، والحر الرقيق المعتوق ، والحر غير المقيد ، الحر هو المطلق التصرف الى غير ذلك ٠ فاذا كانت

البلاد العربية وصلت الى درجة ترى معها وجوب الاتحاد فذلك سهل وهي في نظرنا لا تزال الى اليوم مترامية الاقطار ، متفاوتة المصالح والافكار ، يقودها من لا يريد الا أن يكون قائدا للافكار ، متمتعا بالسلطان ، ومـــا يراه من واجبات الاجلال والاكبار ٠

فأين ذلك الاتحاد ؟ ولكن هذا الذي تشيرون اليه ، فالامة العربية متجهة نحوه ٠ وأول اتحاد يمكن الحصول عليه **هو اتحاد العراق والاردن** ومتى تم هذا فستنتظم فيه اتحادات أخرى ، وبهذا يكون الامر قد شرع فيه ، أما وحدة الثقافة فضرورية لذلك ، والاتحاد هو شرعنا وأوامر نبينا ، وقد جاء في القرآن الكريم وفي سنة سيد المرسلين فما كانت أعظم منهـا أمة يوم سارت على سياسة الصديق بعد التفرقة التي احدثها مسيلمة ذلك الزمان حيث (ضرب القبائل بالتفرقة في اليمامة) ، ثم ثنى بالاسود العنسي ٠٠ وبعد ذلك قاد الامة الى ما أشار اليه محمد صلى الله عليه وسلم ففتح الاقطار ، وابتسم لذلك وجه الزمان ، ثم كان الامر على تمامه بالاتحاد في ذلك القصد زمن عمر ، ثم ما أمر التفرقة التي حصلت بعـد وأفجعها ، وما وقع على عثمان رضي الله عنه ، فان الامة لا تزال تئـن من تلك الجريمة الى هذه الساعة ، فتقوم ثم تكبر وهكذا ، حتى وقعت التفرقة الاخيرة بعد ثورة الحجاز والملك الموحد والملك الواحد ، فأين نحن والاتحاد أو الوحدة ان لم تتداركنا رحمة الله ، والسلام عليكم عزيزي ٠

عبد الله

مساعية في سبيل الوحدة العربية

وكان الملك يحاول بمختلف الوسائل الاتصال بملوك العرب ورؤسائهم وقادة الرأي فيهم (حتى الذين كانوا يقفون منه موقفا معاديا) ـ واقناعهم بوجهة نظره في القومية العربية والوحدة الشاملة ٠ وبتاريخ ١٩٤٨/١٠/٢٦ املى علي رسالة خاصة لابلاغها الى السيد صبري العسلي وكان يشغل منصب وزارة الداخلية في الحكومة السورية بالاضافة الى الامانة العامة للحزب الوطني وقد جاء في مستهلها :

« اقرىء العسلي السلام ، وقل له انني ملزم من ناحيتين (ناحية الدين وناحية القومية والوطن) بان اسعى لتوحيد الشمل ، وزيادة المجد ، وازالة كل سوء تفاهم ، وان هو تقدم للناحيتين هاتين باخلاص وبقلب سليم فسيجد عندي كل العناية ٠ والله لا اريد للامـــــة العربية الا الخير ، ولا ارحب باي شيء يسرني اذا كان في ذلك اساءة الى قوميتي » ٠

صرخات الملك للجيل الجديد

وكان الملك يعلق آمالا كبارا على أبناء الجيل الجديد ويحاول توجيههم توجيها قوميا صحيحا ، وفي هذه الصرخات التي أطلقها على صفحات (الجزيرة) دروس وعظات وخطط عملية جليلة القدر ، وهذه هي الصرخة الاولى :

من الواجب توجيه هذه الكلمة بمدلولها الى الجيل الجديد ليفهم الامانة وما تعاني الامة من الخيانة ، وما يعتورها في سيرها من الكبوات ، ثم الفترات ثم الانتباهات والقيام الوقتي ، ثم تكرر ضربات من الخيانة والخائنين ثم السقوط · أيها الجيل الجديد ، لا تنس انك عربي ، وان البلاد التي تسكنها بلاد العرب ، وانها وطنك ، وان العربية لسانك ، وان الله الهك ، وان محمدا صلى الله عليه وسلم الرسول منه اليك ، والى كافة الامم ، والذي شرف الله العرب باجتبائه منهم تشريفا وتكريما · لا تنس أيها الجيل ان العرب في جاهليتهم كانوا على شتات وتفرقة وشقاق ونزاع لا تجمعهم جامعة ، ولا يقودهم نظام · كانوا في جاهلية جهلاء يسفكون الدماء ويرتكبون المنكرات ، لا يزعهم وازع ، ولا يردعهم رادع ، ومع ذلك فكانوا اولى شجاعة ونجدة ، فصحاء بلغاء شعراء ، وكانوا اذا وفد منهم وفد الى ملوك الارض العظام يفدون ، يقودهم رؤساء وأولوا البيوتات منهم ، معهم شعراؤهم وخطباؤهم فكانوا يتكلمون بالصواب ، وينطقون بالحكمة ، ويتصرفون بما تقتضيه آداب الملوك في الدخول والخروج · فكانوا مع تشتت أمرهم وتفرق كلمتهم تهابهم ملوك الارض ، ولم يقع ان حكمهم في بلادهم أحد ؟ ولما أراد الله بهم الخير أرسل اليهم محمدا صلى الله عليه وسلم من خير عشيرة في العرب من بني هاشم بن عبد مناف ثم من قريش ، ثم من كنانة ، ثم من مضر فجاءهم بالحق والهدى والامانة ، فجمع الكلمة ، ونبذ التفرقة ، وكسر الاصنام ، وذهب بمساوىء الجاهلية · ولما تمم الله العرب ما أراده بهم من خير ونزلت الآية الشريفة (اليوم اكملت لكم دينكم ، واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا) عرف الناس ان الرسالة قد تمت وكانت العرب كلها دخلت الاسلام ، ولم يعين صلى الله عليه وسلم للناس ما ينبغي أن يعملوه بعده في أمور دنياهم بل ترك ذلك اليهم ليقوموا بواجبهم بجدهم واجتهادهم،

ولكن أشار الكتاب العزيز في غير آية كريمة الى وجوب الطاعة لاولي الامر مثال ذلك (اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولي الامر منكم) وغيرها الآية (واذا جاءهم أمر من الامن والخوف أذاعوا به ولو ردوه الى الرسول وأولي الامر منهم لعلمه الذي يستنبطونه منهم) وغير ذلك من الاشارات الالهية في الآيات القرآنية الى العرب الذين هم أصل الاسلام ، والاسلام هم قوامه وهم الذين اختارهم الله للاسلام كخير أمة أخرجت للناس وفي غير الكتاب العزيز ما أشار به صلى الله عليه وسلم في قوله الائمة من قريش ، ومعنى الامامة معروف في العربية ؟ فافهم أيها الجيل ، انه لم يقل الامام من قريش ولكنه قال الائمة من قريش : يعني اذا خلي أمام قريش لا بد من أمام قرشي غيره لا من سواه ؟ فاعلم أيها الجيل أن الائمة الذين قادوا العرب الى الفلاح والظفر والى رفع الراية المشرقة في القارات الثلاث من بلاد الصين الى الشرق في المحيط الاطلنطي في الغرب ثم الى الاندلس وبواتيه في فرنسا – هم الائمة من قريش والملوك ، منهم الائمة الراشدون ، والملوك الامويون ، والبهاليل من بني العباس ، والفاطميون من العلويين بناة الازهر والقاهرة ، وهم ليسوا من وسخ الحديد ولا حثالة الاقوام ؟

واعلم أيها الجيل انها الامانة كانت في أيديهم لا تزال قائمة حتى نجم قرن الخيانة وأول ذلك تنبؤ مسيلمة الكذاب باليمامة بنجد وقد قمعه الله وقتله على يد الصديق عليه الرضوان ٠

ثم ما وقع من خيانة جرت الى شر العواقب من وثوب أهل الخيانة على الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه وما جرت تلك الخيانة من وقائع دامية في عهد الخليفة الرابع علي عليه السلام يوم الجمل ويوم صفين وبالنهروان حتى انتهت بقتل الامام بالكوفة ، ثم ما وقع من معاوية بن ابي سفيان من تحوير في الامامة الانتخابية الى الامامة الوراثية وقد أسس الملك العربي على طراز عصري في ذلك الحين فتغلبت السكينة على الفوضى وعاد العرب الى سيرتهم الاولى حتى انتهت مدة الدولة المروانية ولكل دولة مدة ؟ فجاء بنو العباس وازدهرت الدولة في عهدهم بعظمة السلطان وانشاء العلم والعرفان حتى سمي عصرهم العصر الذهبي ، وكذلك كان عهد دولة الاندلس المروانية وعند انتهاء مدة هذه الدولة العباسية بالمشرق وتلك الدولة المروانية في المغرب جاء عهد ملوك الطوائف في المشرق من غير العرب وفي الاندلس من ولاة تقسموا البلاد وأضاعوها للخلاف على الائمة والخروج عليهم ، ولما تقلص ظل قريش في المشرق والمغرب وانتحلت الدولة العثمانية اسم الخلافة ، انكمش العرب الى جزيرتهم ، وعادوا شيئا فشيئا الى عادات منبوذة نبذها الاسلام من

اعتداءات مخجلة وغزوات مخزية حتى انتهى بهم الامر الى ان أضاعوا ما وصفوا به من فصاحة وخطابة وعزم ٠

الى أن أراد بأن تلمس اليد القرشية زمام الامانة مرة أخرى فكانت النهضة العربية الاخيرة التي أوجدت هذه الممالك المنبعثة بجهاد خص الله بها بيت الحسين بن علي رضي الله عنه ولكن كانت أيدي الخيانة سريعة الظهور فلم تترك لمصلح مجالا ، و لالقائل مقالا ٠ وعلى أثر انقضاء الحرب العامة جاءت الانقسامات وجاءت الانتدابات ونجمت النزاعات الشخصية فضربت الامامة بالحجاز ، وأخــرج الملك الهاشمي من دمشق بعصابات وحركات غير موفقة ولا مرضية ، وعادت البلاد كأنها في عهد ملوك الطوائف حياة ولا حياة ، أموات غير أحياء **جمهوريات متفككة واستقلالات موهومة واحتلالات أجنبية ٠ فكم من رئيس جمهور أسقط بتدخل أجنبي وكم من رئيس وزارة وجمهورية سجن وهو رئيس في بلاد عربية ؟** كل ذلك أيها الجيل ناشيء عن الخيانة ضد الامانة ، وما الامانة بالملك ولكنها الرآسة والزعامة التي خص الله بها قريش ، وقريش هم العرب ولا عرب بدون قريش ؟ فأفهم أيها الجيل ما يراد بك ، والى أي طريق يسار بسفينتك ٠ فاعرف قديمك ، وتمسك بصبغتك ، ولا تضل ، وتذكر الميثاق الذي أشاده النخبة من الملاء من رجالك يوم ثامن آذار عام ١٩٢٠ في دمشق الشام ، وأبحث عن تواقيع زعماءك الذين عاهدوا الله على الاحتفاظ به فاذا تبين لك السبيل فسر فان الله موفقك !

صرخة العروبة الثانية

الائمة من قريش

كلمة نبوية ومن أصدق منه فيما قال ، وان الله سبحانه وتعالى قد زكاه عليه الصلاة والسلام فقال (وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى) يعني بذلك الناطق محمد صلى الله عليه وسلم وكذلك فقد جاء في المحكم (ومن أصدق من الله حديثا) والامام ما أؤتم به من رئيس أو غيره (القاموس) فحصرها في قريش ظاهر ٠ وتقدم العرب عن طريق التحاقهم بقريش جلي ، قد صدقه التاريـخ ٠ وتأخرهـم بسبب اتباع غيرهم من الناس كذلك صدقه التاريخ من هذه الناحية أيضا ٠ اما العصبية وتوفرها حين ذاك واختلالها في سائر العرب اليوم فجاءت بسبب استغناء الناس بالشريعة والقوانـين والانظمة في حفظ حقوقهـم عن العصبيات

العشائرية ، هذا وان للعرب قديما متى ساروا عليه ـ نجحوا ومتى تركوه لا يفلحون وذلك القديم هو الاتحاد بالحق ، وللحق ، وكتاب الله هو الحق ، وسنة نبيه هي النبراس ، وفي العمل بهما الفلاح ٠ والعرب أمة مبتكرة ، لا أمة مقلدة ، والعرب أمة توحي الى الغير ، ولا يوحى اليها ، فقد استكملت وحيها بما أنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم ، فاحذروا كل الحذر أيها الجيل الجديد من الانحراف والتقليد ، فمن قلد تبلد ، ومن ابتكر انتشر وظهر ، أيها الجيل اعتصم بالله واحفظ قديمك ودم على صنيعك ، وجدد ما استطعت التجديد في أمور دينك ، فانك خلقت لهذا الزمان ووسائطه ووسائله ، وعلومه وحرفه وصنائعه ، ولكل هذا انت محتاج ، تحرر أيها الجيل قبل كل شيء بتحرير العلم ، فانك اعتقدت اليوم أن العلم يرقى اليه على مدارج من التقدم الاجنبي وقد لا ترى ان التعليم الاجنبي هو للاجانب ، بتاريخه ومفاخره ونقائصه وأنت لا ناقة لك فيها ولا جمل ، انظر أيها الجيل ، مثلا الى الطبيب الذي ينال الشهادات يعطاها من البلاد الخارجية على أن يطبب في البلاد الاجنبية وليس هو بالمأمون بممارسة صناعته في بلاد العاصمة التي تعلم فيها ، انظر أيها الجيل الى الشهادة العالمية التي تمنح في الجامع الازهر للغرباء ليست كالشهادة التي تمنح لاهل مصر ، أنظر أيها الجيل المقلد ان تركيا حررت قبل كل شيء تعليمها من النير الاجنبي فهناك كل شيء تركي ٠

لذلك من الحمق ان تظل الامة الواحدة متأثرة بشتى مناهج المدارس الاجنبية التي لم تشيد وينفق عليها الا من أجل الدعاية للبلدان التي تنتسب اليها تلك الكليات ودور التعليم ، هذا بعض من كل ٠ امنح أيها الجيل البعض من وقتك لنفسك وعرج على دور كتبك تجد بها مفاخر تدهشك وتوقظك ، لا يبلغ والله ما بلغت احد الا بذلك الجد ، وتلك الخصائص التي كانت متوفرة في اجدادك ، لا تضع أيها الجيل أوقات فراغك بقراءة روايات الجيب والمجلات السخيفة المليئة بالتصاوير الفاضحة التي تستحي أن تحملها الى بيتك وبالبيت الام والاخت والزوجة ٠ أكتب أيها الجيل ما استطعت من مفاخر قومك ومروآتهم وكرمهم واستفهم ، رب أيها الجيل بناتك على الفضيلة ، ونشيء بنيك على الغيرة والشجاعة ، أقدم أيها الجيل ولا تحجم فان في الاحجام ـ الخيبة ، وفي الاقدام العزة ، أحبب الموت أيها الجيل يكرهه غيرك فانك ان احببته نلت الحياة وان كرهته جاءك ، والموت والحياة هما السبب في أن تنشأ الامم وتزول ، ولولا الموت لما وجد المتأخر لنفسه محلا في هذه الدنيا فانك لمسافر فأعد الزاد للمعاد وقد ظفر من استفاد ٠

النهضة الادبية في الاردن

مجالس العلم والادب فى قصر رغدان

لم تكتحل عيناي في جميع سني حياتي بمشاهدة مجلس أجل شأنا ، وأشد هيبة ، وأرفع قدرا ، وأنبه ذكرا ، وأطيب أثرا ، وأوقع في النفس ، وأحب الى القلب من تلك المجالس الخاصة التي كانت تعقد من حين لآخر في قصر رغدان أو بسمان أو المشتى (في الشونة) برعاية الملك عبد الله بن الحسين لما كان يدور فيها من مساجلات شعرية ، ومطارحات أدبية ، ومناقشات دينية وعلمية ، وحوار سياسي على مستوى رفيع ٠

وكانت تضم هذه المجالس نخبة من عيون أهل الفكر ، وجهابذة العلم ، ورجال الادب والشعر بالاضافة الى جمهرة الوزراء وكبار المسؤولين وبعض الادباء والمفكرين الذين كانوا يفدون من الاقطار العربية الشقيقة أمثال : عمر أبي ريشه وعبد المحسن الكاظمي واسعاف النشاشيبي وكامل شعيب العاملي وعبد الله النجار وحبيب جاماتي ويوسف حنا ٠

وكان الملك بما آتاه الله من ذكاء وقاد ، وذاكرة قوية ، وبما حباه به من طلاوة في الحديث ، ورشاقة في الاسلوب ، وسرعة في البديهة ، وبما كان يتمتع به من اطلاع واسع ، ودراسات خاصة ، واستظهار لاي الذكر الحكيم والاحاديث الشريفة ، وحفظ للجيد المختار من أشعار العرب ونثرهم ، ووعي لاخبارهم ، يضفي على تلك المجالس جوا من الوقار والجلال مشوبا بشيء من الفكاهة والمرح ، وقد يستغرق المجلس الساعة والساعتين أو الساعات الطوال فلا نشعر بأية سآمة أو ملل بل نتمنى لو أن تلك المجالس (وكان أكثرها يعقد في المساء) قد طالت حتى بزوغ الفجر ٠ وكثيرا ما كانت تدبج فيها المقالات وتنطلق الالسنة بروائع الشعر والنثر ٠

وكان الملك راوية للشعر من الطراز الاول ولا سيما الشعر القديم ، وحين كنا نستمع اليه نحس كأننا نستمع الى روايات الاصمعي أو أبي عبيدة ، وطالما وقفنا مشدوهين حيال بعض القصائد والابيات التي كنا نسمعها لاول مرة ولا نعرف أصحابها ٠

وقد علمت أن الفقيد كان يحفظ عن ظهر قلب مفضليات الضبي وجزءا غير يسير من ديوان الحماسة لابي تمام والاغاني والعقد الفريد ٠

امتحان صعب

وعلى سبيل المثال أذكر انني دعيت ذات مرة لتناول طعام الافطار في شهر رمضان المبارك عام ١٩٣٩ على مائدة جلالته ، وكان من عادته أن يوجه في كل يوم من أيام شهر الصيام دعوة الى فريق معين من رجال الحكم أو فئة من طبقات الشعب · وكانت المأدبة التي دعيت اليها في تلك الامسية خاصة بقواد الجيش وكبار ضباطه ، وقد حضرها بعض رجال الحاشية · وما كاد المدعوون يأخذون أماكنهم حول المائدة ويباشرون بتناول الطعام حتى بادر جلالته بقوله : ان في الشعر العربي القديم مقطوعات فريدة تنطوي على أجمل المعاني واسمى الغايات · وهي بأسلوبها الجزل ، وديباجتها المشرقة ، وألفاظها المنتقاة تصلح لان تكون نبراسا لتوجيه الامة ومنهاجا للعمل · ثم تابع جلالته حديثه قائلا وانه ليحضرني في هذا المقام مقطوعة شعرية قديمة رائعة لا أدري من قائلها وهي :

نذودهم عنا بمستنة ... ذات عرانين ودفاع
كأنهم أسد لدى أشبل ... ينهتن في غيل واجزاع
حتى تجلت ولنا غاية ... من بين جمع غير جماع

وقد ألقاها جلالته بنبرة قوية ولهجة حماسية ثم أردف قائلا :

من منكم يا رجال القلم والادب والشعر يستطيع أن يشرح لنا هذه الابيات ويفسر ألفاظها الغريبة ومعانيها الدقيقة · وكان جلالته يوجه كلامه الى بعض الذين حضروا المأدبة من المدنيين أذكر منهم السادة : محمد الانسي رئيس الديوان الملكي ، والشيخ حمزة العربي الامام الخاص لجلالته ، والاستاذ عبد المنعم الرفاعي الشاعر المعروف ، والاستاذ صبحي زيد الكيلاني صاحب جريدة الوفاء التي كانت تصدر في ذلك الحين ، وكاتب هذه السطور ·

والواقع أن أحدا منا لم يستطع أن يتفهم تماما المعاني التي تنطوي عليها هذه الابيات ، وأخذنا نخبط خبط عشواء ، والتمست من جلالته أن يسمح لنا بمراجعة معاجم اللغة بعد انتهاء الطعام لان اللغة العربية خضم واسع ليس من السهل ركوب غاربه ··

فأبى جلالته وقال : لا لن أسمح لكم بمراجعة المعاجم وعليكم أن تعترفوا بأنكم سقطتم في هذا الامتحان · ولما انتهى الطعام نهض جلالته

ونهضنا معه وسرنا الى غرفة الاستقبال فأمسك جلالته بسماعة الهاتف واتصل بالشيخ فؤاد الخطيب في منزله وطلب اليه الحضور حالا فاعتذر بسبب انحراف صحته فقال له جلالته : ان لدي طائفة من الادباء عجزوا عن شرح بعض الابيات فهل لك أن تشرحها لنا وأنت شاعرنا وأمامنا في اللغة ؟ وأملاها جلالته عليه فاستمهله الشيخ بضع دقائق لكي يعود الى المعجم ، فابتسم جلالته وخاطبه قائلا : لقد سقطت أنت معهم يا شيخ فؤاد في هذا الامتحان .

وهنا تفضل جلالته فشرح لنا الالفاظ الغريبة في هذه الابيات والمعاني التي يقصدها الشاعر وقد تبين أن (المستنة) هي قطعة من الجيش وكنا نعتقد أنها مشتقة من السنان أي الرمح و (العرانين) هم قواد الجيش وقد فسرناها نحن بالانوف و (التباع) الجنود .

اثر جريدة « الجزيرة » في النهضة الادبية

ولقد لعبت جريدة (الجزيرة) دورا رئيسيا هاما في تنشيط الحركة الادبية في الاردن فقد عمدت الى الهاب مشاعر الشباب ، واستثمار مواهبهم وشحذ أقلامهم ، فكانت أشبه بحديقة فيحاء أو جنة غناء تتألق فوق أفنانها غرر الشعر ، وتزدهر على صفحاتها روائع النثر ، وتتبارى في جنباتها الاقلام والقرائح ، وكان جلالته يرعى هذه الحركة الناشطة بحسن توجيهه وتشجيعه ، ويغذيها بما كان ينفح به الجريدة من كلمات وقصائد وتعليقات .

ولقد أصدرت « الجزيرة » عددا ممتازا في ١ تشرين الثاني ١٩٤٠ بمناسبة مرور سنة على ظهور أول عدد منها في عمان ، وهو يتألف من ٥٢ صفحة اشترك بتحريره والكتابة فيه نخبة من رجال الفكر وعيون أهل الادب والشعر وحملة الاقلام (وكان بعضهم لا يزال في عنفوان الشباب) وقد عالجوا مختلف الشؤون الادبية والتاريخية والاجتماعية أذكر منهم السادة : سمير الرفاعي ومحمد الشريقي وشكري شعشاعة والدكتور جميل التوتونجي ومصطفى وهبه التل ومحمد أديب العامري وحسني فريز وابراهيم القطان وعبد الحليم عباس وحسن البرقاوي وعبد المنعم الرفاعي ومحمود الحوت والدكتور منيف الرزاز وروكس العزيزي ورفعة الصليبي وصياح الروسان واحسان النمر وجريس القسوس والبدوي الملثم ومحمد رشيد زيد الكيلاني وعيسى الناعوري ومحمد زيد الكيلاني وجميل دياب وخليل جمعة الطوال والدكتور توفيق الحناوي والدكتور عبد الرحمن فرعون وحسني زيد الكيلاني والدكتور واصف كنعان .

وقد تعطف جلالته فقلد جيد هذا العدد بكلمة سامية هذا نصها :

مني السلام على الجزيرة وكل من يقرأ الجزيرة

ان من المطبوعات الضار ، وان منها النافع ، وعلى قدر ميول قراء تلك المطبوعات ينجم ضرر أو يكون نفع • ومن المطبوعات أيضا ما يحصر الهم في الخدمة العامة للبلاد ، ولتثقيف أفكار العباد ، وفقا لمنهاج خاص ، يختار لها ممن جعلهم الله في مرتبة الاب للامة وهذه هي التي يركن اليها ، وينتظر الخير من ورائها • ولقد طلب الينا أن نضع كلمة بمناسبة تكرر الحول على خروج جريدة الجزيرة في عمان • وانه لطلب محبب الينــا ، مقبول لدينا ، ليقيننا من اخلاص صاحبها ، وانتسابه الينا ، فهو تيسير ظبيان ، ذلك الضابط المجاهد في الجيش العربي ، وذلك الشهم الذي خدم التدريس في شرق الاردن ، مدة غير قصيرة ، وهو صاحب الجزيرة في الشام أيضا • وما الشام ولا من بالشام ممن يجحد المفكر العاقل ما لهم من مكانة ومركز ، يجيء من فجر دخول ابي عبيدة وابن الوليد ، وهي العاصمة الاسلامية العربية ، التي سارت منها جيوش الفتح ، من الشرق الى الغرب • مقتحمة الصحارى والفيافي ، التي عجزت عن اقتحامها جيوش العصر الحاضر • ولا غرو فأولئك يحفزهم الى الامام الجهاد في سبيل الله ، والدعاية الى كلمة سواء ، وهي (لا اله الا الله) ونشر العدل والمساواة بين البشر ، من غير تفريق ، حيث قال الله تعالى « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان اكرمكم عند الله أتقاكم » فما من أمة يكون شعارها التقوى الا ويكون التوفيق حليفها ، والفتح نصيبها ، فتهدي الناس الى خيرهم ، آمرة بالمعروف ، ناهية عن المنكر ، وان كلمتي هذه في الجزيرة ، هي ذكرى لماض لامع ساطع ، أرجو أن ينجم لمعانه من هذه النقطة المباركة ، ومن هذا البلد المبارك الميمون مرة أخرى ، ففيه كانت واقعة مؤته ، وبه كانت واقعة زيزاء ، وبه كانت واقعة اليرموك والرملة ، وبها جال أولئك الفاتحون كأبي عبيدة ، وابن الوليد ، ويزيد بن ابي سفيان ، وشرحبيل بن حسنة ، وعكرمة بن ابي جهل ، ومن تحت أيديهم من أشاوس ، قذفت بهـــم الجزيرة ليحتلوا هذه البلاد التي بارك الله حولها • فالله أسأل أن لا تضل هذه الامة ذلك الطريق ، وان تتمشى عليه ، وان تنبـــذ سيئات الاخلاق ، وقبيح التقليد ، الذي لم يعرض على أبنائها ، الا بهدم طيبهم ، وأخذ خبيث الناس ، والعياذ بالله من ذلك •

ومني السلام على الجزيرة ، وعلى من يقرأ الجزيرة ، وعلى من يهتدي بهدى السلف الصالح •

«عبد الله بن الحسين»

وما كاد هذا العدد الفريد من جريدة الجزيرة يصـــل الى أيدي القراء حتى تلقفته تلك الايدي بحماس منقطع النظير ، وأخذت تمطر قلم التحرير بوابل من كلمات الاطراء والتقدير ٠

وفي غضون ذلك تلقيت مقالا رائعا من اربد مذيلا بتوقيع « مجنون » تناول فيه منشئه بعض المقالات والقصائد والبحوث المدرجة في ذلك العدد بالنقد والتحليل ، وراح يكشف عما تحويه من أخطاء في اللغة والنحو ، وركاكة في الاسلوب ، وضعف في التركيب ، وسقم في التفكير والتعبير ، وقد أرفق المقال بالرسالة التالية :

سيدي الاستاذ صاحب الجزيرة !

أنت لا تعرفني وأنا أيضا لم أحظ برؤيتك وان كنت عرفتك روحيا في أدبك الخصب وأثارك الدسمة التي تفتأ تذيعها في الناس حيثما كنت فتوقظ النيام وتفتح عيون من تراكمت على أبصارهم وبصائرهم أتربـة عصور التأخر والجهل التي مني بها هذا الشرق المسكين ـ تفتح عيونهم على ذخائرهم المنسية وأمجادهم التقليدية العظيمة ٠ واننا لنمتلىء اعتزازا بجريدتك التي أشاعت في هذه البلاد جوا من الثقة بالنفس والشعــور بالرجاء ، وأملا بأن سعيك المشكور في سبيل النهضة الثقافية والقوميـة سيؤتى أكله القريب باذن الله ٠٠

وقد أطلعني صديق على عدد الجريدة الممتاز فسرتني هذه الطفـرة المباركة في الصحافة التي لا عهد لهذه البلاد بمثلها وأحببت أن أعلــق تعليقا مرتجلا على بعض مقالاته ٠ أقصد بذلك قبل كل شيء الى توجيه أنظار الشباب الذين تغذيهم صحيفتكم وتشجعهم الى مواطن الاصابـة والاحسان والخطأ والاسفاف ٠ أريد معه الحق وحده تقويما للسواعد الفتية التي لم تشتد والاقلام الرخوة التي لم تقس والالسنة اللينة التي تستقيم على المران والدربة لعلي بذلك أحمل نصيبي من تأدية الرسالة الثقافيـة التي تحملون مشعلها وتسيرون في طليعة أبنائها والله من وراء القصد ٠

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،

اربد ١٨/١١/١٩٤٠

ملحوظة : أرجو أن يبقى اسمي مكتوما

المخلص

سعد جمعة

دائرة النافعة

ولما اطلع جلالته على المقال المذكور علق عليه بقوله : انه ليسرني أن أرى بين أفراد رعيتي من يمتشق مثل هذا اليراع ، وأن يكون له مثل هذا الحظ من الاطلاع ، وان كنت لا أقر كاتب المقال على بعض ما ورد في مقاله من غمز وتعريض ، ولكن لماذا لا يفصح عن اسمه ويسفر عن وجهه حتى نعرفه فان من يملك مثل هذه الثروة الادبية احرى به أن لا يخفي نفسه ويتوارى خلف اسم مستعار • قلت لجلالته : قد تكون له ظروف خاصة تمنعه من الظهور في الوقت الحاضر ولا بد من أن أبحث عنه وأسعى للاتصال به وأبوح لكم باسمه •••

وأخذت مقالات الاستاذ سعد جمعة تنهال على جريدة الجزيرة فتلقى ارتياح جلالته واعجاب القراء ، وحاولت بمختلف الوسائل والاتصالات أن أعرف شيئا عن شخصية هذا الكاتب الفذ ، فلم أجد الى ذلك سبيلا ، وأخيرا بادرت للكتابة اليه حسب العنوان الذي أرسله الي معربا له عن تقدير الجزيرة وقرائها لنفثات يراعه كما أعربت عن رغبتي في التعرف عليه شخصيا اذا أتيحت له زيارة عمان ، ولم يمض على ارسال الكتاب بضعة أيام حتى دخل علي في مكتب الجريدة شاب طلق المحيا ، بهي الطلعة ، عذب الحديث ، رفيع التهذيب ، تشع من عينيه امارات الفطنة والذكاء ، وعرفني بنفسه قائلا (أنا سعد جمعة) ، وكان لقاءا شيقا أعقبه جلسة ممتعة تخللتها أحاديث متنوعة تناولت مختلف القضايا العامة والشؤون الخاصة ثم ودعني لاضطراره الى العودة الى اربد ليكون على رأس عمله في صباح اليوم التالي •

وقد تركت هذه الزيارة الخاطفة في نفسي أطيب الاثر وتنبأت لهذا الشاب الموهوب بمستقبل زاهر ، وبعد يومين من سفره تلقيت منه الرسالة التالية :

اربد ١٣/١/٤١

سيدي الاستاذ الكبير !

أنا عاجز عن البيان عما يجيش في صدري من الاعجاب بكم •• لقد جلست اليكم بعد أن سمعت عنكم فصدق الخبر الخبر والهمتني هذه الجلسات معاني كثيرة من الخير ووجهتني وجهة جديدة في الحياة ••• وان كان لي أن أقول في هذه العجالة كلمة تعبر عني وتفصح عن مكنون صدري فسأقول بملىء في : انني فخور ـ في غير رجة ولا زجة ـ بمعرفتي بكم والانتساب الى مدرستكم الادبية التي أشرقت على صفحات «جريدتنا»

في هذا البلد المسكين لتبعث في مواته الحياة والنور ·· وأعد وعد صدق ، بأن أكون جنديا بارا من جنودكم أقوم بنصيبي في تأدية الرسالة الكريمة الى الغرض الاسمى الذي تهدفون اليه · راجيا دائما أن أكون عند حسن ظنكم ان شاءالله ·

··· الخطة التي وجهتموني اليها بدأت بدرسها والتهيأ لاخذ نفسي بها ، وستصلكم الكلمة الاولى غير بعيد ··

ثم ·· كنت رجوت أن تبعثوا بالجزيرة الى السيد عزة البنا في اربد وقد رأيت العدول عن ذلك الان ، ـ لاسباب ـ والاعتياض عنه بارسالها الى « مفتش الزراعة في اربد الاستاذ مخائيل بك حداد » ·

أما في عمان فلترسل الى الاستاذ « محمد بك القرعان » مساعد النائب العام كما أوصيتكم ـ قبل ـ ·· والى الاستاذ علي أفندي العطيوي في محكمة الاستئناف ··

وفي الختام أحييكم تحية الحق · والسلام عليكم وعلى من قبلكم ورحمة الله وبركاته ·

المخلص

سعد

ولقد ظل حبل الود بيننا موصولا ، ورسائله تتدفق على « الجزيرة » بدون انقطاع حتى طوحت بي طوائح الزمن فالقتني في غياهب السجون ، ثم قذفت بي الى المنفى · وهكذا أسكت الاستعمار وأذناب الاستعمار صوت « الجزيرة » الداوي قرابة حولين ونصف الحول ، واسكتوا معه أصواتا كريمة كانت تلعلع في سماء عمان : أصواتا تنبض بالايمـــان ، وتنثـــال بسحر البيان ، وتمجـد لغة القرآن ، وتشكو الى الرحمـن ظلم الانسان للانسان ·

وشاء القدر أن أحتفظ بهاتين الرسالتين البليغتين اللتين مضى على ارسالهما نحو ربع قرن لاضمهما الى هذا الكتاب الذي دونت فيه مذكراتي عن حياة الملك الراحل مع رسائل ووثائق أخرى لها علاقة بتلك المذكرات ، وأن يخرج الكتاب بعد ان تسنم مرسلهما كرسي الرئاسة ·

شباب الاردن في الميزان

ولقد تحولت «الجزيرة» في فترة قصيرة من جريدة يومية سياسية الى منبر عام تتصارع فيه الآراء ، وتثار فوقه المناقشات العلمية ، والمطارحات الادبية ، والمساجلات الشعرية ، والحوار الفكري ٠

وبين الذين ساهموا أيضا في هذا المضمار الاديب المعروف الاستاذ عبد الحليم عباس ، وكان استاذا للغة العربية في احدى المدارس الثانوية فقد وافى الجزيرة بسلسلة من المقالات بعنوان (شباب الاردن في الميزان) وبتوقيع نقاب ، تناول فيها حياة بعض الشباب المعاصرين على منــــوال المقالات التي كان ينشرها الاديب المصري الشيخ عبد العزيز البشري في جريدة السياسة الاسبوعية ثم جمعها في كتاب معروف (في المرآة) ٠

وقد أثارت هذه المقالات بعض التعليقات والردود ، وكان يطالعهـــا الملك باهتمام ٠٠ حتى اذا ما قرأ المقال الذي يتحــدث فيــه كاتبـــه عن الاستاذ عبد المنعم الرفاعي تفضل فأرسل الي الكلمة التالية تعقيبا على المقال المذكور وقد نشر في العدد (٩٥٨) من جريدة الجزيرة :

عزيزي الاستاذ تيسير بيك !

قرأت بامعان كلمة الاستاذ النقاب في عدد ٩٥٧ من الجزيرة الغراء عن الاستاذ عبدالمنعم الرفاعي واستعدتها المرة تلو الاخرى فلم أهتــد الى محجة الناقب ولم أبلغ مكان نقده ، فاختلط علي مدحه ونقده ، وسلاسته وتعقيده ، وكان عن الحقيقة من المبعدين ٠ لست أدري يا استاذ أكان يكتب بلسان عربي مبين أم بقلم انهالت عليه التطورات الفكرية من كل جانب فنكص على عقبه وناء بحمله فكان من المقعدين ٠

أبعث اليك بهذه لعلك تعيد لناسبكها وهي منطلقة من أسر التعقيــد وسجون الابهام ، فتسهل علينا فهمها وادراك ما قصد اليه النقاب فنكون لك من الشاكرين ، والله تعالى يحفظكم ، عزيزي ٠

الشونة ٢١ محرم الحرام
المخلص
(٠٠٠)

عـود على بـدء

وفي اليوم التالي من نشر هذه الكلمة في الجزيرة تفضل الفقيد فأتبعها بالكلمة الآتية ، وقد نشرت في العدد (٩٥٩) بعنوان « النقاب يثير معركة حامية ، أديب جليل يشترك في هذا النقاش » قال الفقيد في كلمته وقد ذيلها بتوقيع س٠ذ٠ :

النقاب ، بهذا التوقيع ظهر في الجزيرة الغراء مقال نقدي يبتديء بـ (عبد المنعم الرفاعي) فيقول : طر شاربه الى آخر ما قال ، ولعله أراد بالنقاب (النقاد) أما النقاب فهو هذا : نقب الجدار من باب نصر واسم تلك النقبة نقيب أيضا والمنقبة بوزن المتربة ضد المثلبة ٠ والنقيب العريف وهو شاهد القوم وضمينهم وجمعه نقباء ٠ وقد نقب على قومه ينقب نقابة مثل كتب يكتب كتابه ٠ قال الفراء : اذا أردت انه لم يكن نقيبا ففعل قلت (نقيب نقابه) فهو من باب ظرف ٠ وقال سيبويه : النقابة بالكسر الاسم وبالفتح المصدر كالولاية ٠ والنقيب النفس يقال هو ميمون النقيبة أي مبارك النفس ٠ وقيل ميمون الامر ينجح فيما يحاول ويظفر ٠ وقيل ميمون المشورة ٠ ونقبوا في البلاد ساروا فيها طلبا للهرب ٠

والنقابة البحاثة ٠ وعلى ذكر النقابة نقول اننا كنا في سنة معرفيقين لنا عزيزين رأى أحدهما في الارض دينارا فانحنى ليأخذه فقال له الاخر : والله انك لكالدجاجة رزقها في رجلها ـ تبحث وتنقب وتأكل ، فمال عليه الآخر صفعا وضربا فحلنا دونهما وأصلحناهما بتقسيم الجنيه بينهما حيث ان اللقطة لمن لقطها ، وأما نصف الجنيه فكان جزاء للصفعة ٠

والنقاب غطاء الوجه أو البرقع ومن هذا قيل النقاب بكسر النون وفتح القاف وألف بعدها للباحث المتوغل في البحث الكاشف من الامور ولم نر صاحبنا النقاب الا انه عاكس هذا الوصف فهو اختفى اكثر من ان يظهر وأحب أن يستتر تحت هذا المظهر ٠

ولقد رأينا (النقاب) يذكر بعضا من أشكال عبد المنعم الرفاعي وشمائله فكأنه أراد أن يعرف من نأى عن عمان بالشاعر الشاب ولو وضع على رأس المقال صورة شمسية لعبد المنعم لكان وفر على نفسه بعض النقب ٠ ولعله قد سر المراقب العربي لهذا الوصف فلم يعترض على هذا القسم من النقب الجديد ٠ والنقب أيضا الربع أو الثنيه وهو

صغير العقبة في مسالك الجبال • وقال الناقب انه كان يحب ان لو سقط بيت من القصيدة لانه عده التفاتا من الشاعر نحو نفسه ، والشعر كله التفات حول النفس في القديم والجديد ولولا الشعور بالنفس لما كـان الشعــر •

ومن بواعث الشعر الشعور والاهتمام بالنفس واللف حولها وقد كانت للرفاعي مشكلة بالكلية الامريكية ببيروت كاد يخرج منها لولا التمـاس الامير وقبول العميد هذا الالتماس (١) فهي منة يذكرها الرفاعي بـكل مناسبة مما دل على حسن طويته • ولو نقب الناقد عن هذا لما تمنى سقوط البيت •

وقال النقاب عن عبد المنعم في ذكر القائه (وهو اذ يلقي عليك القصيدة لا يلتفت الى محاسنها الذاتية) والشعر معنى لاذات فان المحاسن الذاتية في الخيالات المعنوية فلننقب عن الناقد لنصل الى مراميه لعلنا لا نجد أنه ظن الفهم وهو غير فاهم • أما الجزيرة الغراء فعليها الجواب حتى يضـع النقاب اسمه تحت ما يـكتب ، والا فالمخاطب هو صديقنا تيسير بك ظبيان المحترم •

الجزيرة ـ النقاب على وزن كتاب بكسر النون (لافتحها كما توهم الكثيرون) وهو العالم بالاشياء الباحث عنها الشديد الدخول فيها ، قـال أوس بن حجر :

نجيـح مليح أخو ماقط

نقاب يحـدث بالغائب

(١) كان الاستاذ عبد المنعم قد اشترك في احدى المظاهرات الوطنية التي أعدها طلاب الجامعة الامريكية في احدى المناسبات ، وكاد يقصى بسببها عن المدرسة لولا وساطة الامـير •

مساجلة بين الملك والنقاب

، وقد تفضل الملك فاتصل بي هاتفيا في ادارة جريدة الجزيرة وسألني عما اذا كان الكاتب المعروف بأسم (نقاب) قد بعث برده على تعليق سموه فأجبته بالايجاب وقلت انني الان عاكف على تصليح بروفة هذا الرد ، فقال : ـ اياك ان يطبع عدد الجزيرة قبل أن أطلع على الرد ٠

وفي أقل من نصف ساعة أرسل الي تعليقه البليغ على رد النقاب وأشفعه بتشطير رائع لقصيدة المتنبي في وصف الاسد ، وقد نشرت كلمة الاستاذ النقاب وتعليق الفقيد الكبير عليها في نفس العدد ٠

رد النقـــاب :

أما رد النقاب على كلمة الملك فقد جاء فيه :

هذه ليست ردا على ناقدي الكرام ، فليقولوا ما يشاؤون ، وليكتبوا ما يحلو لهم ٠ فلعلنا بعد هذا كله ، لسنا مختلفين بقدر ما يظنون ، ما زال رائدنا البحث عن الحقيقة وخدمة الجيل بخدمة الادب الذي لكأني أنظر اليه وقد ازدهر واتى أكله بعد حين ، تحت الرعاية الملهمة من لدن سيدنا حفظه الله ٠٠٠ وانما أنا أقصد من هذا الرد توضيح ما قد يكون غامضا في رسالة الافاضل ، الذين تكرموا فقرأوا ما نشرت ، ثم لم يبخلوا في التعليق على ما ظنوه خطأ ، في زمن يحمد فيه القارىء على كل حال ٠

أما حضرة الناقد الاول ، فيلوح لي من رسالته أنه من رجال الفعل لامن رجال القول ، وعلى هذا فتقدير الكلام ، خارج ـ عن دائرة اختصاصه ـ كما يقولون ، أما هذا الاسلوب الذي نكتب به ، فليسأل اعلام البيان عن قيمته ومن أي اخلاف الفصاحة يرضع ٠ وقد كنت اتمنى أن أقوم له بما طلب ، وأعيد له سبكه ميسرا سهلا ولكن عدم علمي الى أي حد يجب أن أقف في هذه السهولة والتبسيط حال دون ذلك ٠

أما حضرة الناقد الجليل (س٠ذ) ففي كلمة نقاب ومشتقاتها لن أدخل معه في نقاش لانه هو فسرها ـ أطال الله عمره ـ وأي معنى من هذه المعاني التي أفاض بها حملها عليه ، صح وجاز ، فهو لم يرد النقد في هذا ، وانما أراد ان يمتعنا ببحث لغوي ، نشكره ويشكره معنا القراء ٠ فما زالت الامة بحاجة الى هؤلاء المنقطعين الى اللغة ، يحفظونها من عبث

العابثين ، وتجني المتطرفين فلهؤلاء تجلتنا واحترامنا فهم جند لغة المجهول ·· ولكني أحب أن استطلع رأيه في قوله : كان علينا ان نضع صورة الشاعر الشاب بدلا من وصفه ، تلك جديرة ان يعرف من نأى به ·

من أجمل القطع التي قرأتها ، وصف لامرتين الى ـ رفائيل ـ انها آية ، ومع هذا فرفائيل ، يعرضها مدلا بها ، ومدلا معه بها الادب الافرنسي ··· ولا يكتفي بعرض صورة رفائيل الفوتوغرافية ، والمنقولة عن متحف اللوفر ·

أترى صورة الذئب يا استاذ ، تغني عن قصيدة البحتري في وصفه ؟ أم ترى ان الادب العربي ، لا يخسر كثيرا ، لو انتزعنا منه قصيدة المتنبي في الاسد ، ووضعنا بدلا منها صورة للاسد نفسه ·

وهل من الفن أن نطرح وصف ايوان كسرى ، للبحتري أيضا ، ونضع مكان القصيدة صورة للخرائب ـ كما تعلمنا اياها كتب الجغرافيا ·

يا استاذ ، لقد داعبت عبد المنعم بوصف بسمته ، فهل تقدر الصورة الفوتوغرافية ان تظهر شيئا من هذا ···

أما بيت « ضمني في الشباب منك حنان » فتعليقي عليه كان هكذا : تمنيت ان يسقط هذا البيت ، لانه يصور أن الذي أنطقه في هذه القصيدة هو هذا الحنان ، مع انه ليس الامر كذلك ، في نفس عبد المنعم ، التي نطالعها من وراء الالفاظ هو خيال سيدنا صاحب السمو ادامه الله ، شاعر من الشباب ، ينطق بلسان جميل من الشباب ، يطريه عبد المنعم ـ بالذي هو أهله ـ للمنن التي يطوق بها لا للمنن التي يطوق بها الشاعر فحسب · اردنا أن نقول هذا ، وأكثر منه ولكننا اجتزأنا منه بلمحة خاطفة · ان التفصيل في الصورة يضيع بهجتها ولنا اسلوبنا لا نتنزل عنه·

لا أحب أن أختم هذا المقال دون أن أشير الى جملة وردت في نقدك ، لعلها ندت عفوا ، أو أن عمال المطبعة حرفوها عن غير قصد وهي لعلنا لا نجد أنه ظن الفهم ، وهو غير فاهم ، ··· ما هذا ؟ السنا في معركة حول اللغة والادب ··· سامحك الله ـ وان سمحت لصاحب الجريدة ان يعلن لي اسمك ··· زرتك في عمان ، والسلام ·

نقـــاب

تعليق الفقيد على كلمة النقاب

أما تعليق الفقيد وقد نشر في نفس العدد فهو :

أي نقاب ، اليك هذا التشطير ٠٠٠

أي نقاب ، لقد شاء الله وعدنا ، ولفضله حمدنا ، فشكرناك لشكرك، وذكرناك بخير لادبك ٠

أنت تقول لـ (س٠ذ) انه من جند اللغة المجهولين فذكرتنا بذكرك للمتنبي قصيدته وهي هذه مشطرة فطب نفسا وقر عينا ٠ وقد أوضحت ما أراده المتنبي من وصف للاسد ، وما كان عليه اجداد هذا النسل من بأس وصرامة ، أما البحتري وذئبه فشعر (حضري تبدي) فدعه هناك ٠ أما الرسم فاثبات بصورة معينة بتفاصيلها ومجموعهـــا وأما الوصف فاثبات لخلق وخلق من دماثة وشراسة ، فالمتنبي ذكر ممدوحه وصفاتـه وكيف انهقهر الاسد بالرغم من شراسته ووثباته ، وصور خيالا يقرب من الجبان ويوصل الشجاعة بالشجعان ولقد شرح التشطير ما غمض مما يخفى على الكثير وقد قال المتنبي في بيت له من هذه القصيدة :

(ويدق بالصدر الحجار كأنه) خالد من معلـوم فضاق على المتنبي المجال وهو يريد أن ينعت السبع في حالته تلك بالزحف فضل فاستعمل الدق ٠ فانتبه ثم قال : (تاركا في عينه العدد الكثير قليلا) أفلا ترى مع الجندي المجهول انه استعمل صيغة عامية ليست من الفصاحة في شيء ٠

أما أنت فقد أحببناك ، وبالرغم من توريتك غير القوية استملحناك فان شئت زيارتنا بعمان ، أو بعاصمة غامد وزهران فمرحبا بك وأهلا :

(أمعفر الليث الهزبـــر بسوطه)	أنت الذي يحمي هناك حلـــولا
أرديتــه بالسوط حـين رأيتـــه	(لمن أدخـرت الصـارم المسلولا)
(ورد اذا ورد البحيرة شاربـــا)	لا ينبغي للماء منـــه دليـــلا
واذا دنا متزمجـــرا وبتيههـــه	(ورد الفرات زئـيره والنيلا)
(متخضب بـدم الفوارس لابس)	سمت السباع ولات ذاك دخيـلا
وله على عرش السباع مهابـــة	(في غيلـة من لبدتيه غيـــلا)
(ما قوبلت عينـاه الا ظنتـــا)	شهب السماء تخط ثـــم ذيـولا
اوخالها الرائي وقد لمعت لـــه	(تحت الدجى نار الفريق حلولا)
(في وحـــدة الرهبان الا انـــه)	أسد يصول على الكمـاة نـزولا
ليث هزبر أغلب متكـــــبر	(لا يعـرف التحـــريم والتحليلا)

(يطأ الثرى مترفقا من تيهه) فيرى ضئيلا بعد كان مخيلا
وخلال ذاك أطيطه وكريره (فكأنه آس يجس عليلا)
(ويرد عفرته الى يأفوخه) رد المشجع سادرا مخبولا
ويردها عمدا وقد يزهو بها (حتى تصير لرأسه اكليلا)
(وتظنه مما يزمجر نفسه) أن ليس في الدنيا سواه صؤولا
وتراه خاطر بالحياة وقد يرى (عنها لشدة غيظه مشغولا)
(قصرت مخافته الخطا فكأنما) شبر لمن رام التقدم ميلا
والخيل تخشى قربه وكأنما (ركب الكمي جواده مشكولا)
(القى فريسته وبربر دونها) فل الفوارس لا يرون مقيلا
أقدمت وحدك نحوه وصدمته (وقربت قربا خاله تطفيلا)
(فتشابه الخلقان في اقدامه) فظفرت أنت وآب منه قتيلا
أسدان هذا مثل ذاك شجاعة (وتخالفا في ذلك المأكولا)
(أسد يرى عضويه فيك كليهما) وجنانه أنعم بذاك بديلا
فارتاع حين رآك تحمل صائلا (متنا أزل وساعدا مفتولا)
(ما زال يجمع نفسه في زوره) يبغي الوثوب ولات ثم وصولا
فالتم ثم تجمعت أوصاله (حتى حسبت العرض منه الطولا)
(ويدور بالصدر الحجار كأنه) يصطاد وعلا اويريه رعيلا
ويمس بالزور الرغام فخلته (يبغي الى ما في الحضيض سبيلا)
(وكأنه غرته عين فادني) وثوى لوثبته وآب كليلا
قد كان قبلك صائلا متمردا (لا يبصر الخطب الجليل جليلا)
(أنف الكريم من الدنية تارك) خلق الذليل لمن يكون ذليلا
يلقى الفوارس كالبغاث جميعهم (في عينه العدد الكثير قليلا)
(سبق التقاءكه بوثبة هاجم) قد رام من للمجد كان سليلا
كالبرق يجتاز المسافة عاجلا (لو لم تصادفه لجازك ميلا)
(في سرج ظامئة القصوص طمرة) من نسل أعوج ما عدته فتيلا
تزهو بفارسها اذا حمى الوغى (يأبى تفردها لها التمثيلا)
(نيالة الطلبات لولا انها) سباقه طلباتها التعجيلا
والعنق منها طال لولا انها (تعطي مكان لجامها مانيلا)
(تندى سوالفها اذا استحضرتها) والعرف منها قد يرى مجدولا
لا تبتغي حثا الى ميدانها (ويظن عقد عنانها محلولا)
(خذلته قوته وقد كافحته) بالسوط حتى راح عنك عليلا

قـد حقق الاقدام حتفا عاجـــلا ⁂ (فاستنصر التسليم والتجديلا)
(قبضت منيتـه يديـه وعنقـــه) ⁂ من بعـــد ما اشبعتـه تنكيـلا
قهـرت مهابتك الشراسة فـادري ⁂ (فكأنمـا صادفتـه مغلـولا)
(سمع ابن عمتـه به وبحالـــه) ⁂ وغـدا يفر الى العرين دخيـــلا
لا يرعوى مما به غسق الدجـــى ⁂ (فمضى يهرول عنك أمس مهولا)
(وأمر ممـا فر منـــه فـــراره) ⁂ فضح السباع فصبره قـــد عيلا
يا ليتـه لاقاك قبـــل مثيلـــه ⁂ (وكفتله أن لا يمـوت قتيـلا)

وقد علق عليها الاستاذ عبد الحليم بمقال ، قارن بين القصيدتـين وأثنى على القصيدة ، مما كان له أجمل الاثر في نفس الملك ٠

الشعر فيض من الاحساس

ومن الروائع التي جادت بها قريحة الملك والتي تعطينا صورة صحيحة عن عاطفته المشبوبة ومشاعره الرقيقة قوله معارضا لاحدى القصائد :

« ليس الحبيب الذييأتيك مؤتزرا ⁂ مثل الحبيب الذي يأتيك عريانا »
في الحب يحلو متى تبدو محاسنه ⁂ والشوق يسكن ان دانيت نشوانا
هـــذا يمتعنـــي بالانـس آونـة ⁂ وذاك يقتلني بالهجـــر أزمانـا
قبل حبيبك عريانا ومؤتـــزرا ⁂ قبلـه واحمله ثم اهجره احيانا
يا رب شخص جميل الشكلالحظه ⁂ لـدى مخالطـة تلقـاه عفنانـا
ورب شخص قبيح الشكل تلمحه ⁂ لـدى معاشـرة تلقـاه فتانـا
والشعر فيض من الاحساس منبعه ⁂ روح تفيض به للناس تبيانـــا
رأيت ظبيا غرير الطرف ساجيه ⁂ يا حسن مبسمه يا حسن اجنانا
ضل السبيل الى دار فحـــيره ⁂ دللته فشكرني جل انسانـــا
اسق الحبيب على ظمأ له عللا ⁂ اسق الحبيب لكي تلقاه ريانا
واشرب صبيبة كأس في علالته ⁂ اشربه يا صاح لا تطلبه ملآنا
يا سقم الحاظه من بعد سكرته ⁂ والجفن منه ثقيل الطرف وسنانا
الشعر شعر مليك سنـه عظـــة ⁂ ان كان في غضب أو كان فرحانا
البشر يعلو محيـاه وطلعتـــه ⁂ كل لـه قسمـة من عطف مولانا

قصيدة كادت تسبب ازمة وزارية

كان الشاعر الكبير الشيخ فؤاد الخطيب والمعروف بأسم شاعر الثورة العربية يشغل منصب مستشار خاص للملك ، وقد قام نزاع بينه وبين السيد توفيق ابي الهدى رئيس الوزارة تأصلت جذوره ، وكانت تبرز مظاهر هذا النزاع في مناسبات مختلفة ، وبدا بنوع خاص عندما نشر الشيخ الخطيب قصيدة في جريدة «الجزيرة» بعنوان «القلم الشهيد» بتاريخ ١٠/٢/١٩٤٠ وجاء في مطلعها : ـ

خذوا بيدي فالدهر جاشت غواربه … وأنبأ عن آتيه بالشر ذاهبه

وجاء فيها :

فيا قلمي هذا العدو فانه … تشمر والتثت عليه كتائبه
مسددة نحو القلوب سهامه … مجردة فوق الرقاب قواضبه
فويحك لا تبئس لديه بنأمة … تحرك من أضغانه وتغاضبه

وجاء في ختام القصيدة :

فوالله ما الثكلى يساق وحيدها … الى ظلمات القبر وهي تراقبه
بأوجع مني يوم ألقيت من يدي … يراعي وضاقت بالقريض مذاهبه
فيا قلما في الغور «١» فاض بيانه … فكان كعفو الله تترى سحائبه
ملكت على الخصم اللدود سبيله … فبات وقد عزت عليه مهاربه
أرادك فالتاثت عليه أموره … ورامك فاستعصت عليه مآربه
فخافك مسلولا وهابك مغمدا … فأنت على الحالين حرب تناصبه
فلا زلت سيفا في يد الحق مرهفا … تطوح بالباب البغاة مضاربه

وبعد صدور العدد الذي نشرت فيه هذه القصيدة استدعاني السيد توفيق ابو الهدى بوصفه رئيسا للحكومة وعاتبني على نشر القصيدة فأبديت دهشتي وسألته السبب فقال : انك لا تعلم ما بيني وبين هذا الرجل (يعني الشيخ فؤاد) من خلاف مستحكم ولولا حرمة الامير لاتخذت أشد الاجراءات بحقه ، وقد تعرض لي في الابيات الاخيرة وهجاني هجاء مقذعا ... قال ذلك بلهجة حادة ثم تلا الابيات التي يعتقد أن الشيخ يعنيه بها ..

---

(١) يقصد قلم الملك في غور الشونة حيث كان يمضي ملك البلاد أيام الشتاء .

فقلت : ان ما تقولونه لم يدر في خلدي قط ، لا سيما بعد أن أنشد القصيدة أمام سمو الامير ووافق على نشرها • فقال لا بأس ، فأنا سأتوجه الآن الى الغور للتفاهم مع الامير ثم أردف قائلا : •• «وأنا أطلب اليك بعد الآن أن لا تنشر شيئا للشيخ فؤاد ، والا فتعرض نفسك للمسؤولية وأنا أعني ما أقول» ، ثم نهض غاضبا وحمل حقيبته في طريقه الى الغور •

ولم يمض على هذه المقابلة نحو ساعة حتى اتصل بي الملك من الشونة بالهاتف وقال لي : ماذا فعل بك أبو الهدى ، فرويت له ما دار بيني وبينه من حوار وكيف انذرني بعدم نشر شيء للشيخ فؤاد فقال : لقد جاءني المذكور (أي أبو الهدى) قبل هنيهة محتجا واعرب عن رغبته في رفع استقالته اذا لم اضع حدا لتحامل الشيخ ، فهدأت من روعه ، وطيبت من خاطره ، وأكدت له بأنه ليس هو المقصود في أبيات الهجاء اذ كيف أسمح لاحد بأن يهاجم رئيس حكومتي ، فاقتنع وعاد الى عمان راضيا •

ثم قال سموه : «وانت لا تأبه لوعيده فلك أن تنشر ما يصلك من شيخنا وسأبعث اليك مساء قصيدة من نظمي ردا على قصيدة الشيخ فؤاد ، ثم انني ارسلت برقية الى الشيخ أعرب له عن اعجابي بقصيدته» وقد أطلعني فيما بعد الشيخ فؤاد على برقية الملك وقد جاء فيها (ان القصيدة الهام من الله) •

وفيما يلي نص قصيدة الملك وفيها غمز من قناة ابي الهدى وتعريض به : —

من القلم الحي الى القلم الشهيد

عروض وفيه البرق سحت سحائبه ... ونو غريب النبت جاشت عجائبه
حوافل مزن مثقلات دوالج ... يجلجل فيها الرعد ضجت جوانبه
نحيي يراعا من اديب مفوه ... وفي الشعر بحر قد تسامت غواربه
وللآل فخر أن يكون لسانهم ... فؤاد وجاء الخصم عمدا يواثبه
يذود عن الحق المضاع ولا يني ... له قلم كالسيف من ذا يضاربه
هو القلم الحي المؤيد بيننا ... فأنعم به بالا كحسان كاتبه
به نرتوى عذبا زلالا وسائغا ... اذا الخصم بعد القول خابت مشاربه
يظن بدائيا اذا لان متنه ... بأن قد أتاه غير ند يداعبه
ولكن متى ما هاج أوجد جده ... يريه نجوم الليل ظهرا يحاسبه

فلا تبتئس فالفضل فيه مؤثـــل ... وديعة ملك لامعـــات كواكبـــه
فما القلم الغورى الا مـــدرب ... مقـــر بفضل للخطيب يواكبـــه
فبشر بني قحطان أنت خطيبهـــم ... وشاعـــر عدنـان تعالـت مراتبـه
فما ادب فيه كشخصك قـــادر ... عليـــه فضاعت أو تداعت مضاربـه
الست الذي حيا الشريف بمكـــة ... وحييـت بيت الله كنت تخاطبـــه
وللعلم المرفوع جئت محييـــا ... وحييت جيشا كنت أنت تجاذبـه
فما بخلوا في يوم روع وليلـــة ... وجـادوا بأرواح وتلـك مطالبـه
فبشراك قد لباك قـــوم عرفتهـم ... وجربتهم والخصم جاشت كتائبـه
أعوذ بربي أن تخور عزائـــم ... وفي العرب ليث لم تقلم مخالبـه
وذي لجب حر شديد زحامـــه ... سومت صهيـلا سوده واشباهـــه
ينافـح عن عليا معـــد ودابـــه ... يجاهد من رام الحمى ويكالبـــه
يلاقي به جمع العدو مصائبـــا ... وبالنصر والتوفيق عـــادت هواديه
فوالله لولا من تصدى لفرقـــة ... وشتت سعيا والشتات جلائبـــه
لما كان مما قلت تندب أمـــة ... وما قمت واستوحشت من كنت صاحبه
اذا الليث أخلى الغاب يوما لقيته ... وقد رفعت صوتـا بليـل ثعالبـه
وما تستوى سود الليالي وبيضها ... وما يستوى في الورد قاص وكاربه
وما يستوى البحر ان عذب ومالـح ... ومـا تستـوى حيتانـه وعقاربـه
وللحق مداح حقيق وطـالـــب ... وللظلم قصـــاد وللنكث عائبـــه

لسان الآل يتكلم

وقد أثارت هذه القصيدة الرائعة شاعرية الشيخ فؤاد فجادت قريحته بهذه القصيدة الخالدة يحيى بها سمو الامير والبيت الهاشمي ، ويذكر شذرة من تاريخ النهضة وبلاء سموه فيهـا :

هو الفلـك الـدوار نهنـه صاحبـه ... فقـر ولاذت بالخشـــوع كواكبـه
فقد سمع الصوت الذي فيـه رنـــة ... من الوحي من بيت النبوة صاحبـه
تدفـق بالاعجـاز في القـــول ملهمـا ... فهش كتاب الله واعتـــز جانبـه
وكبر لله الحجـــاز وأوبـــت ... مع البيت بالترتيل فيه أخاشبه(١)
كأنك بالدهـــر استدار بوثبـــة ... وأشرق نور يملأ الكـــون ثاقبـه

● ●

ومن شـد من أزر البيان فانـــه ... يشد عرى الايمان والختل حازبـه

(١) جبال مـكة .

وهـل ثقف التنزيـل غـير مثقف	وهل اخطات غير الجهول عجائبـه
وقـد بات سخف القول حياة مارق	تدب الى المرمى البعيـــد عقاربه
وقد زعـــم المعنى على الناس حجــة	فما الهدم الا بعض ما هو طالبه

◉ ◉

فيا ابن رسول الله غـير مدافـــع	رددت على التاريـخ ما الافك سالبـه
ولولاك لـم تلـق الحقيقة موئـلا	ولولاك ضاقت بالاديـــب مذاهبـه
واني لســـان الآل أنطق باسمهـم	ومن رامهم بالسوء فالله غالبـــه
هـم الاهـل المعقـود للعـــرب في غـد	وهم رفعوا الركن الذي انهال كاتبه
وان كنت حييـت الشريـــف بمكـــة	فما انفك حيا فيك غـــر مناقبه
واني على العهد القديم ولـــــم يكن	لينكص الا قائل الـــرأي خائبه
فانت الذي قد ذاد عن قومــه الاذى	وانت الذي سحت عليهم مواهبـه
حملت الحسام العضب دون ذمارهم	فسلت شباه الكاشحين مضاربـــه
وكنت مناطا[١] للسياسة عندهـــم	وقد صدقت في كل أمر تجاربـه
سلكت الى استقلالهم كل مـــأزق	تشق على غير الامير مساربـــــه
فما زلت حتى جئتهم غير مخفـق	بتزكيـــة ممـــن لبثـت تواثبـــه
أقر بها قد كان بعد تذبــــذب	ولولاك ضلت بالعقـول ذبابـــــه[٢]
فهل يذكر العرب الذي قد بذلته	قديما أهـم أم يطمس الحق غاصبه
وهل كان غير الامس لليوم صورة	اذا صح للتاريخ حكـم نراقبـــه
نهضت ولم تطمع بتاج مزخـــرف	اذا جذبت بعض النفوس جواذبـه
وحسبك ما اسديت للعرب من يد	وحسبك فضل انت وحـــدك كاسبه
وفي الناس من يحيا بعقـــل وحكمة	وفي الناس من كالناس والعقل عازبه
وفي الخلق ذو حظ وفي الخلق غيره	وفي الخلق من ضاقت عليه مساربه
أرى الفلـــك الدوار بعـــد تأمـــل	لـه سنة شدت عليهـــا لوالبـه
وذي ميـع غض الشباب رايتـــــه	وقد خانه دهـــــر وللحسن سالبه
ورب دميـم بعد شيب وجدتـــه	لـه حظوة عند النســـاء تلاعبـــه
وخابط ليل أو مجـــد بسحـــره	فلا هو يدري ما تكون عواقبــــه
توكل عـلى رب البريـــــة كلهـــا	وسلم فرب الناس ما خاب طالبـه
وصل على رب البريـــة كلهـــا	مع الآل والاصحاب نجنـي تعاقبه

---

(١) كان سمو الامير وزيرا للخارجية في حكومة الحجاز والشيخ فؤاد معاونا لسموه ابان النهضــة العربيــة ٠

(٢) الذبذبة ما يضطرب في الهواء ٠

وبعد أن اطلع سموه على هذه القصيدة اتصل بي هاتفيا في صباح الاربعاء الواقع في ٢١ شباط ٩٤٠ وخاطبني قائلا : لقد احسنت صنعا بنشر قصيدة الشيخ برمتها فهي قصيدة عامرة الابيات ، مشرقة الديباجة ، سامية المعاني والاهداف . قلت لسموه ولكن علمت يا سيدي بأن القصيدة الاولى التي نشرها الشيخ بعنوان (القلم الشهيد) والتي أثارت استياء ابي الهدى هي قصيدة قديمة سبق نشرها في مجلة (المنتدى الادبي) التي كانت تصدر بالاستانة في عهد الاتراك . وقد أخبرني بذلك السيد أبو الهدى وقال أنه يحتفظ بنسخة منها . . فقال سموه بانفعال : يظهر أنه (يعني أبا الهدى) يحاول الحط من قيمة القصيدة واضعاف شأنها وايغار صدرنا على شاعرنا وما دام الامر كذلك فأمسك القلم واكتب ما أمليه عليك ، وقد أملي سموه الابيات التالية وقد ارتجلها ارتجالا وهو ممسك بسماعة الهاتف :

يقولون جاء بشعر قديم … فقلت الجديد لنا والقديم
وما ضرنا سابق من كلام … فمرجعه نحن وهو النديم
لشاعرنا سنة سنها … وسنة شاعرنا تستديم
فوالله ما عابه قوله … ومعناه في الشعر معنى سليم
اجب عنه صدقا بلا ريبة … فشاعرنا الشيخ وهو الحميم
لئن رد قولا له نحونا … قبلناه وهو لدينا كريم
فكم من قصيد له دبجت … يراعته نعم منشي النظيم
له في العروبة ديوانه … وفي نهضة قوله المستقيم
لقد زاده فعله قربة … اراد الجديد لنا والقديم

وأود أن أعترف بهذه المناسبة بأن هذه المساجلات الشعرية بين الامير وشاعره الشيخ على صفحات (الجزيرة) قد تركت أسوأ الاثر في نفس السيد أبي الهدى المعروف لدى خصومه وأصدقائه على السواء بأنه شديد في خصومته ، مسرف في أحقاده ، وكان من اولى نتائجها ومضاعفاتها ما حل بي وبجريدتي في غضون الحرب الثانية ، وليس هذا هو المجال الذي يجب أن يتناوله البحث في هذا الموضوع ، فلكل مقام مقال ، ولكل نبأ مستقر ، وسيشتمل كتاب (ألقو ادم الخوافي) على تفاصيل وافية عن شخصية الحكام الذين تعاقبوا على الحكم في عهد الملك عبد الله .

بين الملك والشاعر عرار

كانت تربطني بالشاعر المعروف الاستاذ مصطفى وهبي التل أحد جلساء الملك (وكان يطلق على نفسه اسم عرار) صلات قديمة فقد كان زميلي في الدراسة في المدرسة التجهيزية الثانوية في دمشق التي كانت تعرف باسم (مكتب عنبر) عام ١٩١٨ ثم جمعتنا زمالة التدريس في الاردن ، وتجددت هذه الصلات لدى عودتي الى الاردن واقامتي فيها عام ١٩٣٩ · وحينما أصدرت العدد الممتاز من جريدتي (الجزيرة) في تشرين الثاني ١٩٤٠ كان في طليعة الذين أسهموا في الكتابة فيه فقد بعث الي بمقال عنوانه (أنا الثاني ـ تعليقات على هامش حياتي) استهله بقوله : بيني وبين الاستاذ صاحب الجزيرة عهد يرجع أمده الى أيام « فارس البيت الاحمر[١] » وعلى رأي رؤبة بن العجاج او العجاج بن رؤبة الى « أيام أدماء تنوش العلفا » · · وكان شاعرنا يتردد من حين لآخر على مجالس الملك عبد الله ويصول ويجول في شتى المباحث الادبية واللغوية والمساجلات الشعرية ، وقد رأيت أن أضيف الى هذا الباب بعض ما دار بينه وبين الملك عبد الله من مطارحات ومساجلات وحوار اقتبستها من كتاب (عرار شاعر الاردن) الذي أصدره الاستاذ البدوي الملثم · · ·

وكان للملك رأي خاص في شاعرنا وشذوذه ويتلقى هذا الشذوذ الذي كان يبدو في تصرفاته والانحراف في طباعه وخلقه برحابة صدر ، ولم ألق في مجلس الملك من يقدم على التدخين سوى (عرار) · ·

وقد تحدث الملك عن هذا الشذوذ وذلك الانحراف في كلمة بخط يده قال فيها :

« انك يا (مصطفى) لمجموعة من متناقضات تعتز بها في عيني · الصخب والشغب ، والرضى بعد الغضب ، خصم الاقوياء ، رفيق الضعفاء ، كريم في فاقه ، نهاب وهاب ، فقير في نفسك ، غني في صحابك ، لا أدري عن عقيدتك ، لكنك غيور على ملتك ، اقليمي مفرط ، عربي متشطط ، اذا مات خصمك رثيته ، واذا احتبس عليك صاحبك ربما هجوته ، هذه صفات متناقضات ، تكونت فيك واجتمعت ، فاذا كانت ناحية

---

(١) يشير بذلك الى كتاب بهذا العنوان استعاره مني الشاعر ووعد بأن يوافيني برأيه في هذا الكتاب ولكنه لم يفعل ·

منك تغضب فنواح كثيرة منك أخرى ترضي ، فأنت عقدة العقد ، تشبه الصوف الملتف بالشوك ، فمنذا ينقيك ؟ » .

مداعبة : وفي صباح يوم من أيام أيلول يمم (عرار) الديوان الملكي ودخل على الملك ثملا مخمورا ، فأشفق جلالته عليه وأمسك بقلم وقرطاس وداعبه بقوله :

اشرب فشربك هذا اليوم تحليل ... وانف الهموم فقد وافاك (ايلول)
اما ترى الشمس وسط الكأس طالعة ... منيرة ونطاق البدر محلول ؟
وفي المكان مليح القد مائسه ... مالت ذوائبه والثغر معسول
يوليك ما شئت من ضم ومن قبل ... وحسبنا نعمة ضم وتقبيل
بالطرف يغمز أن تأتي تسامره ... اسمع اطع قبل أن يغشاك تحويل
وان تضيع فرص اللذات سانحة ... فقد حرمت وبعض العيش تنويل
احبب بليل زهته انجم طلعت ... باليمن قد صعدت والسعد مأمول
صوت قوى سمعت الليل ايقظني ... يا حسنه فيه تكبير وتهليل
يؤمه راكب يزجي مطيته ... اعاقل هو ام في العقل تخبيل ؟
يمشي الى قبلة الاسلام يقصدها ... يقول : هيا الى الاعداء تنكيل
لم يبق في الوطن المظلوم باقية ... ابادهم ظالم للناس ضليل
يمشي الى قبلة الاسلام يقصدها ... كما مشت قبله طير ابابيل

تأنيب : ولحظ جلالته في نزهة قام بها بين مخيم (غور نمرين) وعمان و (عرار) في معيته ان رائحة الخمر تفوح منه فتأذى وخاطبه مرتجلا :

(صبوح) بصبح انه لقبيح ... لصوتك منه بحة وفحيح
الست ترى ان الشراب كثيره ... مميت وحد الموت منك قبيح
اذا كنت في ركب كريم فحاذرن ... تناوله ان الشراب يبوح
فنكهته تربو على كل عبقة ... ونشوته وثابة وتصيح
فمن خمرة العينين فانهل فانها ... حلال زلال والصحيح صحيح
يفيق صريع الكاس عند زوالها ... ولكن صريع العين بات ينوح
فكم للعيون النجل من ذي كلالة ... وكم للعيون السود بات طريح
فما كل من رافقت للخمر صاحب ... وليس اليها صاحب ونزيح
حرام ضلال في شريعة (أحمد) ... وقتالة عند الطبيب تزيح
فرعها برب البيت لا تشربنها ... نصيحك هذا اليوم جد نصيح
فيا (مصطفى) دعها ولا تشربنها ... لجوفك منها وقدة ولفيح

تقريع : وتلقى (عرار) ذات يوم دعابة من صديقه الشيخ محمد فال فأجابـه بقولـــــه :

يا (شيخ) حسبك جدا انهـــا لعـب دنياك والناس من (تقـواك) قد تعبوا

فـــرد الملك على (عرار) بقوله :

فاللهو واللعـــب في الدنيـا مناسبـة لمـن يكــون تقاه الهـــــم والنصب
وانت انت عـلى مـا كان من خبـر موسوس لا تـــرى الدنيـا كما يجب
فتـــارة غاضـــب يشكـــو زمانتـه وتـــارة لبيـــوت[1] الخيش ينجذب
(دلعونـة) في بيـوت القـوم ارمقهـا اذا دعتــك فسـير بعـــده خيـب
لا تنثني (عصطفى) عـن وقت دعوتها تسعى اليهـا بكأس فوقـه حبـب
ولـو دعـــاك مليـــك النـاس حينئذ لقلت عفـــوا فان الناس قد ذهبـــوا
لشرب كاس على الانمــــاط مترعـــة من كفها فهي في الحلقوم تنسكـــب

زجـر وعقاب : وذات يوم غضب الملك على (عرار) فأمر بمنعه من الزيارة فكتب الشاعر الى صديقه الشيخ (حمزه العربي) هذين البيتين وطلب ايصالهما الى جلالته :

يا ايهـا الرجـل المرخـــي عمامتـــه هـذا زمانك انـي قـد مضـى زمني
أبلـــغ خليفتنا ان كنت لاقيـــــه اني لدى الباب كالمصفود في قـــرن

وما هي الا لحظات حتى كان البيتان أمام جلالته فأملى على الشيـــخ (حمـــزه) ما يلـــي :

مـن كـان يقدمـه شيطانـــه ابـــدا فبالسفاهـــة موصـــوف وبالافـــن
ان الخبيـث خبيـث ليس يألفـــــه الا الاخابيـــث في الايـام والزمـن
يا (شيخ) اصغ الى (الاملاء) كن فطنـا وارهـف السمع ليس الصم من خدني
وابلـغ (التل) ان البـــاب أوصـده في وجهـــه هـو بالكفـران للمنـــن
لقد سعينا بان نحبـــوه منزلـــة فصدهـــا تابعـــا للسعـــي بالفتـــن
يـــا ايهـا (الشيخ) عفوا لـن تؤاخذنا اعـــاذنا الله م[2] الآفـات والمحـــن

---

(١) مضارب النور .

(٢) أصلها (من) وقد حذفت (نونها) .

وعندما كان جلالته يملي الابيات على الشيخ (العربي) راجعه سيادته في عبارة (الا الاخابث) اذ لم يسمعها جيدا وكان جلالته منفعلا فقال « يا شيخ اصغ الى الاملاء « ثم اعتذر بآخر بيت » يا أيها (الشيخ) عفوا لن تؤاخذنا » وسبب غضبه على (عرار) انه عرض عليه وظيفة (رئيس التشريفات) في القصر فاستصغر شأنها وأبى قبولها وأصر على طلب (مديرية المعارف العامة) الشاغرة حينئذ ·

سمط من اللآلي : وفي شتاء عام ١٩٤٥ خاطب جلالته الشيخ (حمزة) بقصيدة مطولة جاء فيها على ذكر (عرار) منها :

لست للغور فاعلموا بالقالي ... انظروا الثلج في أعالي الجبال
انما (الغور) جنة ورياض ... وسرور أيامه والليالي
كم رفيق مضى وكم من خؤون ... يشبه الغول طبعه والسعالي
عاش فيه ولات حين حياة ... قد طوت عهدها السنون الخوالي
كل شيء لا بد يفنى ويبقى ... فعل خير من طامس الآجال
ايها (الشيخ) صغ قريضا مصفى ... بين هذي الربى وتلك التلال
واخبر (التل) أن جل مرادي ... أن أراه يجول مثل مجالي
عند صوغ القريض او نثر قول ... أو خطاب حكى نثير اللآلي

فقال الشيخ (حمزه) :

لم يدع سيد الجميع لنا في ... نظم هذا القريض أي مجال

فقال (عرار) :

ليس هذا شعرا لعمري ولكن ... هو سمط من اللآلىء الغوالي
واللآلي يا (شيخ) هيهات — أن تسلم يوما زمامها لمثالي

قصة برفين : وقد جاء في كتاب (عرار) قصة فتاة اسمها (برفين) رواها الدكتور صبحي أبو غنيمة اذ قال : في ليلة كنا جلوسا في عيادتي (عادل العظمه ، طاهر الجقه ، عبد الله النمر والاديب عبد الله الدباس) وقرأ الاخير كلمة في صحيفة عن فتاة ، اسمها (برفين) تتذمر من بعض من لا خلاق لهم وازعاجها بالرسائل وفي الطريق ، وقد أنبت الصحيفة هؤلاء تأنيبا مرا ، وهنا امليت على الاستاذ الدباس أبياتا نشر في ديوان (عرار) على انها له ومنا : ·

وانتشرت الابيات واذا بـ (عرار) يكتب لي (وكنت قد نزحت الى دمشق ·

مالي (وبرفين) يا عشاق (برفينا) (اضحى التنائي بديلا من تدانينا)

فلم يكن من الملك عبد الله الا ان ارسل اليه هذه الابيات :

ناديت من (برفين) غير سميعة فاصرخ وصح ما شئت يا (برفين)
ان كان شعرا ما يقال فقد دنا وقت يصح لنا به التأبين
و (اخوك) بالشام العريقة نازل لك في قريضك مسعف وامين
اوحى لك التدخين ما قد قلته في كل طرف منه نيكوتين
هبلتك امك كيف تمدح دمية برطانة ضحكت عليها الصين ؟

وأجاب عرار بقصيدة ختمها بهذا :

اوبعد هذا هل علي وصاحبي حرج اذا ناديت (يا برفين)

استفتاء : وقد بعث عرار ذات يوم الى الشيخ حمزة العربي باستفتاء شعري قال في مطلعه :

سكر الدهر فقل لي كيف أصحو والندى يبخل والجود يشح
وأنا يا سيدي المفتي كما قلت عني : « حيث ينحو الحب انحو »
فافتني يا شيخ هل طرد الهوى في مغاني (ضرس مشهور) يصح ؟

ثم أعقبه باستفتاء شعري آخر فرد عليه الشيخ بفتوى شعرية أيضا

ولما وقف الملك عبد الله على (استفتاء عرار) و (فتوى العربي) رد على عرار بقوله :

لك (فتيا) من عليم صادق فاذا استفتى لا يلقى يشح
اين ذاك (الضرس) من مغنى الهوى وهو خاو ليس فيه اليوم سمح
لحظت عيناي خيمات(١) لدى (ضرس مشهور) فمن ذا ثم ينحو
(نور) في القاع من جلهنه(٢) فتن (التل) بهم والحب يلحو
أيها الانسان لا تنح الى ما وراء (الضرس) فيه اليوم قبح
ليس (فتياي) بفتيا جاهل انما الحب نقي الوجه فلح
زانت الارض بسقيا لحقت نبت العشب بها وازدان صرح
ولـ (عدوان) بيوت عمرت بغمامات لهن اليوم لمح
وربيع وله نواره وبنات الحي والنوار شرح
ما لمن ناهز ستين(٣) حجا أن يرى قد مال فيما لا يصح

---

(١) خرابيش النور

(٢) طرف الوادي

(٣) عنى به (عرارا)

شمت برقـا ليلتي يا صـاحبـي ... ولبـرق الغـور بعـد وهـو شـح
ولنـؤ الغـور احيانـا لقـا ... صوت وبـل وانهمـار ويسح
ولاوقـات الشفـا احيانهـا ... ولـه ساعاتـه فيهـن روح
ورياحـين ازاهـير بـه ... وليالـي الصيـف مـن تمـوز رجـح
اختـم القـول بنصح للـذي ... جـاء يستفتيك ان أجـداه نصـح

رقصة الجازبند :

وفي احـدى جلسات جلالته أخـذ المقربون و (عـرار) في طليعتهـم يتحدثون عن رقصة أسمها (الجزبند) غزت الاوساط الراقيـة وتغلغلت فيها ، حتى ذاع صيتها وغدت أشهر من (قفا نبك ٠٠٠) فاقترح أحدهم وصفها شعرا فقال (عـرار) متهكما :

رويـدك انـه الغـور ... بـه سـدر وزعـرور
وخـرفيش ومـرار ... وفيـه العلـت موفـور
دع القطمـون واللطـرون ... فالدنيـا طبربـور

فقال (جلالته) :

فلم تخضـع ولـم نخنـع ... ولـم يسكن بـه الجـور
وفي (عمـان) لـي خـل ... وكالغـزلان مذعـور
لـه عـين أهيـم بهـا ... وفي الصدغـين تدويـر
الا يا أيهـا الساقـي ... وفي جناتـك الحـور
ألا يا أيهـا الساقـي ... وفي الحانـات تنويـر
ألا يا أيهـا الساقـي ... أتهويـد وتنصـير ؟
وللشـرب (١) دعابـات ... وتقديـم وتاخـير
فمنهـم ضـارب دفـا ... ومـن قـد قـال خنـزير
يريد المـزح والتنكـيـ ... ـت للـكتب طوامـير (٢)
ألا يا أيهـا الساقـي ... أدرهـا أدت سكـير

فقال الشيخ (محمد فال) : ... فعفـو الله مطلـوب
فقال (عبد الغني الكرمي) : ... وذنب السـكر مغفـور

ويـوم الدجـن موعدنـا ... بـه عـود وطنبـور

---

(١) بفتح (الشين) وتسكين (الراء) وتعني (السمار)

(٢) مفردها طومار وهو الصحيفة

فقال (جلالتـــه) :

وشادي الحـي ينشدنـــــا بلحـــن فيـــه تكريـــــر

فقال الشيخ (محمد فال) : فمنـــه الشـــدو يطربنـــا

فقال (جلالتـــه) :

ومنـــه الرقص تظهـــير

وآلات ومزمـــــار وقانـــون وسنطـــير

فمـــن في الناس يشبهنـا ويـوم الدجـــن منظـــور

اريـك الثلــج في جبـــل وللنـــيران تنـــور

دع (الجزبنـــد) للاوغـــا د (فالجزبنـــد) تغريـــر

ورب فتـى بـــه طافـــت عجوز مـا بهـا خـــير

ومـــن خريـــدة عـــذراء دار مـــدارها عـــير

فرفقـا أيهـــا الشـــادي فقـــد شحبت أساريـــر

واسكت جوقـة (الجزبنـــد) فقـــد كلت قواريـــر

وضربـــة أصبـــع بالخـــد ممـــن فيـــه تنديـــر

يدغبجـــه ويلثمـــه ومـــا في الـود تكديـــر

لعـــاب الشيخ يغلبـــه يخـــاف الذنـــب نحريـــر

وفي الظلمـــات يسكبهـــا وذنـــب الشيـــخ مغفـــور

أيـا من هبـــر الهبـــر ة والتهبـــير تشهـــير

وبيت (الهبـــر) للاحبـــا ب فيـــه البـم والزيـــر

ولعابـــات في الخربـــو ش لعـــب فيـــه تنضـــير

اذا مالت أمايلهـــا وليـــل الصـــب محـــرور

تراقص كـــل ذي أمـــل فيغـــدو وهـــو مقـــرور

عفيفات الدخائـــل مـــن بغـــي شيئا فمنفـــور

اذا مـــا رام مفســـدة ففـــي الأرمـــاس مقبـــور

وان تلمس بنانتهـــا ففـــي الاعضـاء تخديـــر

لهـــا نفس كريـــح المســـك لميـــت منـــه تنشـــير

وشهقـــات ولهقـــات تطـــير لهـــا الشعاريـــر

مساجلة شعرية :

وفي صباح يوم زار الشيخ (حمـزه العربي) الملـك عبد الله فألفـاه محفوفا ببطانته ، وبعد أن أخذ مكانه قال جلالته : « ارتجل بيتا نساجلك فيه أنا و (مصطفى التل) » فانصرف ذهن الشيخ (العربي) الى مدح آل البيت فأنشد الشيخ (العربي) :

وما الآل الا آل بيـــت محمـــد هم العز في الدنيا هم الذخر في الاخرى

فقال (عرار) :

فلا زال فينـا سيد منهـــم بـــه نلوذ ونقضي في معيتـــه العمـــرا

فقال (جلالتـــه) :

وما الشعر بالاغـــراء والمدح انمـــا أرى الشعر في الآداب لست به احرى

فقال الشيخ (حمزه) :

اذا لم يكن في مدح آل محمد قريضي فـــلا خطت أناملي الشعرا

فقال (عرار) :

كما هو في حسن اذا مـــا رايتـــه تعشقتـــه حتمـا واحببـت مضطـــرا

فقال (جلالته) :

وان رمت شعرا قل نسيبا وتابعـــن به الوصف أو لافالفخار به أطـــرا

لنفسي الوم اليوم ان جئت طالبـــا من (الشيخ) نبغي ان يجيد لي الشعرا

فقال (عرار) :

وقل ان ربحت الشوط في حلبة العلا

فقال (جلالتـــه) :

اهنيك قـــد نلت العزازة والفخـــرا

(فقيـه) لـــه (الفتيا) يدير مدارهـــا وبالعلم والاعمـــال نرجو لـــه الاجرا

فقال (عرار) :

يهددنـا حينـــا ويصفـح تـــــارة فان شاءها عسرا وان شاءها يسـرا

وصف الربيـــع :

وفي مساجلة رقيقة بين الملك والشاعر (عرار) في وصف ليلـة من ليالي (الربيع) قال الملك :

ليلـــة في الربيـــــع طابت رباها نشـــرت نسمة الجنـوب شذاهـــا

يا لهـــا ليلـــة تحلت بوصـــــل مـــن حبيب الفؤاد كـــان مناهـــا

غاب بدر السماء فيهـــا ولـــــكن كان وجـــه الحبيب بـــدر سناهـــا

فأجابه (عـــرار) :

قـــل لذئب الفـــلاة وقت ربيـــــع كيف تعـــــدو واسدها ترعاهـــا ؟

فـــذئاب الربيـــع خابت وهامـــت كـــــل شـــاة توسطت مرعاهـــا

الملك والبستاني وعرار :

وبعد اياب الشيخ (حمزه العربي) و (عرار) وصحبهما من رحلة (البحر الميت) الى (قصر المصلي) في الشونة عرضوا على أسماع الملك عبد الله نفثاتهم الشعرية فاستطاب جلالته قصيدة مطلعها :

ليت المليك رآنا عندما اصطدمت سيارة الجيش بالاحجار في الوادي

وصادف وصول الشاعر المرحوم (وديع البستاني) الى (قصر المصلي) فروى جلالته تفاصيل الرحلة وما تخللها من مباسطات أدبية فجر الحديث الى مساجلة شعرية أخرى بين الملك الشاعر والمرحوم (البستاني) الذي بعد ان استسقى ماء فشرب قال مرتجلا :

لا شيء كالماء يشفي غلة الصادي يروى وينعش احشاء باكباد
جرى بصدري وغير الشعر ما رضيت ما يطفىء النار الا نغمة (الضاد)

فقال (جلالته) :

قد قلت حقا وما في ذاك من ريب أقسمت بالله رب الحاضر البادي
اقسمت بالله لما سال في فمه سحر الحلال وفيه طاب انشادي

فقال (البستاني) :

من عبر نهر هو الاردن مقدمنا وقد نعمنا بلقيا جيرة الوادي

فقال (جلالته) :

فيا اخا الشام ليت الشام تجمعنا براس لبنان يحلو فيه تردادي

فقال (البستاني) :

تلك المنازل تدعوكم لمنهلها كيما تفوز بكم يا خير وراد

فقال (جلالته) :

أنقل كلامي الى لبنان عن كثب ما في المعاني سوى ود واسعاد
لبنان والشام والاردن واحدة من الممالك ان تامت لامجاد

فقال (البستاني) :

وغير نهرك قطر لا يرتبها فما يعيش باقصاء وأفراد
ان جمع العرب حب في القلوب غدت كخيمة المجد ان عزت باوتاد

فقال (جلالته) :

انا الموحد في الاوطان اجمعها جمعا بفرد ولو عزت بتعداد

وقـــد دنوت دنوا مـــــن مآربهـــا ... وسوف أصدح مثل البلبل الشـادي

فقال (البستاني) :

هـذا المليك مـــن الآمـــال قـربني ... لا قـرب الله مني يوم ابعــــاد
العـرب تيـم قلبي حب عنصرهـــم ... ومـــا أهيـم بأتراك وآكــــــــراد
اما الالى قدمـــوا من عبـــر بحرهم ... فمـــا أبالـــي بشـذاذ وشــــراد
وقـد عرفت مليك العـرب عن كثـب ... فزاد فخـــــري بآبائـي واجـــدادي

فقال (جلالتـــه) :

قل للفريقين عمـا في البـــلاد همـا ... تباع (عيسى) واتباع (النبي) الهـــادي
ان السلامة في توحيـــــد قصدكـم ... ولن تضلوا باخـــلاد لارشـــــاد
لا يجمع الشمل الا مقصـــد جلــل ... يفـــدى حلالا بأرواح واجســـــاد
وقـد وهبـــت له روحي وما ملكت ... يـــدي وقومـي واولادي واحفـــادي

عرار ينافح عن الملك :

ورغم ما كان ينشب بـين الملك والشاعر في بعض الاحيـــان من خــلافات ، وفتور في العلاقات ، فقـــد كان (عرار) وفيا للملك ، يشيد بفضله ، ولا يتوانى في الدفاع عن سياسته وتفنيد ما يوجه اليه من سهـام النقد والتجريح ·

وفي عام ١٩٣٦ شبت في فلسطين ثورة فنظم الشاعر (ابو سلمى) قصيدة غمز فيها من قناة الملك عبد الله ·

فهـــب (عرار) للدفـــاع عن الملك عبداللــه ورد عـلى (أبــي سلمى) بقصيدة عنيفة من نفس الروي والقافية والوزن قال فيها :

امنـــددا بـــــ (ابــي طــــــلال) ... ونهجـــــه اللبـــق الرشيـــد
مـــــــا انـــــت اول رائـــش ... أصمـــاه سهـــم مـــن جحـــود
فاهتف بمـــــا تقضي عليــــك ... بـــه الغوايـــة مـــن قصيـــــد
يــــا مـــن يعـــيرنا لمـــــ ... هانـا بتوسيـــــع الحـــــدود
وجهادنـــا لخلاص مـــا لـــــم ... يشــــر مــــن وطـــن الجـــدود
ليســـ البطولـــــة ثـــــورة ... رعنـــــاء بالأوطــان تـــــودي
لكنهـــــا في دفعــــك الأخـــــ ... طـــار بالـــــراي السديـــــد
مـــا زلـــت اعـــزل والعـــدو ... سلاحـــه حمـــــر الحـــــديد

مصطفى التل في شعر الملك :

وقد تجلى عطف الملك على عرار في الابيات التالية التي أملاها على الشيخ حمزه العربي والحروف الاولى في كل بيت اذا جمعت يتكون منها اسم « مصطفى التل » وهي :

ما بال من كنت ارجو محض وصلته ... جفا فصارمني والقلب معمود
صح الذي كنت اخشاه وارقبه ... ليس التصارم للاحباب مقصود
طير تغنى وقيت الصبح في فنن ... وقد شجاني ويشجي المرء تغريد
فالصوت منسجم والماء منهمر ... وسط البساتين والمحبوب مفقود
يا فاتني لا تدم هجرا فتقلقني ... عد لي كما كنت ان العود محمود
الله يشهد اني في مودتكم ... وحبل ودي للاحباب ممدود
لا تتبعن لا حيا واقبل نصيحة من ... لا غش فيه ولا في عينه عود
تالله اني لا حبابي لذو مقة ... ومدعي الحب عند الباب مسدود
ليستمع لي من ارجو مودته ... والنصح محض وعمر المرء معدود

الموسيقى والشعر

وكان الملك يحب الغناء والموسيقى ولا سيما الغناء القديم ، ويطرب لسماع الموشحات ، وقد حضر الى عمان في آذار سنة ١٩٤٠ المطرب المعروف محمد البكار لاحياء بعض الليالي وكان مولعا بانشاد الشعر العربي الفصيح وتلحينه فاستدعاه جلالته الى قصره فأحيا ليلة ساهرة ممتعة ، وقد انشد فيها المطرب بصوته الرخيم بعض المقطوعات من شعر عمر بن أبي ربيعة وأبي نواس فأعجب بها جلالته كل الاعجاب وكان يهتز طربا لسماعها ويظهر أن الجو السحري قد استفز جلالته واستثار شاعريته فأمسك باليراع والقرطاس في فترة الاستراحة وفي بضع دقائق ارتجل الابيات التالية وسلمها الى البكار الذي لحنها وغناها على الفور :

اسمعينا في الربى بعد ثماني ... واصدحي بالفن يا خير الغواني
وامرحي ذا اليوم فالحظ لنا ... لا اوالي في الدنيا غيرك داني
طابت الارواح والغيث همى ... عجلي يا مي فالدهر ثوان
واحذري لهفتي
نحن في اوقاتنا اسنى المعاني ... جمع الفن بنا حسن الاغاني

هـذه الدنيا سرور ورزايا وكما الماضي فآت في الحنايا
حين أشرقت من الافق بدت لمعة الايام جددت المنايا
حاسدي قد هوى ورقيبي خوى .. الا جوايا

◉ ◉

طابت الدنيا كما نبغي ففني انما الدنيا هوى منك ومني
تارك ظلك في جناتها من رفيف الحسن قد جئت فجني
والنوى همنا
اننا اليوم شموس في الورى وغدا امثولة منك ومني

◉ ◉

وبعد أن انتهى البكار من انشاد هذه الابيات الرائعة وقد استعدناها مرار ، بادر الملك قبل انتهاء هذه الحفلة الساهرة الى نظم الابيات التالية ، وقد غناها البكار بصوته الرخيم :

بدا هاتف في الليل ثم دعاني الى ليلة احيت موات زماني
وقال الا ابشر سوف نلقاك عاجلا من التم سبعا قال او لثماني
بعمان او بالصلت أو بجبيهة أو الغور ان الغور خير مكان
به السدر والينبوت نبت بلاده به الدوح ان الدوح خير حواني
فكبرت اذ نادى وبشر يومه و « كبر للرحمن حين دعاني »

تشطير قصيدة جران العود

وقد شطر الملك القصيدة المنسوبة للشاعر الملقب بـ « جران العود » وهي لرجل من بني نمير ، وتحوى ثلاثة وسبعين بيتا ، ومطلعها :

ذكرت الصبا فانهلت العين تذرف وراجعك الشوق الذي كنت تعرف

وفيا يلي تشطير الملك لبعض ابيات هذه القصيدة :

ذكرت الصبا فانهلت العين تذرف وعهد الصبا عهد له تتلهف
ذكرت رفاقا في منازل رحبة وراجعك الشوق الذي كنت تعرف
وكان فؤادي قد صحا ثم هاجني أوانس في (عبين) مثنى وردف
ترنمن أنواع الغناء كأنها حمائم ورق بالمدينة هتف

وشطر كذلك القصيدة الشهيرة التي قيل ان رجلا مر وهو يقول :

يا ايها الرجل المحول رحله — هلا نزلت بال عبد الدار
قوم اذا نزل الغريب بدارهم — منعوه من عدم ومن اقتار

فسمعها النبي صلى الله عليه وسلم وروى انه قال لابي بكر الصديق أهكذا قال الشاعر : فقال لا والذي بعثك بالحق نبيا انما قال :

يا أيها الرجل المحول رحله — هلا نزلت بال عبد مناف

وليس أدل على متانة الملك اللغوية من تشطيره القصيدة بكاملها خمس مرات ، كل مرة أظرف من أختها ، مع المحافظة على المعنى المقصود ، فسماها بالمنافيات نشبت فيما يلي بعضا منها :

يا أيها الرجل المحول رحله — من بعد ما مسرى ومن ايجاف
قد سار شهرا ثم حل مسيره — هلا نزلت بآل عبد مناف
هبلتك أمك لو نزلت برحلهم — لنزلت رحب الاهل والاكناف
لو قد حللت بأرضهم وجوارهم — منعوك من عدم ومن أقراف
الخالطين فقيرهم بغنيهم — في اليسر أو في وقت عسر جاف
يتقاسمون نوالهم ومنالهم — حتى يعود فقيرهم كالكافي

واننا لنكتفي بذكر أمثلة أخرى لهذا التشطير :

يا أيها الرجل المحول رحله — قد فر عن كرب ومن ارجاف
قطع الفلاة غداته بصباحه — هلا نزلت بآل عبد مناف
هبلتك امك لو نزلت برحلهم — لنزلت بين البر والالطاف
وهم الذين اذا حللت جوارهم — منعوك من عدم ومن اقراف

تشطير آخر :

يا أيها الرجل المحول رحله — أوفى على المرباع والمصياف
يرتاد ذا كرم يريد نواله — هلا نزلت بآل عبد مناف
هبلتك امك لو نزلت برحلهم — لنزلت وسط مرابع الاشراف
اعلم هديت اذا قصدت جوارهم — منعوك من عدم ومن اقراف ...

مداعبات شعرية

وكان المليك يتطلب من جميع جلسائه أن يسهموا معه في ارتجال الشعر وليست هذه السليقة متوفرة لدى جميع الادباء والشعراء الذين يحضرون مجلسه وقد لاحظ ذلك في الاستاذ ضياء الدين الرفاعي أحد موظفي الديوان الملكي فخاطبه مداعبا :

ضياء الدين هم يقول شعرا ... ويأبى الشعر ان يسلس قيادا
ضياء الدين احفظ الف بيت ... والفا بعدها تدرك مرادا

ويلاحظ أن كلمة (يسلس) استعملت بسكون السين الاخيرة مراعاة للوزن وكان من حقها أن تنصب .

وعلى ذكر الاستاذ الرفاعي أقول أن الملك كان يقربه اليه ، ويملي عليه ما تجود به قريحته من شعر ونثر ، ويعجب بحسن القائه ، ويطلب اليه أن يسمع الجلساء والزائرين ما كان قد أملاه عليه في الجلسات السابقة ، وقد زودني بطائفة من القصائد والقطع النثرية التي احتفظ بها ، وأثبتها في هذا الكتاب .

الكعكة : ـ ومما رواه لي الاستاذ الرفاعي بهذه المناسبة أن الملك بينما كان يتناول طعام الفطور في قصره في احدى الامسيات استرعى انتباه أحد الذين حضروا المائدة (وهو الاستاذ ناصر الدين النشاشيبي) طبق أمام الملك فقد ازدان بكمية من الكعك الشهي المصنوع بالتمر أهداه الى جلالته مرافقه السيد محمد السعدي فسال لعاب الاستاذ النشاشيبي واغتنم فرصة التفات الملك الى أحد جلسائه يحدثه ومد يده بسرعة خاطفة وتناول احدى الكعكات ، ويظهر أن الملك لمحه ولم ينبس ببنت شفة ، وكان بين الذين حضروا هذه المائدة السنية : الشيخ محمد فال والاستاذ ضياء الدين الرفاعي والسيد عبد السلام كمال .

وفي مساء ذلك اليوم وبينما كان هؤلاء الثلاثة يتحدثون عن الكعكة في الديوان وينتظرون قدوم الملك ، قال الشيخ محمد فال للاستاذ الرفاعي معاتبا ، لقد لاحظت ورود أخطاء في القصائد التي يمليها عليك سيدنا فكيف تسمح لنفسك باثباتها مع أخطائها ، وقد أيده في هذا العتاب السيد عبد السلام كمال ، وقبل أن يعلق الاستاذ الرفاعي على ذلك دخل الملك فوقف الجميع ، ويظهر أنه استمع الى طرف من حديثهم فقال للسيد ضياء الدين أمسك القلم واكتب ما أمليه عليك :

وكعكة عملت بالتمــــر قـــد حشيت ... يروق للآكـــل القـــرور رؤياهـــا
يا حسن مطعمهـــا من بعـــد ماكلها ... والسكر القنـد(١) فوق الظهـر يغشاهـا
سمراء قـــد حسنت لونا بسكرهـــا ... كلهـــا وقل لزعيـم(٢) هات شرواها
أمعرب (٣) قولنا ذا اليـــوم أم هو لا ... قول لاعجـــم لا ينبيـــك مبناهـــا
يا أيهـا الشيخ عفوا تلك كعكتكم ... كل الكعيكـــة واشكر حسن ملفاها
عبد السلام (٤) يلوي شدقـــه امهـا ... يقول أعرب ! سقيم جاهـــل فاهـــا
ان الجهالة (٥) لا تعدو كمـــا أبدا ... لا الهجو هـــذا ولكن جـــاء فحواها
يا أيهـا الشيخ عفوا حلمكم طلبـي ... واغفـر لقولـي ولا تغضب لمعناهـا
يا كاتب(٦) الشعر اغريت الامام(٧) بنا ... وأنت أنت الذي قـــد قاد مرماهـــا
وناصر(٨) الدين قـــد هاج القريض لنا ... بخطفـــه كعكة في الصبـــح يهواهـا
والشيخ احصى عديدا كف من اخذت ... يمناه من كعكـــة في الدار يرعاهـا

جواد وفراشة : ومما يجدر ذكره أن الملك رغـــم سعة اطلاعه في الادب ، وعلو كعبه في الشعر ، ورغم أسلوبه القوي البليغ ، لم يـــكن يتقيد بقواعد النحو والصرف ، وقد حاولت ذات مرة لفت نظر جلالتـه الى بعض الاخطاء واللحن في احدى القصائد التي ارتجلها ، فأعرب عـــن امتعاضه واستيائه ٠ وقال لي بحدة : لقد تركت لكم هذه السفاسف فأنا لا يهمني سوى المعنى والاسلوب !

وتبرز تلك الاخطاء في القصيدة الرائعة التي جادت بهـــا قريحته حينما شاهد فراشة تحوم في أحد الحقول على مقربة من جواد كريم فقال :

---

(١) القند عسل قصب السكر اذا جمد وهي كلمة غريبة غير مألوفة ٠
(٢) يقصد بالزعيم محمد السعدي مرافقه العسكري وكان برتبة زعيم ٠
(٣) يخاطب بها الشيخ فال مشيرا الى الحوار الذي دار بينهم ٠
(٤) عبد السلام كمال
(٥) الشيخ محمد فال
(٦) ضياء الرفاعي
(٧) الشيخ فال
(٨) ناصر الدين النشاشيبي

فراشــة يـــا حسنهــــــا — نور الربيـــع يطـير حيــا
حمــــــــراء في بيضـــــاء — تنهل من رحيق الزهــر ريـا
هيـــا الى قنص الفـــــراش — ضحيـــــة هيـا وهيـــا
وفــــراشتي فتانـــــــــة — نـــزحت الى روض قصيـا[1]
واذا طمعــــت بقربهـــا — القـى هنـــاك اخـــا عتيــا
وفراشتـي انسانـــــــة — كسيت جناحـــا سندسيـــا
سيفــــر بـــي وبهــــا — جـواد في القسامـة أريحيا[2]
وقـــح الحوافر في الجلامـد — لاينـــي ابـــدا قويـــا
واذا الخيـــــول تقابلت — مـــا حظ صاحبـــه رديــا
ولـدى النجـــاة يفوتهـــا — يعـــدو براكبــــه بديــا
وفــــراشتي فتانـــــــة — وجوادنـــا يختـــال غيـــا
عبـــل الشـــوا نهـــد اذا — رمت المـــرام يصـــول حيـــا
لا بالونــــود ولا الحـــرون — اخـــا ثبـــات أعوجيـــا
عـــاري الوظيـــف نظيفــــه — الف الصــدام مقدميـــا
لا يمتطيــــه ســـوى الكمـــي — اذا بـــدا طلـــب الكميـــا
بكتيبـــة عربيـــة الفـــت — لهـــا انفـــا حميـــا
اعداؤهـــا قـــد مزقـــت — أشلاؤهـــم رممـــا رميـــا
عينـــا للجبـ ارعـــــن — جيشـــا لاحمـــد ابطحيـــا

اترك الورد : وشاهد الملك السيدين ضياء الدين الرفاعي وناصر النشاشيبي يطوفان في احدى حدائق القصر ويقطفان ورودها فخاطبهما بهذه الابيات وفيها ما فيها من المعاني الفلسفية والمشاعر الانسانية :

انظر الورد في الحديقـة يرنو — لا مـــاس فانــــه مشموم
وأريـج الورود وقـت صبـاح — أو مســاء يريـــده المكلـــوم
اترك الـورد في الحديقـة حتى — يحتويــه زمانـــه المحتــوم
كل شيء تزيلـــه عن نمـــاه — فهو ظلــم وانت عندي الملوم
خلـق الله كـل شيء لمعنـــى — والمعانــــي دوامهــــا مرسوم
انت من هـذه البرايا فدعهـا — واقطم النفس خدنك المفطوم[3]
لا تقـل تافـه فما من عظيم — غـير ربي فهو الاله العظيـم

---

(١) يجب أن تكون قصي بالكسر
(٢) يجب أن تكون أريحي بالكسر
(٣) من حقها أن تكون المفطوما بالفتح لا بالكسر

وداع الغور : وقال عن لسان الاستاذ ضياء الدين الرفاعي في آخر ليلة قضاها في قصر المشتى بالغور بتاريخ ٢٨ شباط عام ١٩٥١ ، وكأنه شعر بأن السيد الرفاعي قد أخذ يحن الى زيارة عائلته في عمان :

ودع الغـــور بالســـلام وابشـــر ... ســـوف تلقى الحبيب في عمـــان
كنـــت في خدمـــة المليك ليـــال ... ضـــاق صدري بعـــدت عن خلانـــي
فرحتـــي فرحتـــي سروري سروري ... سوف القي الغـــداة حلـــو مكانـــي
نحـــو ام البنـــين بهجـــة نفســـي ... هل عراها م البعد ما قد عراني
ايهـــا الغور ذكرك اليوم عنـــدي ... في ليالـــي الشتاء ذكرى مغـــاني
واذا شاء ربي ســـوف ناتـــي ... بعـــد مر الصيف حـــل الاوان
حـــي ذا اليوم قصرنـــا بالمصلى ... حـــي يـــا صـــاح حيه بافتتـــان

تم ختم القصيدة بالابيات التالية موجها الخطاب الى السيد الرفاعي :

ايهـــا الشاعـــر الفتـــي تعلـــم ... كيف صوغ القريض وقت امتحـــان
ايهـــا الغـــور عندك اليوم رهـــن ... عندك الرهـــن فكرتـــي وجنانـــي
مـــاؤك العـــذب سلســـل سلسبيـــل ... ولياليك في الشتـــاء حـــوانـــي
ينعـــم الشيـــخ فيـــك ينعم طفل ... وبصيف فضـــد تلـــك الامـــانـــي
يومـــه شامس وليل سمـــوم ... خلـــت الارض فيـــه من عـــدوان
ايها الشيخ انت يافال[1] قل لي ... هـــل تذوقـــت طعم تلك المعـــاني
قـــم معـــي وانشد الشعر مثلـــي ... ننشـــد الشعـــر في ربى رغـــدان

اللهـــم لبيك : وسمع الملك ذات مرة اذان المغرب ، وقـــد جـــرت العادة أن يؤذن امام جلالته قبل كل صلاة في القصر الملكي ، فطرب لسماع هذا الآذان وارتجل الابيات التالية اذ أملاها على أحد أفراد معيته قبـــل اداء الصلاة :

سمعـــــوا الاذان فأسرعـــــوا ... لبيـــــك رب العالمـــــين
ان المـــؤذن قـــد دعـــــا ... للخـــــير والعمـــل المبـــين
وقـــــت الغـــروب أذانـــه ... بلـــــغ الاذان السامعـــين
فاخشـــع لربـــك يـــا فتـــــى ... ادخـــل بصـــف الخاشعـــين
وكـــذا العشـــاء فدعـــوة ... توصلـــك حـــد الكادحـــين
والفجـــر يـــوم يانـــــع ... للـــرزق كـــن م[2] الطالبـــين
والظهـــر والعصـــر استقـــم ... خالـــف طريـــق الخاسريـــن

---

(١) يعني الشيخ محمد فال

(٢) يقصد « من »

ان الصلاة عماد دين — الحق دين المؤمنين
والصوم لا تتركه في — رمضان شهر المسلمين
والحج ان تستطع فحج — فانه للقادرين
واشهد برب واحد — واشهد بكل المرسلين
ومحمد صلى الاله عليه — خير الشافعين
ختم الرسالة شاهدا — بالحق والقول اليقين
كل الانام بهديه — حازوا السعادة اجمعين
يا رب ألحقنا به — وبحوضه في المسلمين

تحية كريمة ودعوة مباركة

زار عمان عام ١٩٤٩ الشاعر اللبناني المعروف الاستاذ كامل شعيب العاملي وحل ضيفا على الملك وقد اغتنم الاستاذ عثمان عبيد القائم بأعمال المفوضية المصرية في عمان فرصة وجود الشاعر الضيف فأقام على شرفه حفلة خاصة دعا اليها بعض الادباء والمفكرين وقد خيم على الحفلة جو من المودة والصفاء والدعوة الى التقارب والتعاطف مما الهب مشاعر الاستاذ العاملي فجادت قريحته بقصيدة رائعة جاء فيها :

حق لمصر بأن تزهو وتزدانا — وان ترى خير من ولته عثمانا
ولست ادري ملاكا من نجالسه — وان بدا ظاهرا في الشكل انسانا
لله مأدبة قد اثقلت عنقي — اوليتني منة فيها واحسانا
قم آخ ما بين رغدان وصاحبه — ووف عن مصر حق الود رغدانا
وقل لقومك ان العرب قاطبة — له مؤيدة سرا واعلانا
لاعذر ان لم توفق بين امتنا — ولو بذلنا لها ما عز أو هانا
قل للمليك دع الواشين ناحية — وكن لسبط رسول‌الله معوانا

ثم يقول :

قد ملت العرب أحقادا مؤججة — قد اصلت الملا الشرقي نيرانا
وليس يظفر وادي النيل في مقة — ان لم يوال محج العرب عمانا
ومن يكن جده طه فشانئه — هيهات يلقى بدار الخلد رضوانا
هو الذي ما عصى ربا وسار على — منوال اسلافه دينا وايمانا
هو الذي واكب الهادي بسيرته — وقد أقام لصرح العدل اركانا
لاخير للعرب والتوفيق رائدها — حتى توحد اقواما وتيجانا

ولم يكد يستمع صاحب الدعوة الى هذه الابيات العامرة التي تفيض بالروح الوطنية حتى أمسك اليراع ورد عليها بالابيات التالية : ـ

أهبت بالشعر الحانا واوزانا … فجاء يستبق الايام رنانا
قد أجهد النفس في معنى اتيت به … اذا دعوت يكون الرد اذعانا
وفيت مصر حقوق الود كاملة … فهل اوفى حقوق الود لبنانا
ورحت تدعو الى نور الصفاء ولن … يرضى بديلا عن الانوار نيرانا
حضرت عمان والامال تبسم لي … يداي تحمل أزهارا وريحانا
فهل تبادلني عمان راضية … من زهرها الفض اشكالا والوانا
لاخير للشرق الا في تضامنه … والويل ان راح احزانا ووحدانا
كنا وكانت لنا الاقدار خادمة … تجثو لاهدافنا سلما وعدوانا
حتى افترقنا فعاد الصرح منهدما … وقد تناثر اسوارا واركانا
سماحة الشرق لاتعييك أزمتنا … مازال وردك فياضا وهتانا
لها القلوب انطوت يوما على احن … والهبتها تباريحا واضغانا
كنت الملاذ لها من حر وقدتها … وكان وردك للابرار ايذانا

وفي اليوم التالي تشرفت بزيارة الملك وتلوت عليه القصيدتين فنالتا ارتياحه ، وأعجب بما ورد فيهما من الدعوة الى الوئام ونبذ الخصام فأمسك اليراع وكتب بخطه الكريم فورا هذه الابيات :

سبحان رب الملا يا قوم سبحانا … ما اعجب الناس اشكالا والوانا
قل للنجيبين قاما يدعوان الى … نبذ الخلاف بأرض العرب (لاكانا)
ان الذي جئتما من أجله امل … في وحدة صدعت اصلا واركانا
اثنان من امة للخير داعية … والاخرون دعوا خلفا وبهتانا

على بركة زيزاء

وحيثما يحل ركب الملك أثناء رحلاته كانت تتفجر عيون الشعر ، وتتألق شموس البيان ، وتجود القرائح بالقلائد الفرائد والقصائد الحسان .

وهذه قصيدة نظمها الملك في رحلته الى معان في تموز عام ١٩٤٠ :

رب يوم قد وردنا حاليا … ساجي السطح جميل المضطرب
فارتوينا بدلاء بضة … تحمل الماء الى حد الكرب

وكذا الزيزاء ما اجملها ... حوضها المعروف للماء سكب
فرايناه ضحيا لمحة ... رقصت شمس الضحى فيه طرب
ليت أنا قد حللنا ساعة ... مع جميل الدل للعقل خلب
ان في الزيزاء روضا ماثلا ... قبل فصل الصيف في دين العرب
هاتها مشمولة مختومة ... هاتها فالشيخ يعروه النصب
علـه ينظم بيتا واحدا ... من جميل الشعر او حلو الادب
هات عجلها وبادر صاحبي ... بجزيل القرف عجل بالحطب
ان صيادا لنا قد جاءنا ... يحمل الريم وللصيد جلب
اكرم اللائي أرى من حولنا ... باهرات الحسن حلوات الشنب
واحتلب من در نوق أقبلت ... ثرة الشخب خفاف المحتلب

قطتي قطتي : وبينما كان الركب السامي يطوي البيد والسيارات تنهب الارض نهبا في طريقها الى المضارب التي أعدت في جهات الحسا اذ تحركت العاطفة الشعرية في نفس أحد رجال المعية السنية فجادت على البديهة بهذه القصيدة :

ليتني اليوم في الديار المنيفة ... دار سعدى منيرة او عفيفة
آنسات كوامن في رباها ... عيشتي الدهر بينهن لطيفه
سرت فوق التي تريك عجيبا ... عجلات اربع اراها مخيفة
وهي كالكوخ انما الكوخ يمشي ... ولها وثبة تراها عنيفة
كنت في رحلتي رفيق امير ... قسمتي فخمة وليست طفيفة
لو يدوم السرى ليال ربيع ... اتبع السير قيظه وخريفه
ومن الناس من يضيق سريعا ... بحياة له وليست شريفه
ومرب بعرسه لا يبالي ... وبدار له جوار كنيفه
ضاقت العرس منه ذرعا وقالت ... ان برحت الغداه لست أسيفه
ذاك علك من الرجال ذميم ... لا يرى في الحياة غير رغيفه
سر أميري الى ابن جازي نزره ... انظر الروض مثل رقم الصحيفة
أسعد الله دارنا بك دوما ... لعن الله أهل وادي حفيفه

فأجابه الملك مداعبا فورا بالابيات التالية :

قطتي قطتي تركت ورائي ... وجميل موائها ولطيفه
عينها عين نمر عبوس ... وذراع وكفها والسقيفه
ان ترى الفار تلتقطه سريعا ... وتبشر رفيقها وحليفه
وهي تزهو بنفسها وتباهي ... ولها فروة كمس القطيفه

راعهـا للسفاد هـر ظريـف ... تبعته الى المجـال خسيفـه
وهنـاك الصراخ بعـد غيـاب ... تتبـع الهـر بالليالـي الوجيفـه

الدين والحنـين

ومن أبلغ ما سمعته من شعر جلالته تلك القصائد الخالدة التي تفيض بالروح الدينية ، ويفجرها حنين جلالتـه الى البلد الامـين ٠ والى القراء القصيدة التالية التي تعبر عن مشاعر جلالته أصدق تعبير :

تلـك حمالتـي الى خـير أرضـ ... ضمها النـور والهـدى والسناء
ان دنت بي الى مقـام كريـم ... فهـي عتـق لا يعتريهـا الشقاء
هـو قصـدي وغايتي ومرامـي ... ان أصلـه فتلكـم النعمـاء
يـا رسـول الله أنـت شفيعـي ... وبـك الخـير كلـه والرجـاء
صاحب الحـوض ناصر الحق تاتي ... يـوم حشر وفـي يديك اللـواء

وفي القصيدة التالية تلتقي عاطفة جلالته الدينية بالحنـين الى الدار والعشيرة ويشع بين سطورها شعور مرهف نحو الاحبة :

مـن لنفس قادها الشوق الملـح ... أثر من تهوى وللاظعـان نـزح
كلمـا رام لحاقـا بهـم ... رحلـوا عنـه وللاحشـاء قـرح
جادك الغيـث أيـا أرض الحمى ... وحبيـب فيـك سمـح لا يشح
صـاح هـذا البـرق من نحوهم ... هـب يدعونـا اليهـم ويلـح
فاجبنـاه ورحلنـا غـدوة ... ندفـع الشـوق بذكراهم ونصحو
يـا مغانـي الحـي من ذي آثـل ... هل لنا مـع نازليك اليوم صلح
لسـت أشكوى من نـزوح ونوى ... أحسن الاوقات وقت فيه شطـح

فاجبنـاه ورحلنـا غـدوة ... ندفـع الشوق بذكراهـم ونصحو
يـا مغاني الحـي من ذي اثـل ... هل لنـا مع نازليك اليوم صلح
لست اشكـو من نـزوح ونـوى ... أحسن الاوقـات وقت فيه شطح

الى شاعـر اسباني : ــ وكتب شاعر اسباني الى الملك ملتمسا تزويده بطائفة من شعره ، فأجابه بكتاب رقيق أشفعه بالابيات التالية :

ابلـغ سلامي الى أحيـاء أندلس ... وكرر القول مع خـير التحيـات
وحي شاعر قـوم مرسلا علمـا ... ولا تقصر بعـرض من اجابـات
وقـد تحقـق عنـدي أن أندلسـا ... للشعـر موطـن غايات وآيـات

وابلــغ الشاعر الجـــوال مأثــرة ... اعيدهـــا كلمـا عـادت اشاراتـي
كم عندكم من رجـال في الثرى قبروا ... من خير قومي ومن عليا رجالاتي
للعلم قد خدموا للفـن قـد عملوا ... زالوا جميعا وكم في الخلق من آت
وكم سليلة مجد منهمو سبقـــت ... قد كـن يدعون خالاتـي وعماتـي
وانتم اليوم في أثـــر لهم سمعت ... آياتـه لكمـو من خـــير بغيـــات
ان الاولى رسموا رسما يحق لكم ... ان تتبعـــوه باثـر مـن مودات

تهنئـة شاعر والرد عليهـا

وبعث الشاعر الكبير حليم دموس بطاقـة تهنئـة بالعيد الى الملك رسمت صورة جلالته في احدى زوايا البطاقة ، وفي زواية أخـرى كتبت كلمة (كـرم) وكتبت الابيـات التالية في وسطهـا ، وفي أسفلها توقيع الشاعر ، أما الابيات فهي :

هذه البطاقـــة يامولاي من كـرم ... زهت برسم مليك الجـود والكـرم
نجل الحسين زعيم العرب قاطبـة ... نجـل النبـي العظيم المفرد العلم
عادت اليك ايا زين الملوك كمـــا ... يعود للبحر مـاء السحب والديم
فاقبل عواطف من يرجو الخلود لكم ... بالتاج والعرش والصمصـام والقلم

فأملى الملك ارتجالا على أحـد موظفي المقـر القصيدة التاليـة من نفس البحر والقافية :

سحت سحابة شعر فاض عن الم ... لطول عهـد مضى عن جـيرة الحرم
واقبلت وهي عجلى تجتلـي خبرا ... عن الاحبة اذ كانت بـــذى سلم
يقول عادت ايـا زين الملوك كما ... يعود للبحر ماء السحـب والديـم
صدقت عادت باجــــزاء مجــزأة ... وسوف ترجع مع أصل الى العلم
ان العروبـة تعلـو يـوم وحدتهـا ... كيما تصول وفي عهـــد ولم ينـم
تقـــر عينـــا بمرآهـــا ومظهرهـا ... بعد الذي كان من بأس ومن الم
خوفي على العـرب من قوم تضللهم ... تشير اسماؤهم في الاصل للعجـم
كابن خاقان في عهد مضى وقفـــى ... وكابن برمك فافهمنـــي ولا تهـم
فليس في العرب قوتلـــى ومردمهم ... وليس للعرب هذا النوع في الكلم
دعهم ومل انت عنهم عيل ذى مقة ... واحرص وان غيروا الاسماء من ندم
فالعرب قوم تقود الناس ليس بهم ... ممن يقـاد فحاذر صولـــة النقـم
لو كان ينجي بلادا سـاء طالعهـا ... منهم بسفك لهان اليوم سفك دمي

يا أيها الصادر المزجي مطيته ... ذكر معدا وقحطانا وبعدهم
ان لا يناموا فان العهد لازمهم ... عهد الاله وان العهد في الذمم
من قبل ان يخسروا الدنيا ودينهمو ... وان ينادي منادي الحي واندمي
فان نهضتكم قام الحسين بها ... فحرر العرب من ظلم ومن ظلم
لا تجعلوها لغير العرب قومكم ... لمن تسامى لكم يا قوم من قدم
كذا فقد جاء حق من اوائلكم ... ان الدسيسة مثل السم في الدسم
ياما مضى في قديم الدهر من عبر ... ما كان مختلفا في زي منسجم
فذا لذلك يمشي مشي مقترب ... والقصد اعوج ما في القصد من امم
واليوم اجمع امر الناس كلهم ... على اختلاف يجر الناس للعدم

خمريـــة !

ولقد أراد المغفور له الملك الحسين والد الفقيد أن يختبر مقدرة الفقيد في وصف الخمر ، مع انه لم يتناول قطرة منها في حياته ، فبادر الى نظم القصيدة التالية :

لنفسي احتوى ام ما حوى كانت الخمر ... ام الكاس ضم اليوم في جوفها الجمر
تكاد تضيء الليل درياقة بها ... قديمة عهد جاء من دونها العمر
كميت رنوناة وملساء قرقف ... رحيق ومعطار قرين بها اليسر
اذا ما انيلت ثم ديرت رأيتها ... مسيطرة رعناء شيمتها الكبر
وما كنت وصافا لما قد جهلته ... مدى العمر لكن هكذا حكم الشعر
وان كنت لا ادرى مذاق سلافة ... ولكن بخمر العين شاد بي السكر
اذا اتجهت نحوى ثملت وانني ... لاشعر بالخمر الذي دونه الخمر
وان مديم الخمر يصحو وانما ... صريع عقار العين من حظه الاسر
نهى الله عن شرب العقار وما نهى ... عن السكر بالعينين وهو له الامر
تذيقك تلك السقم في كل جرعة ... وهذى التي تحييك ان مسك الضر
وتلك حرام يكمن الرجس طيها ... وهذى وايم الله عندي هي الطهر
تحكمت الابصار في الناس كلهم ... ومالَ اليها القلب والروح والفكر
تقود اليها من تريد بطرفة ... وتنفث سحرا دون آياته السحر
وليس بانسان فتى لا تهزه ... سلافة تلك العين لكنه صخر
تزين وجها حسن الله خلقه ... وجيد كجيد الريم مرتعه البر
على مثله والله يستحسن الدر ... وحق لهذا الجيد ذيالك الدر
وفي متن هذا البحر تجرى سفينة ... تقل مهاة ما حوى مثلها خدر
الاموصل اياي قبل غيابها ... فيدركه من فعله العفو والاجر

فدع ذا وملْ بي نمتدح خير عاهل … اطاعته فرض وعصيانه خسر
على كل فرد سيد ومقدم … على النفس في كل الامور له قدر
أخو فيصل والفضل ما قد شهدته … وقد خصني منه الرجاحة والفخر
أشار بهذا النوع من غزلية … فجاءت عروسا قل في مثلها الدهر

معارضة نونية الشريف الرضي

« ومن شعره البليغ قصيدته التي عارض فيها نونية الشريف الرضي » :

يقولون عارض للرضى قصيدة … وما لي بالعبء الثقيل يدان
عجزت عن القول الذي جاء سابقا … وقد كل منه مقولي وبياني
على أن نورا منه شع شعاعه … اضاء لي الرجاء ثم هداني
فقال لي اذكر ما مضى ثم انطوى … ولا تنس ما قد كان انك بان
فلباه قلبي واستقاد لهديه … الا رب هدى سابق لاوان
وربة يوم قد شهدت ومجمع … حضرت وايام مضت بأمان
ذكرت خياما عند سلع عرفتها … بها الريم والغزلان يا فتيان
وقد كنت فيها خدن شوق وميعة … وقد كان لي فيها ربى ومعاني
ابعد اناس عند سلع وجيرة … عهدتهم ابغي الهوى واعاني
دعا هاتف للشوق في فحمة الدجى … فلباه سمعي واستجاب جناني
خليلي من عليا قريش هديتما … اشانكما في الشوق شاكل شاني
نظرت غداة البين والعين ثرة … ورداني مما اسبلت خضلان
ولولا حنين القلب لم ألف غدوة … ابكي لصوت قد سمعت يماني
وحنت قلوصي وامترى الدمع صاحبي … وقد كان يبكي مصلتي وسناني
وحمحم مهرى واستدار مكانه … لاي بلاد شد فيها عناني
فيا ايها المهر المحرز اصله … تصبر رويدا اننا غربان ؟
تشوقت ماء بالاباطح سلسلا … وقد نضبت بالشام كل شناني
فما ام خشف ترتعي الضال هاجها … نسيم تزجيه الهبائت وان
تعاطي بقرنيها اغن كانه … من الضعف يطوى البيد بالزحفان
اغارت عليه الطلس وهي سواغب … تجر اليه البيد بالزولان
فعادت اليه وهي ولهى فؤادها … هفا كجناح الطير في الخفقان
باوجد مني يوم اترك مربعي … بسلع الى مغنى بارض معان

معارضة أخـرى :

وعارض الملك احـدى القصائد الشهيرة وفيمـا يلـي بعض هـذه الابيات وقد وضعت الابيات الاصلية بين قوسين والابيات المجردة مـن الاقواس هي أبيات الملك :

(قفا نبك من ذكرى حبيب وعرفان ... ورسم عفت آياتـه منـذ ازمان)
قفا راقبـا منـي تعلـة ساعة ... اجـدد عهـدا بالجديـد وبالفانـي
(أتت حجج بعدي عليهـا فاصبحت ... كخط زبور في مصاحـف رهبان)
وانـي على بعـد الزمـان وقربـه ... شديد لظى قلبي على الحب ظمآن
(ذكرت بها الحي الجميـع فهيجت ... عقابيل سقم من ضمير واشجان)
وقفت هنا وقتا تذكرت مـا مضى ... رأيت خيـالا من بعيـد فحيانـي
(فسحت دموعي في الرداء كانهـا ... كلى من شعيب ذات سح وتهتان)
بلى قد تفيض العين بعد اختزانهـا ... على سابق من فقد خل وجـيران
(اذا المرء لم يخزن عليه لسانـه ... فليس على شيء سـواه بخـزان)
ولكن حبس المرء شوط بيانـه ... عسـير عليـه في البداء وفي الثاني
(فاما تريني لا أريـم محلتـي ... ولا اسمع القول المحكم اعوانـي)
ورب كريـم موثـق في رهانـه ... فككت قيودا عنه والحمد اولانـي
وكنت لدى مثواهـم غير فاقـد ... صوابي واحلامي ورشدي واشجاني
(به الذيب يعوى كالخليع وجنـة ... لها زجل في شكل نيـب وظلمان)
تلا الرسم نو غـير انـكد هاطـل ... بـه البرق يسمو فوق اسحم ريان

بلاغة التشبيب : كلنا يعرف معلقة عنترة الشهيرة التي يفضلها كثير من الادباء على جميـع المعلقات ، ولعـل أروع ما في القصيدة ذلك البيتان البليغان اللذان يعرب فيهمـا عن حنينه الى معشوقته وتذكره اياها بينما تلعب الاسنة في جسمه ، وتنهش السيوف من لحمـــه ، وقد بادر الى تشطيرهما أمير الشعراء أحمد شوقي فقال : ـ

(وقد ذكرتك والرمـاح نواهـل) ... من كل ثبت الجاش حولي مقـدم
واعـدت ذكـرك والمنـون بمنهـل ... (منـي وبيض الهند تقطر من دمي)
(فوددت تقبيـل السيوف لانها) ... سبب الى الذكرى واصل توهمـي
ترتـج ضاحكة فاطـرب كلمـا ... (لمعـت كبـارق ثغـرك المتبسـم)

وقد تفضل جلالته فعمد الى تشطير هذين البيتين معارضا بذلك تشطير أمير الشعراء :

(ولقد ذكرتك والرماح نواهل) من كل فارس هجمة مستلئم
ورئيسهم ملىء الفداء مهابة (مني وبيض الهند تقطر من دمي)
(فوددت تقبيل السيوف لانها) وبها أزيل العسف عند تقدمي
ولانها والشمس فوق صفيحها (لمعت كبارق ثغرك المتبسم)

الخؤون هو الجاني : وهذه الابيات العامرة اقتطفت من قصيدة وطنية للملك :

ذق الشعر ان الشعر ذوب قريحة ومن لم يذق للشعر ليس بروحاني
ومن لا يجيد الشعر كان كفارس نزول الى الهيجاء بدون سناني
وما الشعر من نظم القريض صحيفة فللشعر في مبناه كالشائد الباني
سمعت كلاما من يمين وشمال وقد جاء في معناه ما كان اغراني
فتحت لكم بابا الى المجد عنوة فسيروا ورائي تدركوا مجد اوطاني
الاقل لقوم يرفضون نصائحي على رسلكم يا قوم لست لكم شاني
الا قاتل الله العداة فانهم بطانة سوء والخؤون هو الجاني

معارضة قصيدة الهذلي : وقال يعارض قصيدة الشاعر الجاهلي أبي كبير الهذلي ومطلعها :

ولقد دخلت على الفتاة الخدر في اليوم المطير
ويقول الملك : برح الخفاء فلا لزوم لكتم حزن او سرور
والكل يعلم ما أريد من الكبير الى الصغير
ولقد رجوت وصالها في ليلة المطر الغزير
ابصرت قرب خبائها ما كان يمنعني المسير
ولقد ارتني شخصها بمنى وفي اليوم الشهير
انسانة فتانة جاءت تسير من الخدور
قالت تمعن يا فتى وانظر الى شمس القصور
لاحظتها فتضاحكت تفتر عن برد منير
ودنوت قالت يا فتى احذر من الطمع الكثير
لسنا نجود لطامع ابدا بمكنون الضمير
فهصرت فودى راسها وجذبتها نحو السرير
بيضاء مثل كواكب الـ جوزاء تسبح في الاثير
هيفاء ترفل في ثياب من دمقس أو حرير
وانا الذي غاضبتها وانا الملقب بالامير

ذكريات : وله من قصيدة في الفخر وذكر الماضي :

الحب كالدهر يعطينا ويرتجع ... لا اليأس يصرفنا عنه ولا الطمع
الفته والصبا يقرى الصبابة بي ... والوصل طفل رضيع والهوى يفع
ايام لا النوم في اجفاننا خلس ... ولا الزيارة من احبابنا لمع
اذا الشبيبة سيفي والهوى فرسي ... ورائدي اللهو واللذات لي شيع
الملك في والدي والعز في وطني ... والكل طوع بناني والاولى تبع
واليوم ارجو من المنان مغفرة ... تمحو الذنوب بفضل منه امتنع

وقال في المطر والبرق :

تلألأ البرق شاميا فقلت له ... يا حبذا البرق في لألائه الشامي
شبهته اذ تلالأ ثغر غانية ... ترمي وليس لها في الناس من رام
يسقى ديارا تلظي جد مسنية ... ما احسن النبت في قيعانها نامي

وله في الثلج :

نزل الثلج علينا ... جلل الارض بياضا
واذا ما حل صيف ... جعل الارض رياضا
اشكر الله لثلج ... اذ سقانا والحاضا

وقال في وصف حسناء :

ذلك الخط فانظروا عنوانه ... واقرأوا السطر وافهموا تبيانه
رب حسن وبهجة وجمال ... جاء يمشي مجمعا اعوانه
بينما ترسل الجفون سهاما ... يضحك الثغر مبديا لمعانه
انها تأمر القلوب وتنهى ... وهو كالبرق فانظروا خلجانه
كم كريم رنا يريد لقاء ... اظهر اللطف طالبا احسانه
وهو لا يرعوى ولا يتدانى ... شامخ الانف رافعا اردانه
قال عطفا ، أجاب وهو مشيح : ... قد قضى الله ربنا سبحانه

« **بهنانة** » : وتبدو رقة جلالته معبرة عن قلبه المحب الكبير في قصيدة له عن طفلة صغيرة أسمها « بهنانة » لم تكن تتجاوز الثامنة من عمرها ، وقد رآها تغسل وجهها ذات يوم فقال في ذلك :

بهنانة من بنات العرب ما فتئت ... تسبي العقول بما تبدى من الفتن
سريعة الخطو مرواغ مماطلة ... تصبي الحليم بدل رائع حسن
عاجية اللون حمراء الخدود فما ... رايت اختا لها بالوقت والزمن
سالت عنها فقالوا تلك في شغل ... قد ردها عنك غسل الراس والبدن

من عادتي كنت ادعوهـا بلا مهل ... متى سريت لاهلي دافعا حزني
فاستبطأت دعوتي ليلا فعن لها ... مشي على السطح ان اسمعه استبن
فكان ذلك فجاءتني مداعبة ... انظر ترى الماء بين الشعر بللني
فبت ليلى تناغيني والثمها ... اجفف الشعر من ماء به هتن
يا طيب نشر عبير في ذوائبها ... يا حسنها قلت ، لم اكذب ولم اخن

«**قافية مستعصية**» : ومما يدل على متانة الملك في اللغة وتعمقه فيها هذه الابيات التي اختار لها قافية تنتهي كلماتها الاخيرة بحرف الذال وهي صعبة المنال :

اعوذ بربي من حفاظ يثيرها ... وبالله من شر الحفاظ أعوذ
الا بئس طعم الهجر حين اذوقه ... ولكن طعما بالوصال لذيذ
وبالوصل يحيي المرء ان كان مدنفا ... وبالهجر والحرمان فهو وقيذ
رمتني بسهم من لحاظ مريضة ... فمن لي بخل يا اميم يحوذ
تصبرت عنكم بعض يوم وليلة ... وقد ساقني حبي فكنت الوذ

كرة القدم : وبينما كان مارا في احدى ضواحي العاصمة في سيارته الملكية شاهد مباراة في كرة القدم فارتجل الابيات التالية :

كرة تدار على الصفوف ... تسف ثم تنهز نزوا
يتسابقون لحاقها ... يا للرجال لذاك عدوا
واذا تحطم ساق واحدهم ... فلا يرعوه رعوا
لا بالمفيد طرادهم ... كلا ولا ان فيه جدوى

الهوى والهجر : ومن أبيات له في النسيب والغزل :

الهوى سببه عجيب غريب ... ومثير الهوى جمال ظلوم
ليت شعري وما أرى ليت تغني ... فالتمني علالة وهموم
ليس في الهجر ما يبغض عندي ... فبهجر يطول حب يدوم
قتل الوصل فهو سوءة وانتهاك ... وببعد شمل الهوى ملموم ! .

حمد : وقال عقب هطول المطر في أحد أشهر الشتاء :

كلما جف الثرى امطره ... ربنا من فضله خيرا عميما
وكذا الرحمن جواد اذا ... كان بأس كان جوادا رحيما
ربعت اقطارنا في شهرنا ... من جمادى بعد ان كانت رميما
أيها الانسان لا تيأس وكن ... مؤمنا بالله ايمانا سليما
واحمد الله على آلائه ... يعط ربي حامدا اجرا عظيما

نثر الملك

أما نثر الملك فكان يمتاز بديباجته المشرقة ، واسلوبه البليغ ، وتركيبه الرصين ، وانك لتحس وأنت تستمع الى خطبه ، وتتلو بياناته ، بأن في كلامه مسحة من العلم الالهي ، وكأنه قطعة من نهج البلاغة ، او مقامة من مقامات الهمذاني أو الحريري . ومن عادته أن يرسل كلامه عفوا ، ويرتجله ارتجالا دون ما أي تكلف او اعداد ٠٠ وقد نشرت في هذا الكتاب نخبة من أقواله وبياناته وأحاديثه التي تعتبر مثالا يحتذى في قوة الاسلوب واشراقة الديباجة ٠ وبعض القطع النثرية التي أدرجها فيما يلي نشر بعضها في جريدة الجزيرة او بالصحف الاخرى بتواقيع مستعارة ٠

الشيخ حمزه العربي

وقد ضمني ذات يوم مجلس من مجالس الملك فدخل علينا الشيخ حمزة العربي وهو يتهادى في مشيته ، وكان الملك يغمره بعطفه فأحب أن يداعبه فأملى علي القطعة الادبية التالية في وصف الشيخ :

أخبرني من اثق به ان النساء اذا رأين الشيخ يقلن انه رجل مبارك بلباسه الابيض الناصع ، وبدنه المكتنز ، ولحيته المستديرة ، والنظرات الحييه ، مع وقار في السير ونظر الى الارض مع شيء من الورع الظاهر ٠ فكل واحدة ترى فيه ناحية مستحسنة تود انها لا تصرف النظر عن تلك الهيئة ٠ واذا تكلم لا يخرج بالموضوع الى ما لا يحسن اتمامه ، وهو لا يستحيي من قول لا أدري عما لا يدريه ، ولا يخاف الجدل فيما يحسنه ويدريه ، ثبت الجنان ، يتقلع في مشيته ، فيتجنب مجالسته من لا ينبغي ان لا يجالسه مثله ، غير متكبر ولا جائر ٠ متواضع النفس يحيي من حياه أحسن تحية واذا خاطبه الجاهلون قال سلاما ، خطيب المنبر لطيف الوعظ ، حسن القراءة ، جهوري الصوت ، واذا علا منبر الخطابة لا تراه يديم النظر في شخص معين ٠ ويخاطب بقوله أيها المسلمون بدل ايها الناس فكأنه يشير الى أن ليس في المسجد الا مسلم ، وقدماء الخطباء كانوا يستفتحون خطبهم بقول ايها الناس ، وكانت المساجد قد يكون فيها من لم يسلم حينذاك ، فالخطاب الموجه الى الناس يضم المسلم وغيره والشيخ هنا لا يخاطب الا المسلمين ، واذا انحدر عن المنبر استعان بيمنى يديه وقال للمقيم أقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ٠

الشيخـــان ..

وقد أملى جلالته على الاستاذ ضياء الدين الرفاعي القطعة التالية يصف فيها الشيخين عبدالله غوشه ونديم الملاح : يقومان بعبارات سجعية ، في الحضرة السنية ، أحدهما يتلو الاخر ، ولكن بياناتهما في عدم تقابل ، بل هي في تناحر ، معنى غير متغير ، واسلوب متكرر ، ولكنها جولة ، تتبعها منهما في التوفيق صولة ، وهذه صناعة لا تجيز الدعاعة ، ولا تقبل الكلمات الفاترة ، والتأتيات الحاضرة ، والدهر ذو فنون ، وشؤون وشجون ، أمور في الغيب ، وأخرى ربما كانت في الجيب ، يسعد السعيد ، فيطلـــــب المزيد ، ويشقى الشقي فيقول أين هي ! والاثنان الى غاية واحدة ، ومعان متشاكسه ، غير متواردة ، والهدف الفناء ولله وحده البقاء ، وفي الدنيـــا متاع ، ولكنه قليل ، وبها انتفاع ، ولكنه يسير ، فمتى تكون السعادة ؟ أحين يولد المولود من غير اختيار ولا استبصار ، فيلف في اللفائف أشهر ، أم بعد ذلك ، حين يصد عن كل رغبة ويهجر ، أم حين يرسل الى الكتاب (بتشديد التاء) ويوضع بين يديه الكتاب ويفهم بالجار والمجرور ، وما يصرف وما لا يصرف ، وهو بين المعلم وتهديداته ، مما يلفظه ويهوي اليه بمهواته ، أم حين يشب عن الطوق ، ويرمي في ميادين الجهاد والعمل وليس له نحـــوه شوق ، فيبتلى ويمتحن ، ويعار ويمتهن ، واذا بالزوجة والبنين ، والحاجة الى الملبس والطحين ، ثم الكهولة على غير خط ، ثم الشيخوخة وليس بها رغبة ، ام الفناء وما فيه من حسبان وبلاء ، أو عفو ورجاء ، فقل للشيخين ، يصوغان الكلام ، في الصرف والنحو ، لتحوط به الافهام ، ميسرا غـير معسر ، والا فهما واسلافهما ، لغز مرموز بين مجرور ومهموز !

الراقصة الهنديـة

وقد طلب الملك الي نشر هذه القطعة الادبية التي دبجتها يراعته في جريدتي الجزيرة بتوقيع مستعار على لسان راقصة هندية :

كنت أحسن راقصة في الهند وكان جسدي المتناسب في سمرة تحاكي لون لآليء سيلان العاجية القاتمة . وكانت حركاتي تحاكي تملق نمـور الهند السوداء المتحببة . وكل عضلة تتلوى في رشاقة خنساء أشد سما من سموم افاعي الهند ولكن كانت تتموج في ألوانها كتموج تلك الافاعي التي تهب من رقدتها عند حلول فصل الصيف بعد انقضاء ليالي فصل الشتاء ، أنا جمعت مشاعرية الحركات ورشاقة الصنعة كاملة في هيكلي هذا الذي ترونه ، ان كل طيران لرجلي تتعقبه وسوسة تلك الخلاخل والحجول بتنينك

الرجلين على قدر ما تفيض به شاعرية روحي ، آنا بشكل مؤنس ، وطورا بشكل صائح صخاب ۰ فكل عشق على هذه الارض وكل ملاحة لهـــــذه الطبيعة تهتز بجموعها في جسدي الفتان وبرشاقة تسبي الحليم حلمه وتحي الميت في رمسه ، ثم كان لي رأس تتجلى في أصغر عضلة من عضلاته حركات تسيل موجات حريرية شعرية تهديها الى جسدي الغض فتسر الناظرين ۰

وكل الهند كانت تعتبرني موجدة الرقص وتبجلني كأستاذة للفن ، لقد رقصت في حضرة الملوك والكبراء ومعشر الراجاوات والامراء فغمرت بما كان ينثر علي من نفائس اللآليء ونادر الياقوت ولامع البرلانت فتكون الى درجة يمكن ان تغطي ما كان على جسدي من حرير ونمارق محلاه ، وكان لي كلون أفره قرنفلة حمراء من نتائج البلاد الحارة شفتان تنفرجان عـن اسنان كالبرد صفاء وصحة ولكنني مع هذا كله كنت غير مغتبطة ولقد كان في روحي نقطة باردة عجزت عن تسخينها ملاحتي الباهرة وجمالي الفائق ودرري المنثورة ومحبة الناس لي وبالاخير ذلك الاقليم الحار الذي ولدت ونشـأت فيـه ۰

لقد كنت اشعر بالبرد في هذا الاقليم الملتهب الجو من حرارة القيـظ وكنت أشعر بالبرد في الزمن الذي كانت تنفث سماء هذا الاقليم فيه بهبائبها الصفراء المتأججة فيغشى الناس من هولها لانه لم تكن أشرقت على قلبـي روح العشق التي تدفيء النساء فالنجوم التي اذا أشرقت أضاءت آفاق النساء المظلمة كانت ولا تزال تحتجب بسحب قاتمة في قلبي فكنت أجوب القفار في وقت فراغي وأغشى المجتمعات ساعة اشتغالي متلمسة ما أدفع به هـــذه البرودة القطبية المتمركزة في قلبي الوثاب فنمت ليلة وانا تحت هذا التأثير واذا بي أرى وجها سماويا يتجلى وفي العينين منه لمعان كالبرق وفي جبينــه نور يضيء الغرب والشرق فاستيقظت واذا بي والافلاك وهذا الاقليم المحترق وجميع ما أمس وأرى لهبه من عشق واذا بالمحبون يضع كل منهم يده على خصري فيحتضنني بنفسه فأهجر الرقص واللآليء ومنثور الاحجـار الكريمة واختار لنفسي وله منزلا قرويا في مسقط رأسي وهناك أشعر بالدفء المعتدل فلا حر ولا قر بل الهناء والسعادة ۰

وفي التاريـخ عبـر ! ۰

وهذه قطعة أدبية أملاها جلالته على أحد أخصائه تعليقا على بعض الاحـــداث :

۰۰۰ مواضيع الكتابة تعسر على الانسان احيانا وتسهل أحيانا ، أما البشر فهم البشر آدميون كلهم ، فيهم الغبي وفيهم الذكي ، ومنهم القليل

ومنهم الكثير ، اذا قويت فئة من الناس ، كثيرة العدد وتوافرت لها أسباب الغلبة ، لفتت اليها الانظار ، فتسابقوا يقلدونها ، والتقليد آفة ، وهو ترك مالك ، واخذ ما هو لغيرك ، ولا نعني بهذا الارض ، ولكن نعني العادات والاخلاق ، وللامم كما للافراد ادوار ضعف وقوة ومرض وعافية ، واكبر آفات البشر الترف ، وخير سائق للناس الحاجة والفقر ، فاذا حصل الاعتدال سادت القوة ، واذا اختل الاعتدال بجنوح للضعف او ازدياد للقوة ، حصلت الاسباب التي تشوق للانحلال او الازدهار .

نحن العرب . . .

وهذه القطعة الادبية لجلالته نشرت في جريدة فلسطين :

أمة نجيبه .. لها الماضي المجيد .. والفتح البعيد .. والقدم الراسخة في الروحيات .. والالاهيات والمدنية .. وتلك آثارهم تدل عليهم .. يحرصون على الاحتفاظ بالمجد .. وسيسعون الى اسعاد الناس .. واقامة العدل والمساواة الحقة .. فهم انسانيون في دمهم وروحهم وليسوا بمقلدين .. وما أصدق أبو دلف حيث قال :

على انـي مـن القـوم		البهاليـل بنـي الغـر
فنحـن الناس كـل الناس	–	في البـر وفي البحـر
أخذنـا جزيـة الخلـق	–	من الصـين الى مصـر
الى طنجـة بل في كل أرض		خيلنـا تسـري
اذا ضـاق بنـا قطـر		نـزل عنـه الى قطـر
لنـا الدنيـا بما فيهـا		من الاسـلام والكفـر
فنصطـاف علـى الثلـج		ونشتـو بلـد التمـر

هؤلاء العرب ، فلنعد بهم الى ما كانوا عليه ، ولا ينبغي السكوت على ما نحن فيـه .

الناس غب المطر !

وأملى جلالته القطعة التالية على أحد أفراد المعية في بعض الايام الماطـرة :

سنة غريبة ، هطلت السماء في تشرينها الاول ، فجأة ، هنا وهناك ، مطر غزير فيه برد ورعد وبرق ، وانقطع على جفاف ، ومضى تشرينها

الثاني ، والناس عيونهم في السماء ، بعضهم يريد المطر وهم الزراع وعامة الناس واحدهم لا يريده وهم أهل الاحتكار ، وهم خلاصة الفجار ، ومضى ذلك الشهر ، فيه زذاذ وبخات ، لا تروي أرضا ولا تسقي صاديا ، فانتظر الكل رأس السنة ، ودخول الاربعين فكان نو سقى الجنوب وأرواها ، وأحيا وسط المملكة حبا وسطا ، سلمت به الحبة ، ولم تجد فيه عشبها الدابة ، ثم انقضى كانون الثاني بين رجاء ويأس ، والسماء ذات دخان والارض غبراء ، فاستغاث الناس وسألوا ربهم الرحمة ، في هلع ورجاء ، حتى اذا حل اليأس حل الله عقالها بفيض عارض سقى فأروى وأعطى فأجزل ، سالت منه الاودية وامتلأت منه الغدور وتفجرت العيون ولا نزال الان في عقابيل انوائه والكل مرح والكل مسرور ، الطير في وكناتها ، والدابة في مسارحها ، وما من كاسف غير التاجر المحتكر ..

ليالي رام‌الله

قضى جلالته أياما هانئة في مخيم خاص أقيم فوق احدى روابي مدينة رام‌الله فاستهوته مناظرها الرائعة وهوائها الطلق فأرسل الكلمة التالية :

ما أحب وأعذب وما أبعد واقرب .. ومن رام الله نطل على الساحل من فلسطين .. ثم البحر .. واذا ارتقيت شاهقا ونظرت الى الناحية الشمالية في جو صاح أطل عليك جبل الثلج او ما يسمى بجبل الشيخ ، يحيي هذه القمم تحية الداعي المشتاق لوحدة مرموقة .. وغاية مشوقة ..

هذه الاحاسيس الجدية خالجت نفسي في ليالي رام‌الله وأيامها السمحة ، زوال ذلك يغم صاحبها ، ودفء أصيلها ، واختلاجات عصرها ، وحسن الغروب فيها .

واذا طلعت الشمس فهي تنظر من الشرق الى الضباب النائم في التلال والشعاب ، منخفض عن رؤوس الجبال والهضاب وكأنه قد اختبأ عن الشمس ، ولكنها تدركه فيذوب ويتبخر فترى الذاهب والايب ، على صهوة جواد أو على متن بغل او في وسائط الزمن من سيارات ودراجات ، ثم النساء اللواتي يحملن القفاف على رؤوسهن هابطات الى الاسواق بما جمعن من خضار وثمار يعرضنها على الاسواق ..

واذا بك تفاجأ بطلقات نارية متفاوتة أو صليات مجتمعة ذلك هو الحرس الوطني .. الذي صانه الله ورعاه والذي سيكون القوة التي تحمي السهل والبحر والجبل على ما يشتهون ويرغبون .. لبيك اللهم لبيك ...

الملك ولفظ الـراء

حينما بلغ ركب جلالته عاصمة اللواء الشمالي في احـدى جولاته كان بين الذين استقبلهم جلالته شيخا ألثغ (لا يحسن النـطق بالـراء) فقدمه أحد الحاضرين الى الملك قائلا : ـ هذا صاحب الراء ولديه خطاب مجرد من هذا الحرف الثقيل فتعطف الملك وسمح بالقائه وأعرب عـن ارتياحه اليه ثم أملى على الخطيب كلمة ارتجالية لا راء فيها وهي : ـ

الحمد لله حمد المؤمنين والصلاة والسلام على محمد المبعوث بالهـدى للعالمين وآله وصحبه أجمعين ٠

أما بعد فان الحمد مفتاح كل مغلق ، والصلاة والسلام على محمد منهاج كل موفق ٠

أعلم جزيت النعم ان اللغة المنسوبة الى اسماعيل جد محمد صلى الله عليه وسلم لهي أفصح اللغات وأن النطق بها ليس بالهنات الهينات ومع ذلك فهي كالخضم المحيط لا يبلغ لها غاية ولا يوصل منها الى نهاية وانهـا لصعبة الانقياد وتلين مع الاجتهاد والاعتياد فان أحببت السلامة من مشاكلها ووعثائها فتتبع خطب البلغاء الاولين وانح نحوهم واقصد قصدهم يكن ذلك لك ملكة وفيك حنكة تجنبك ما تخشى من عطبها في أشكالها وألفاظها ، سلام الله علينا وعليك ولله المنه ٠

الشيخ مخلــد

ووصف جلالته الشيخ مخلد وهو من افراد الحاشية الملكية المقربين الى جلالته فقـال :

الشيخ مخلد ، أحد الخواص ، وهو ذيابي روقي ، مـــن عشائر الحجاز ، وتسكن هذه العشيرة في شمال ركبه ، وشرقي الحرة ، حرة سليم ، والحرة حجارة سود ، بركانية ، متجمدة بفعل الحميم ، ومنها المتناثر ، يتخللها قيعان صحن ، لا ترى فيها عوجا ولا أمتا ، فيها آدمي الظباء ، والسمر من الارانب والنافر من الضان ، وحمر الابل ، وفيها الرماة ، الذين لا يخطئون حدقة الرجل اذا رموه ، ربيعهم زاهر ، قيظهم فاخر ، وشتاؤهم سيال ، وخريفهم فيه لذيذ التمر ، وهم بين عشيرة مطير وسليم وحـــــر وهزيل ، وكلهم موصوف بالشجاعة وكرم الاخلاق والفصاحة ، والشيـــخ مخلد راوية للشعر ، وشاعر مطبوع في الشعر البدوي ، ومتى ذكرته بحاذة والمحاني وأطراف عشيرته والمسلح والنقراواتي والطراة ، خرت دمعـة

مخلد على الخدين ، واذا كان معنا في احدى الزورات للبادية ، وذهب ثلث الليل الاول ، فخلد النار ، واخذ يحدو بالحجازيات وجذب اليه كل من على شاكلته ، فاذا بهم سمر الليل ، يرى نارهم كل غريب ، واذا به مهرجان لطيف في حقل ظريف ٠

النضال من اجل سورية

لقد ألمعت في الصفحات الاولى من هذا الكتاب الى الاسباب التي حفزت الملك عبدالله الى مغادرة بلاده الحجاز ، وشخوصه الى ربوع الاردن في طريقه الى سورية لتحريرها من نير الاستعمار الفرنسي ، وتحقيق آمالها في الحرية والوحدة والاستقلال ٠ وقد جعل من هذه البقعة العزيزة من الوطن السوري الكبير موئلا للمجاهدين السوريين ، وملاذا لاحرارهم والنازحين منهم ، ونقطة انطلاق للنضال القومي والزحف الوطني رغم معارضة السلطة المنتدبة ٠٠

وكان جلالته يعتبر فكرة الوحدة السورية ، ومشروع سورية الكبرى او الهلال الخصيب أمنية غالية يعمل ليل نهار في سبيل انجاحها وتحقيقها والوصول اليها غير آبه للصعوبات التي كانت تعترضه ،والعثرات التي كانت تقام في طريقه ، والمؤامرات التي كانت تدبر والدسائس كانت تحاك والتهم التي كانت توجه اليه لاحباط مساعيه وتشويهها ٠

وقد أفصح عن مشاعره نحو سورية في مذكراته اذ يقول :

« ولشد ما أرقني التفكير في أمر هذا الجزء العزيز الحساس من الوطن العربي ٠ ٠ فسورية في اعتقادي هي سورية الصحيحة ، سورية الكبرى ، ديار الشام المعروفة في التاريخ ٠٠ وليست سورية التي تعارف ناس عليها اليوم بمثل ما خطط المستعمر ، وجعلها هذا الجزء من سورية ـ جزءها الشمالي فقط ! ٠ ٠ »

وقد يضيق نطاق هذا الكتاب عن استيعاب جميع الجهود التي بذلها ، والمحاولات التي قام بها ، والوسائل التي تذرع بها ، والخطوات التي اتخذها في هذا المضمار وحسبي أن أجملها فيما يلي :

(١) صرخته الاولى التي أرسلها فور وصوله الى معان لدى انطلاقه من الحجاز على رأس حملة مسلحة وقد نشرناها في مستهل هذا الكتاب ·

(٢) اتخاذه الراية التي كانت ترفرف فوق ربوع سورية في العهد الفيصلي راية رسمية للاردن ·

(٣) استعانته برجالات سورية من مدنيين وعسكريين في اقامة كيان الاردن وتنسيق علاقاته مع الخارج ·

(٤) بياناته وخطبه وتصريحاته المتتابعة حول هذا الموضوع ·

(٥) رسائله المتواصلة الى ملوك العرب ورؤسائهم وزعمائهم وقادة الرأي فيهم يدعوهم الى تحقيق الوحدة أو الاتحاد مع سورية ·

(٦) مذكراته المتوالية الى بريطانيا والدول الكبرى لرفع الجور عن سورية وانهاء الاستعمار الفرنسي فيها والمطالبة بتأييد وحدتها وسيادتها ·

(٧) اتصالاته الشخصية والرسمية مع مختلف الجماعات والاحزاب ورجالات البلاد لتحقيق هذا المبدأ ·

(٨) فتح أبواب الاردن لاستقبال الوافدين اليها من أحرار سورية الشمالية والجنوبية وتوفير أسباب الراحة لهم وحمايتهم من مطاردة سلطات الاحتلال ·

وسأروي فيما يلي بعض ذكرياتي عن الملك الراحل وموقفه من الشعب السوري وعطفه على أمانيه وتأييده لجهاده في سبيل الوحدة والاستقلال ·

دمشق تزحف الى عمان

في عام ١٩٣٩ هزلت الامور في سورية ، وتردت الاوضاع السياسية فيها ، وانقلبت الحركة الوطنية الى شركات للاستثمار والاستغلال وقضاء الاوطار وبلوغ المناصب ، وكان الشعب السوري يرقب عودة زعيمه الاكبر الدكتور شهبندر من القاهرة بعد صدور العفو عنه (وكان قد حكم عليها بالاعدام) ليشرف بنفسه على تنظيم حركات التحرر ، وينقذ البلاد مما تعانيه في ذلك الحين · · وكنت أعتقد أن لا سبيل لبلوغ الغاية المنشودة وتحقيق الامال البعيدة في الحرية والاستقلال الا عن طريق التعاون بين دمشق

وعمان أو بعبارة أخرى بين سمو الامير عبد الله والزعيم الشهبندر وقد رأيت في وفاة الملك غازي فرصة مناسبة للشخوص الى عمان وتقديم التعازي الى سموه والتباحث معه في تلك الشؤون القومية · وفي اواخر ايار وصلت الى العاصمة الاردنية وزرت الامير في قصره وتحدثت اليه طويلا عن الموقف في سورية ، وضرورة اتخاذ بعض الخطوات لانقاذ هذا الموقف ، واقترحت أن يحضر الشهبندر بنفسه الى عمان لدراسة الاوضاع ، ووضع خطط العمل المشترك ، والضغط على الحكومة البريطانية للتدخل في حمل فرنسا على تبديل سياستها الاستعمارية بالدخول في مفاوضات مع الدكتور شهبندر والامير عبدالله معا للوصول الى حل يرضي الشعبين السوري والاردني · وقد لقيت من سموه اهتماما بالغا واستجابة سريعة لم أكن اتوقعها وقبل أن أنهي حديثي قال سموه :

— وأين الدكتور شهبندر الان ؟

— انه لا يزال في مصر وهو يعمل على تصفية أعماله تمهيدا للعودة نهائيا الى سورية ·

— هل تعرف رقم هاتفه ؟

— نعم وما كدت أعطيه الرقم حتى بادر الى الاتصال هاتفيا بالدكتور ، وكلفني أن أستهل المحادثة بنفسي وأنقل اليه تحيات سموه ، ودعوة سموه له لزيارة عمان أثناء عودته الى دمشق فطلب الدكتور أن يتحدث مباشرة الى سموه وبعد أن قدم الدكتور تعازيه الى الفقيد بمناسبة وفاة ابن اخيه الملك غازي أعرب عن تقديره لمشاعر سموه وقبوله للدعوة ولكن بعد ان يصل الى دمشق ويتصل باخوانه ·

وبعد أيام قلائل وصل الدكتور الى دمشق فعقد اجتماعا هاما في دار المرحوم الاستاذ زكي الخطيب حضره جميع اخوانه العاملين معه في الحقل الوطني وما كاد يعرض عليهم الفكرة حتى أقروها ووجدوا فيها بداية عهد جديد للعمل والتعاون المشترك ، وخطوة جريئة في وحدة القطرين الشقيقين ·

واستقر الرأي على أن يرافق الدكتور عدد من اخوانه في زيارته لعمان ·

وفي اليوم التالي انشأت مقالا في جريدتي الجزيرة تحت عنوان (الى رغدان) قلت فيه : بمناسبة وفاة المغفور له الملك غازي فسيتوجه الزعيم الدكتور شهبندر وصحبه الى عمان ليؤدوا واجب العزاء للامير عبدالله وليعربوا لسموه عن آلام الامة من ذلك الخطب الجلل والمصاب الفادح ، ومن هذه

الحياة المريرة ، المثقلة بالهموم والمتاعب ، والمحفوفة بالعناء والمصاعبَ ، وآمالها في الوصول الى حياة هنيئة وادعة وحرية كاملة ووحدة شاملة وعــز أثيـــــل ٠

« وهل هناك أحق من سبط الرسول ووارث عرش الحسين ورفيق فيصل في الجهاد باستماع هذه الانات التي تعتلج في الصدور والاهات التي تنبعث من أعماق القلوب ؟

« وهل هجر سموه أرض آبائه واجداده ليكتفي بالامارة على تلـــك البقعة الصغيرة من هذا الوطن السوري أم ليجدد الصرح الذي ابتناه شقيقه فيصل ويمد يده الى دمشق الثاكلة فيمسح دموعها ، ويأسو كلومها ، ويلطف آلامها كما صرح بذلك عندما القى عصا تسياره في معان قبـــل عشرين عامـا ؟

« وهذه دمشق التي ترعى العهود وتحفظ الذمام وتعرف معنى الوفاء خفت لتحية سموه ولتذكره بالوعد الذي قطعه على نفسه ، ولتعرب عـن تعلقها الصحيح بالبيت الهاشمي وتمسكها الوثيق بالوحـدة السوريـة الصغرى والوحدة العربية الكبرى التي يجب أن تبدأ باعادة هذا الجزء الغالي الذي فصلته السياسة الاستعمارية ظلما وعدوانا واطلقت عليـه اسم (شرق الاردن) الى أمه الرؤوم ٠٠ وما ضاع حق وراءه مطالب ٠ »

٠ ومن الغريب أن الفرنسويين لم يحركوا ساكنا خوفا من ثورة الجماهير واكتفوا بايفاد اعوانهم لمرافقةالوفد ٠ وفي صباح يوم ٧ حزيران سنة ١٩٣٩ تحرك الوفد من دمشق في رتل كبير من السيارات يربى على عشرين سيارة تقل نحو ستين شخصية من الشخصيات السياسية والادبية والاقتصاديـــة والصحفية في البلاد وعلى رأسهم الدكتور شهبندر وبين الذين تعيهم الذاكرة من أعضاء هذا الوفد السادة : فوزي البكري وعثمان الشرباتي وعمر ابو ريشـه ووحيـد الحكيـم وعـارف التـوام وكـامل هنانـو وبكـري الحايك وهاني الجلاد ويوسف العيسى ونصوح بابيل وأمين سعيد وجورج فارس وكاتب هذه السطور ٠

وقد استقبل اعضاء الوفد على طول الطريق من درعا حتى اربد فصويلح فعمان استقبالا حافلا منقطع النظير لم يشهد له تاريخ الاردن مثيلا ٠

وتوجه الموكب رأسا الى قصر رغدان حيث أدوا واجب التعزيـــة والمواساة الى الفقيد وتناولوا طعام العشاء على مائدته الكريمة ٠ ومكـث الوفد في عمان ثلاثة أيام أقيمت على شرفه في غضونها سلسلة من الحفلات

والمآدب كان أجدرها بالاعتبار الحفلة التي أقامها رئيس بلدية عمان السيد سعيد المفتي في فندق فيلادلفيا حضرها سمو الامير عبدالله ورجال حكومته وكانت بمثابة سوق عكاظ فقد تجلت فيها روح الاخوة الصحيحة والتضامن الوثيق للعمل المشترك وتبارى فيها الخطباء والشعراء من أردنيين وسوريين في التحدث عن الحرية والوحدة والاستقلال وأعربوا عن مشاعرهم الفياضة نحو الاردن وأميره العظيم ·

وبين الذين تكلموا في هذا المهرجان القومي الدكتور شهبندر والسادة سعيد المفتي وكامل هنانو وهاني الجلاد وعبد المنعم الرفاعي ووحيد الحكيم ونصوح بابيل وكاتب هذه السطور وألقى الاستاذ عمر ابو ريشة قصيدة عامرة · وختم المهرجان بكلمة لسمو الامير ردا على كلمات الخطباء هذا نصها :

أنا لست شيئا الا بكم أجمعين ولا رائد لي الا خدمة امتي · اما أهل الغش والدس فأرجو الله أن يقينا اياهم فهم لا يفلحون · أنا لا اشك بأن الله سبحانه وتعالى لم يبقني الى هذا الوقت ولم يبقكم لهذا الزمن الا لكي نعمل يدا واحده لمصلحة الامة فاذا فزتم فزت وبالله المستعان وهو ولي الامر ·

خطاب الزعيم الدكتور شهبندر

وفيما يلي الخطاب الرائع الذي ارتجله الزعيم الشهبندر :

في كتب العلم ان الاقوام السامية التي احتلت شمال الجزيرة العربية من حدود الشام حتى أقاصي العراق قدمت من جزيرة العرب نفسها · ومعنى ذلك ان الاديان الكبرى الثلاثة : الاسرائيلية والنصرانية والاسلامية هي وليدة الصحراء · فالصحراء أم العجائب الدينية · وانني ما فكرت في شرق الاردن ولا نزلت في عمان الا تذكرت الصحراء فالصحراء ليست فقط مصدر الاديان الثلاثة الكبرى بل هي مصدر شيء آخر نبيل جدا وله قيمة اجتماعية كبرى وهو ما يسمى بالفتوة أو الفروسية ومعنى ذلك في لغة اوروبا أن رجلا أحب فتاة وصحبها الى حدائق الحيوانات فحاولت أن تجرب حبه وتعلقه بها فألقت من يدها القفاز الذي تحمله في قفص الاسد وهي تتوقع اذا كان صادقا في حبه أن يغامر بنفسه ويأتيها بالقفاز من مخالب الاسد فتقدم بكل جرأة ودخل الى عرين الاسد فأنقذ قفازها وسلمها اياه ·

هذه فروسية طالما سمعناها عن أخبار عنترة وعبلة اللذين عاشا في قلب الصحراء · ويمكننا ان نرى في هذا الدرس البليغ عبرة ماثلة في هذا

العصر وعلى مقربة منا فالقفاز هو فلسطين والحيوان هو ثعبان سام واعني به الصهيونية . ففلسطين أيها السادة القتها المقاصد الاستعمارية في فم الثعبان فاذا كنتم أبناء الصحراء تقدسونها حقيقة فهلموا بنا الى فم الثعبان لننقذ منه فلسطين المقدسة (تصفيق حار مستمر) وماذا سمعت في الصحراء من أخبار الفروسية والفتوة سمعت يا سمو الامير ان رجلا من قبيلة عنزه نزل ضيفا على بدوي من (ولد علي) في الشمال الشرقي من تدمر وبعد أن أكرم مثواه غادر الضيف البيت الذي كان فيه وسار في طريقه الى وطنه فما كان من صاحب المنزل الا ان سبقه الى منعرج الطريق وقال له : تسلح يا رجل ، واقدم على سلب فرس الضيف فخالف بذلك تقاليد الصحراء وعادات العرب اذ تقضي تلك التقاليد أنه اذا مر عليك رجل وقال لك السلام عليك فعليك حمايته مسيرة يوم واذا حل في بيتك ضيفا وجبت حمايته مسير ثلاثة أيام ولم يكد نبأ هذا الحادث يصل لمسامع مشايخ العرب حتى قامت قيامتهم وثارت ثائرتهم وجمعوا مجلسا قضائيا من قبائل عنزه والرولة وشمر . .

أتدرون أيها السادة ماذا حكموا على اللص الفاجر ؟ انهم طبقوا ذلك الحكم الذي يتذرع به قداسة البابا عند محاكمة المخالفين لقوانين النصرانية واعني به (الحرمان) وبذلك فقد قوطع هذا الرجل مقاطعة تامة وحرموا عليه الاتصال بقبيلته مدة ثلاث سنوات .

أيها السادة ان الدرس الذي حداني الى ايراد هذه القصة والذي يجب عليكم ان تعيروها جانب الاهتمام في المستقبل هو ان كثيرا من الناس يأتون الينا يخطبون ودنا ويتملقون لنا ويظهرون من ضروب الحفاوة ما يجعلنا نشعر انهم أضافونا في بيوتهم واستقبلونا في ديارهم . ولكنهم في الواقع يظهرون لنا الايمان ويبطنون الكفر حتى اذا حانت الفرصة أوقعوا بنا وتربصوا بنا الدوائر ، ثم اذا خلوا الى سادتهم المستعمرين اظهروا لهم كل خنوع واستسلام ثم لا نلبث أن نراهم يتظاهرون بتمثيل الوطنية المجردة وبذلك تنطبق عليهم الآية الكريمة :

(واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزؤون . الله يستهزىء بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون) .

فماذا يجب ان نعمل ايها السادة لمعاقبة هؤلاء الناس ؟ يجب علينا ان نطبق عليهم قاعدة الحرمان ونحملهم على الاقامة بعيدين عنا لكي لا يفسدوا باوبائهم ومبادئهم الفاسدة جونا النظيف (تصفيق) .

ثم ختم الدكتور خطابه بقوله :

أخيرا يا سيدي الامير ، بيننا حساب قديم نريد ان نسدده في هـذه الايـــام ؟

ففي خلافة علي بن أبي طالب وملك معاوية بن أبي سفيان انشـق المسلمون الى فريقين الاول أخذ يناصر أهـل البيت والثانـي شـد أزر آل سفيـان ٠

لقد تضعضع المسلمون من هذا الانشقاق ولكنه لم يؤد الى تراجـع وانهيار ٠ أما نحن في هذه الايام فالاستعمار كشر عن نابه واوروبا تحاول ان تبتلع بلاد العرب فلا يجوز أن يكون آل البيت في جهة وبنو سفيان في جهة أخرى ، جئنا اليك ونحن احفاد معاوية لنقول لعميد الهاشميين ، لا تنازع بيننا اننا نطلب الغفران لما حدث في الاسلام ٠

لقد كان الخلاف قائما في الماضي بين آل البيت وآل سفيان ، أمـا الذين قدموا اليك الان فهم ليسوا من بني سفيان فحسب بل جاؤوك من العراق والشام ، اتوك سنيين وشيعيين ، مسلمين ونصارى ليصافحوك يا سبط الرسول ، ويا مؤسس النهضة العربية وليقولوا لك أن العروبة في خطر فتقدم كما تقدم جدك الذي أعلن الثورة على الاوثان ودعا الى الصراط المستقيم وانقذ الاخلاق والفضيلة من الانهيار تقدم وانقذ العروبة من الخطر الذي يدهمهـا ٠

فنحنا ما جئنا لنقول مات الملك ؟ بل لنهتف : عاش الملك ٠

قصيدة الاستاذ الرفاعي :

وقد ألقى الاستاذ عبد المنعم الرفاعي القصيدة التالية :

وقـف الصبـح باسـم الاضـواء ... خجلا مـن تعـانق الابنـاء
وأبوهـم يضمهـم بيديـه ... مالىء بالجلال عـرض الفضـاء
جعل السهل والربـى والصحارى ... فهـو نسـر وانـي الجناحين نائي
من ثمـار العصور فيـه رحيق ... هاشمـي الالهـام والايحاء
أمـل في نفوسنا قـد تبقـى ... ورجـاء مـن بعـد فقـد الرجاء
رمقتـه العيون من افق سوريـا ... ومـدت اليـه حبـل الـولاء
وآتتـه الرجـال تحمـل دينـا ... من معانـي العروبـة الغـراء

زينتها حدائق الشام بالفن ... والشعر والحجى والذكاء
وقديما هبت من الشام روح ... ملات بالشذى مدى الاجواء
فاسال الجو هل به غير عبق ... من خزامى جنانها الزهراء
واسال البحر هل به غير ترب ... جبلته مصارع الشهداء
اي بني الشام ليس في الشام الا ... صور المجد في اطار الاباء
وكاني بكم طيوف المعالي ... والعوالي في عزة ومضاء
كل فرد عليه ان يرتسم المجد ... ومنه مشارق العلياء
حول ركن من الزعامة فذ ... ولواء أعظم به من لواء
العهود الحمراء لم تدر منه ... غير ذكرى ريانة بيضاء
ايها القائد الزعيم سلام ... من قلوب مغمورة بالوفاء
ان عمان يوم مقدمك الزاهر ... روت اشواقها باللقاء
وهي في ظل فارس عربي ... قبس للعروبة الشماء
لهف نفسي متى تطيب الاماني ... بعد طول الجهاد .. بعد العناء
ومتى الوحدة التي نرتجيها ... تتخطى حدود كل رجاء
شان هذا الزمان ان يسحق ... الضعف ويرمي الاشلاء بالاشلاء
والعظيم العظيم من كان ثبتا ... في مجال العواصف الهوجاء

قصيدة يشترك بنظمها شاعران :

والقيت في المهرجان قصيدة اشترك بنظمها الشاعران فؤاد الخطيب ومصطفى وهبه التل ترحيبا بالوفد الكريم :

يوم لرغدان من ايام عدنان ... اعاد ما كان من عز وسلطان
تزاحمت فيه أقطاب غطارفة ... من الاعارب من شيب وشبان
يؤمهم مدره كالدر منطقه ... ينسيك ما قيل عن قس وسحبان
وبينهم من سراة القوم انجبهم ... ما شئت من أدب جم وعرفان
يدعون للوحدة الغراء لا وجل ... فيهم ولا بينهم من فيه لونان
موفقون الى الخيرات يعصمهم ... حزم تفجر عن عقل وايمان
جاءت دمشق الى عمان زاحفة ... وطالما سادت الاوطان اوطاني
ان الحمية ما زالت كعهدكم ... ذخر الميامين من علياء عدنان
والهاشميون ادرى الناس قاطبة ... بأن زمزم والاردن صنوان
اذا تفرقت الاسماء واختلفت ... فالقصد يجمع اخوانا باخوان
أموا عميد قريش في أرومته ... وما لهم غيره من موئل ثاني
هو البقية فيهم والملاذ لهم ... والسابق الفذ لا كل ولا واني

لن يبلغ العرب ما يرجون من رغد — الا اذا اغترفوا من بحر عدنان
علم وفضل وآراء مسددة — وهمة تجعل الاقصى هو الداني
وحكمة تقف الاحداث حائرة — ازاءها وهي في ذل واذعان
ان السياسة في رفق بلا صخب — غير السياسة في مين وبهتان
وكاذب الفعل لم يفلح وان صدقت — منه الالاعيب حينا بين أحيان
فمرحبا بزعيم لم يرم ابدا — غير الحقيقة في سر واعلان
وحوله نخبة ملء العيون لهم — قدر سما شرفا ما فوق كيوان
فحقق الله آمالا معلقة — بكم وزين تيجانا بتيجان
حتى نرى العرب من ابناء مملكة — توحدت تحت ظل السابق الباني

كلمة المؤلف :

وقد ألقى مؤلف هذا الكتاب الكلمة التالية :

سألني سائل ما هي الاسباب الحقيقية التي حملتكم على زيارة عمان في هذه الايام ، ألتقدموا واجبات العزاء وترفعوا آيات الولاء ، أم هناك أسباب أخرى لا نعلمها ؟ !

فليسمح لي حضرة السائل ان أجيبه على سؤاله علنا وجهارا في هذا المقام ، فنحن لم نقم بهذه الرحلة ، ونأت الى هذه الديار لكي نقوم بواجب العزاء ، او نعرب عن تعلق سوريا بالبيت الهاشمي ، فقد قام السوريون بهذا الواجب وأعربوا عن شعورهم القوي نحو البيت النبوي في مختلف المناسبات والظروف ، ولكن جئنا لامر أجل وأسمى ، انها الذكريات الخالدة هي التي حفزتنا اليكم ، ذكريات التاريخ اللامع ، والدم الجامع ، والماضي القريب ، والاهداف المشتركة .

بل هي الانات الوجيعة ، أنات الحق الهضيم والوطن الذبيح ، والقلوب المحطمة ، والآمال المهشمة ، والاوصال المفككة .

جئنا لنذكر سليل منقذ العرب بمبادىء الثورة العربية التي وضعها والده العظيم وقد تحقق جزء يسير منها فيجب أن يحققها كلها بصفته الوارث الاكبر للامانة المقدسة التي ألقاها في عنقه .

ولقد رأينا من الرعاية السامية التي شملنا بها صاحب السمو الملكي المعظم والعطف الشامل الذي غمرتنا به حكومته الموقرة ، والحفاوة البالغة التي قابلتنا بها جماهير الشعب منذ اجتزنا الحدود حتى هذه الساعة ما أطلق السنتنا بالشكر والثناء مع أننا أيها السادة قد لا نستحق كل

هذه المظاهر الفياضة . فالارض أرضنا والسماء سماؤنا والماء ماؤنا والعلم علمنا والامير أميرنا :

وان المـــاء مـاء ابـي وجــدي وبئـري ذو حفرت وذو سقيـــت

يا عمان ، يا مدينة الذكريات القديمة ، بل أيتها الحمامة الورقاء الغالية التي طوحت بها طوائح الزمن فألقتها في وكرها ، وحجزتهـــا عن رفيقاتها ، غردي ما شئت أن تغردي ، واعزفي على قيثارة المجد الحان الحرية وأناشيد الوطنية فنحن نستمع اليك بقلوب واجفة ، وأبصـــار خاشعة ، ولسان حالنا يردد قول الشاعر :

بي مثل ما بك يا حمامة فاسالي من فك اسرك ان يحـــل وثاقي

اتحاد الاردن وسورية

وقبـــل عودة الوفــد الى دمشق زار الاستاذ صبحي زيد الكيلاني صاحب جريدة الوفاء الزعيم الشهبندر في فندق فيلادلفيا ، واستطلع رأيه في عوامل هذه الزيارة واستمع الى حديثه عن مشاعر السوريـين نحو أمير البلاد وما يعلقونه على سموه من آمال وفيما يلي نص هذه المقابلة كما نشرتها الزميلة المذكورة في عددها الصادر بتاريخ ١٥/٦/١٩٣٩ :

في شيء كثير من البشر والايناس استقبل الزعيم السوري الكبير الدكتور شهبندر محرر الوفاء في الصالون الفخـم من نزل فيلادلفيا ، حيث نعم بالتحدث اليــه دقائق سعيدة فرحب بمعاليـه بأسم (الوفاء) أكرم ترحيب وأشار الى ما أحدثت زيارته هذه في نفوس شباب الاردن من انتعاش روحي ، واعتزاز قومي ورجا ان تسمح الظروف بتكرار هذه الزيارات وتبادلها بـــين رجالات الاردن وسوريا لتتأكد صلات المودة ، وتتوثق عرى الاخوة والقربى .

فأجاب معالي الزعيم على ذلك شاكرا وأظهر ارتياحه الشديد لمظاهر النهضة القومية التي تشمل شباب الاردن فتتسم بها حفلاتهم ، وتنطق بها مشاعرهم وعواطفهم ، وأعرب في رقة ولطف عن اعجابه بما بلغ الاردن في ظل صاحب السمو الملكي من رقي وازدهار ، وما أصاب من تقـــدم ونجاح في النواحي السياسية والعمرانية خلال فترة وجيزة من الزمن .

ولقد أبان معالي الزعيم أن قدومه على رأس اخوانـــه من رجالات دمشق وأعيان سورية انما هو لتقوية أواصر المودة والتعاون بين الرجال العاملين في دمشق وعمان وشكر سمو الامير الهاشمي الذي تـــرى فيــه

سورية أميرا هاشميا عظيما ، وبطلا فذا من أبطال الثورة العربية يقدر له الشعب السوري مواقفه في سبيل القضية العربيـــة عامـة والقضية السورية خاصة ، ويعلق على جهوده المقبلة أعظم الآمال ·

أما أمر اتحاد سوريا بشرق الاردن فهو ضرورة قومية ومن الواجب أن تتعاون الهيئات العاملة في القطرين الشقيقين لتحقيق هذا الاتحاد ونحن في سوريا نعمل جهدنا لتحقيق هذه الغاية وندعو لها ما استطعنا ونعتبرها أكبر جزء من برنامجنا وأسمى ما تشتمل عليه مبادؤنا ، اذ لا حياة لسوريا ولا سبيل الى ظهورها بمظهر القوة والمنعة الا باتحاد أجزائها ، وتعاون رجالها واتفاق كلمة أبنائها ·

ولقد سأله المحرر عما تركته هذه الزيارة من أثر في نفسه لفت نظره في البلاد ، فقال لقد أدهشتني ما رأيت من معالم الازدهار والعمران في البلاد ، فقد عرفتها سنة ١٩٢٥ وهي قرية صغيرة ، وها هي اليوم بعد ١٤ عاما مدينة فيحاء باسقة العمران متسعة الميادين ، بارك الله في رجالكم الذين خلقوا من هذه الصحاري المقفرة جنانا يانعة مثمرة ·

العناصر المناوئة للوحدة

ومنذ عاد الوفد السوري الشعبي برئاسة الزعيم الدكتور شهبندر الى دمشق والاتصالات بـين الملك والزعيـم تجري بانتظام ، وتقوم على أسس التعاون الوثيق والتفاهم التام · وكان من اولى نتائج هذه الاتصالات نقل جريدتي (الجزيرة) من دمشق الى عمان في أواخر عام ١٩٣٩ وقد جعلت هدفها الاول تحقيق الوحدة ، والاتحاد بين القطرين الشقيقين ·

بيد أن العناصر التي كانت تناوىء هذه الوحدة لم ترع الا ولاذمة في سبيل احباط المساعي التي كان يبذلها الرائدان في هذا المضمار ، وتشويه الفكرة السامية التي كانا يبشران بها ويدعوان اليها ·

والغريب ان هذه العناصر التي كانت توجههـــا بعض السلطات الاستعمارية والحكومات اليسارية وجهات عربية معينة والهيئات السياسية المتطرفة قد التقت على صعيد واحد ، واتفقت لاول مرة على مبدأ واحد وهو شنّ حملات شعواء بدون هوادة على أي مشروع ينادي به الملك عبد الله سواء كان يحمل اسم سورية الكبرى أو الهلال الخصيب أو الوحـــدة الشاملة ·

ولم تكن تلك الحملات لتفت في عضد الملك ، أو تفل من عزمه أو تضعف من نشاطه ، بل كانت تزيده قوة وعزيمة ومضيا في اداء رسالته ، ونشر دعوته ٠

الاستقلال قبل العرش

ولم يكن الملك يهدف من دعوته القومية الى أية مصلحة شخصية ، بل كان ينشد مصلحة البلاد ، ووحدة الاوطان ، وتحريرها من ربقة الاستعمار ٠

بيد أن خصوم الملك ، وأعداء الوحدة ، كانوا ينشرون الاراجيف والمفتريات ويتهمون الملك بأنه يريد أن يتخذ من هذه الدعوة ذريعة للوصول الى عرش سورية ، وكان المستعمرون الفرنسيون يدعمون هذه الاراجيف والدعايات المغرضة في الصحف السورية الموالية لهم ، في حين أن جلالته كان يؤكد في بياناته وفي أحاديثه مع الوفود التي كانت تقوم بزيارته بأن (المملكة قبل الملك والاستقلال قبل العرش) ٠

وحسبي أن أثبت في هذا الكتاب نص الكلمة التي أملاها علي ونشرتها بتاريخ ١٩٣٩/٧/١٩ في جريدة الجزيرة حين كانت تصدر في دمشق :

« ليست فكرة الملكية او الجمهورية هي الغاية القصوى والامنية الاولى التي تشرئب اليها البلاد ، وقد سبق أن قلنا غير مرة على صفحات هذه الجريدة بأن هذه الفكرة قد تأتي في الدرجة الثانية او الثالثة بالنسبة لمطالب البلاد لرئيسية واهدافها البعيدة فالسيادة الوطنية اولا ، والوحدة القومية ثانيا ، ونظام الحكم ثالثا ، او رابعا ٠ فاذا ما تحققت تلك الرغائب السامية التي تنطوي عليها برامج مختلف الاحزاب والجماعات السورية يجوز ان نوجه اهتمامنا شطر البحث في مظهر الحكم في الوطن السوري ٠

بيد ان هناك اعتبارات قاهرة يجب أن نخضع لها ونعيرها جانب عنايتنا ودرسنا وتحدونا الى احلالها المحل الاول من الاهتمام وهذه الاعتبارات تتعلق بنظام الحكم القائم في جميع الاقطار العربية (خلا لبنان) فهو نظام ملكي صريح ، سواء في ذلك العراق ومصر والحجاز واليمن والاردن ٠ ٠ فاذا لمسنا آثار الاستقرار الداخلي في تلك الديار وانطباق ذلك

النظام على التقاليد الاسلامية والعربية وانصراف شعوب تلك الاقطار الى توطيد دعائم استقلالها واصلاح شؤونها والتقدم الى الامام بخطى واسعة واقدام راسخة تجلت لنا مزايا تلك الاوضاع الثابتة والمنافع التي جنتها ولا تزال تجنيها تلك البلاد منها .

فنحن اذا ما دعونا الى النظام الملكي فلا نريد ان نسترسل في القول ونسبح في الاوهام ، ونكتفي بالدعوة لملكية زيد وايثار عمرو ، بل ندعو قبل كل شيء الى اعطاء البلاد السورية حقوقها كاملة غير منقوصة سواء في الوحدة ام الاستقلال »

مستقبل سورية بأيدي أبنائها

وفي حديث سابق أفضى به عن مستقبل سورية بتاريخ ١٩٣٩/٥/٣١ قال :

ان ثقتي بنجاح القضية السورية هي مطلقة لا حد لها ، فالرأي العام السوري له من مؤهلاته ونضوجه ما يمهد السبل لتحقيق امانيه القومية العادلة . وقد مر على الشعب السوري طيلة الاعوام العشرين الاخيرة تجارب سياسية قاسية لا بد ان يكون قد أخذ منها فكرة صحيحة عن المستقبل السوري وماذا يجب ان يكون عليه . وكذلك فالحكومة الفرنسية عرفت الحقيقة عن أماني البلاد وأهدافها فاذن ليس من الصعب على الطرفين الاهتداء الى طريقة ترفع سوريا متحدة الى مصاف شقيقاتها من البلاد العربية وتضمن لفرنسا الصداقة المتينة لعهد طويل لا يمس الشرف السوري ولا يتنافى مع العلاقات القديمة بين سوريا وفرنسا ، وبما انني لست بالغريب عن القضية السورية وانني كما يعلم الناس أحد مؤسسي القضية العربية أقول :

انني اتمنى للشعب السوري ولفرنسا هذه الغاية التي تصبو اليها البلاد ولا شك انها لا تتنافى مع الرغائب النزيهة لدولة الانتداب وما على السوريين الا ان يتجهوا الى ما فيه خير سوريا غير متبعين الرجال من اسمائهم بل متخيرين احسن الاراء على أحسن المناهج التي تودع الى خيرة الناس الذين لم تكن لهم سابقة الا الاخلاص يبنون اغراضهم على ما نوهنا به من تفاهم ودي مع حكومة الانتداب .

وظل جلالته يتابع اتصالاته بالجهات المسؤولة في سورية في سبيل تحقيق الوحدة ·

وحينما يئس من استجابة تلك الجهات الى نداءاته ، قرر ان يخاطب الشعب السوري مباشرة فوجه النداء التالي :

عبدالله بن الحسين

بسم‌الله الرحمن الرحيم

هــــذا بــــلاغ للنــــاس

الدولــــة السوريــــــة الكبــــرى

يا أهل الشام : حاضره وباديه ومن خليج العقبه الى البحــر الابيض المتوسط الى أعالي الفــرات

لقد علم الناس جميعا ان العرب لم يكونوا في نهضتهم المثلى ، وثورتهم الكبرى ، دعاة فتنة او طماعية بل دعاة حق وحرية وسيادة قومية ، أمنــوا بحقهم في الحياة الحرة فامتشقوا الحسام ذيادا عن منهج العروبة والاسلام ، وجعل أولو الرأي منهم مخطط بلادهــم من جزيرة العرب الى أقصى بلاد الشام والعراق هدف الثورة التحريرية والاماني القومية مؤمنين بأمجادهم وميراث آبائهم واجدادهم وبما وعد به الحلفاء وفي مقدمتهم بريطانيا العظمى من تأييد حقهم واحترام ارادتهم ودعم استقلالهم · وقد انتهت الحــــرب السابقة وللعرب حق جلي كتب بدم الشهداء تحت أعلام البطولة والوفاء ·

ولقد أكبر ساسة الحلفاء وقوادهم أثر الثورة في نتائج الحرب فأثنوا على قيادتها الثناء المستطاب وكان من نتائج هذا ان استقلت المملكة العراقية واستقل الحجاز الشريف ونجد وكذلك اليمن ، ولم يبق على وضع ممزق وشمل مفرق سوى الديار الشامية تفكر بجمع شملها ، وأرب صدعها ، وتحقيق مثلها ، وتجهر ابدا انها ـ بحدودها الطبيعية ـ وطــــن واحــــد تجمعه الوحدة القومية والجغرافية والتاريخية ، ويرويه الفرات والعاصي والاردن شرابا سائغا لذة لابنائه ونزلائه · وانه اذا كان تبايــن المصــالــح الخارجية قد افضى الى تجزئتها ، وتمزيق وحدتها ، فان مبادىء العــــدل الدولي ، وحق الحياة الطبيعي ، وما وعد به السوريون خاصة والعــرب عامة ليحول دون تجزئة البيت الواحد والارض الواحدة والاسرة الواحدة ·

يا أهل الشام : حاضره وباديه ومن خليج العقبة الى البحر الابيض المتوسط الى أعالي الفرات

أما والدعوة الى اتحاد الاقطار العربية هي اليوم قول فصل ، فان من صلب هذه الدعوة المباركة ان نجهر بوجوب اتحاد الاقاليم السورية ، وان يرد الامر في ذلك الى ارادة الامة المعلنة منذ الحرب الماضية والى مصالحها الحيوية وحقوقها الطبيعية والشرعية ٠

ها نحن اولاء نذود بالطرق السياسية ولما يبدو من بوارق الرجاء في وعود الحلفاء بحكم جهادنا الماضي وقيامنا الحاضر على أمر سوريا الجنوبية عن ارادتكم المعلنة في قرار المؤتمر السوري العام يوم ٨ آذار عام ١٩٢٠ وعما حمل هذا القرار التاريخي ورسائل مكماهون بيتنا الهاشمي من أمانة ٠

ولا جرم أن ميثاق الامة العربية السورية هو منذ البدء ميثاقنا ، ودعوتها الى اتحاد شامل هي منذ البدء دعوتنا ، واذا آلت بنا الظروف العارضة الى التريث في جزء من أجزاء سوريا الكبرى فانا لعاملون اليوم في ضوء ميثاق الديموقراطية الجديد معززا بالوعود السابقة واللاحقة على تنفيذ الارادة القومية في أمر اتحادنا مع الاجزاء السورية الاخرى مؤمنين بحق بلادنا وتأييد قومنا ، مترسمين في كل ذلك أثر تاريخنا ، وجهادنا ، وأضواء دموعنا ودمائنا ، غير ناسين صداقة حلفائنا وما لبريطانيا العظمى من أثر بارز في تأييد القضية العربية مقدرين مع الشكر ما اعلنه مندوب الافرنسيين الاحرار في عام اول عملا بالتقاليد الافرنسية المجيدة من انتهاء الانتداب عن سوريا ولبنان واعلان استقلالهما وسيادتهما بضمانة الحكومة البريطانية واعتراف دول أخرى ٠

يا أهل الشام : حاضره وباديه ومن خليج العقبة الى البحر الابيض المتوسط الى أعالي الفرات

لقد لبت مصر الشقيقة نداء المبادىء التي اعلنتها الثورة العربية الكبرى داعية بلسان رفعة رئيس وزرائها الى عقد مؤتمر عربي رسمي يذلل الصعاب ويهيء الاقتراب فشكرا لمصر الشقيقة شكرا ، وان العراق الشقيق لمبادر وهو محيط بوجهة نظرنا الخاصة الى المشاركة في هذه الدعوة الرسمية وفي الدعوة التي نحبذها ونتوسم ان تؤيد ميثاق اتحاد بلاد الشام لتتمكن سوريا الكبرى من وقوف امثل الى جانب اتحاد عربي عام ٠

الا واننا لداعون في الوقت نفسه جملة أهل الحل والعقد في بـــلاد الشام الى مشروع وحدة او اتحاد سوري شامل ووطن كامل يناقشون امره في مؤتمر سوري خاص ، نرحب بعقده في عاصمة بلادنا عندما يختارون وقته وزمانه أو يؤيدونه بعد انعام النظر في مراميه هيئات وفئات ـ زعماء وعلماء ٠

الا أن الحق أبلج ، وان الامر لجد ، وان المستقبل لمشرئب الى عمل الناطقين الضاد في استعادة الامجاد وتحقيق الاتحاد ، وان لله عبادا اذا ارادوا اراد وعليه الاعتماد ، وصلى الله على سيد العرب والعجم وآله وصحبه وسلم ٠

عمان في ٣ ربيع الآخر سنة ١٣٦٢

الموافق ٨ نيسان سنة ١٩٤٣

الملك يرد على جريدة سورية :

وقد زرته ذات مرة في خريف عام ١٩٤٦ وأطلعته على ما نشرته احدى الصحف الدمشقية حول مشروع الوحدة السورية والاتحاد العربية الذي كان يدعو اليه الملك ، وقد تفضل جلالته فأملى على رئيس ديوانـه الرد التالي ليعبث به الى تلك الجريدة ، وقد نشرته أيضا جريدة الجزيرة في ٢٦ أيلول سنة ١٩٤٦ :

« جريدة سورية تخدم الجمهورية وهي مبدؤها ، وللجريدة رأيها ، أما بلاد الشام فهي المعروفة يحدها من الشمال بلاد الترك ومن الغـــرب البحر الابيض فالحدود المصرية ومن الشرق صحراء العراق ومن الجنوب الحدود الحجازية ، هذا ما تعاهد عليه القوم سنة ١٩٢٦ في ميثاقهـم القومي (وان الارض يورثها من يشاء من عباده) لا كما قالت (البلد)(١) ان كلا ارتضى قسمه ٠ أما الاردن فهو جزء من الشام يحكمه رجل مـن قواد الثورة الذين عاهدوا الله على أن يكونوا الامناء على مبدئهم (ومـن نكث فانما ينكث على نفسه ومن اوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيـــه أجرا عظيما) وعفا الله عن (البلد) فأين كانت يوم كان جمال مرمل النساء وميتم الرضعاء ، وصنو الحجاج ، لولا ذلك ، ولولا بكاء الشام ، ولولا ما أراد الله لظل يفعل الافاعيل حتى تؤخـذ الشام قسرا الى يد طامعـة أجنبية ، ولولا ما حصل من نكث في العهد وانتقاص في الذمة لما وقعت الويلات هنا وهناك ، ولما قاسى آل البيت النزوح عن الاوطان ولما ظل

---

(١) يريد الجريدة التي نشرت حملتها على المشروع

الوطن المقدس في قبضة لا تخاف الله ولا ترعى قدسيته ، وما الملك وما الجمهورية وما السلطنة أو الادارات الاخرى الا مظهر من مظاهر الاجتماع بين البشر ليكون هناك وازع بين الناس وحد بين الفوضى والنظام وأساس لحماية الضعيف من شر القوى وبالتالي العدل هو أساس الملك ٠ ولذلك نعتقد أنه لا يخفى (البلد) ومن تخدم البلد انه لا يتسنى لشخصية حجازية ان تتحكم في بقعة شامية لولا الثورة والقضية العربية ، وان كان خالد بن الوليد بحمص وابو عبيده بالغور وعلي ابن ابي طالب بالكوفة والحسين بن علي بكربلاء ، نقول وان كان هذا فالحجازي للحجاز ، ولكن الحجازي أعم سيادة في كل قطر لاولئك الاعلام الذين أقصوا كسرى وقيصر ، وللاعلام المتأخرين الذين أقصوا سلاطين الروم عن بلاد الشام والعراق ثم اختطفت من أيديهم نتائج أعمالهم قبل أن يتموها ليكون لهذا وذاك نصيب من الغنيمة الباردة ، ولكن ان كان أهل الحجاز لا يرون انه من حقهم التحكم في الناس لولا تلك الاسباب المذكورة وان كانوا لا يتحكمون في الناس تحت ظل مغشوش وهم السادة القادة والحماة الذاده ولكن سواهم من أهل الاقطار يقتسمون الغنيمة من أخ شهيد وقع بينهم ، فهذه رجالات الشام التي تخدم أو تكسب في البلاد الحجازية ما حرم منه أهل الوطن ، اليس هذا هو الواقع ؟

ان البلاد لله وان العمل لوجه الله وللناكث نكثه والوفي جزاؤه ولقد كان يوم المحنة يوم الاحزاب يبشر النبي الاصحاب بأنه ستفتح أمته بلاد كسرى وقيصر وكان يقول أهل النفاق (ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا) ويقول أهل الاخلاص والوفاء (هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم الا ايمانا وتسليما) هذه كلمة لعلها ترعوى ولا تجادل في حماية الباطل ٠

مرحباً برجالات سورية

وحينما وقع انقلاب حسني الزعيم عام ١٩٤٩ واعتقل بعض الزعماء وتوارى البعض الآخر اعرب عن استعداده لاستقبال من يريد الالتجاء الى الاردن وكلفني ان انقل اليهم الرسالة التالية ، وقد أملاها على أحد موظفي الديوان وذيلها بتوقيعه الكريم :

السيد تيسير ظبيان

عزيـزي

لا على أحد من رجالات سورية الذين يخشون الاقامة هناك بسبب

الانقلاب الاخير في أن يلجأوا الى شرقي الاردن ، ومن المعلوم ان شرقي الاردن هي سورية الجنوبية · على أن لا يخفى على الاذهان انني قد أرجأت مسألة البحث عن وحدة سورية الى حين حل المشكلة الفلسطينية حلا نهائيا · كذلك انني من القائلين بالوحدة السورية والساعين اليها فاذا كان رجالات سورية يروقها العمل معي تحت هذا الضوء فمرحبا بهم واذا ارادوا الاقامة بدون عمل فمرحبا بهم على أن الجمهوريين منهم ينبغي أن يدافعوا عن اراءهم في سورية الشمالية وان يحترموا نظام الحكم في سورية الجنوبية ·

١٩٤٩/٤/٢٦

(عبدالله)

موقف الانكليز من وحدة القطرين

وللحقيقة والتاريخ أود أن أكشف النقاب في هذا الكتاب لاول مرة عن محاولات خاصة قمت بها تنفيذا لرغبة جلالته في سبيل اقامة وحدة شاملة بين الاردن وسورية عام ١٩٤٦ فقد استدعاني جلالته ذات مرة الى قصره ، وكلفني أن أقوم بمهمة الوسيط بينه وبين بعض رجالات سورية (من مسؤولين وغير مسؤولين) لبحث بعض الاسس التي يمكن ان يرتكز عليها صرح الوحدة المنشودة ، وقد تفضل جلالته فزودني برسالة بخطه الكريم لدعم مهمتي وهذا نصها :

« يا تيسير ! يعلم كل انسان انك الموثوق والمعتمد عليه ···

يا تيسير والله لا أريد سوى ما ينجيني من المسؤولية يوم الدينونة ··

يا تيسير والله لا أريد في الموضوع الا نجاة بلاد العرب وديار الاسلام من أعداء الجميع ·

يا تيسير والله ما دفعني الى وضع المشروع بجلاء الا الاعتقاد الجازم بأن المتنورين من العرب لا يزالون على مواقفهم معنا وحسن ظنهم بنا كما اننا لا نزال على موقفنا معهم وحسن ظننا بهم ··

يا تيسير كيف صح لهم أن يتبعونا في الحرب الاولى وفي محنة الانتدابات وخسارة الحجاز ثم يرجعوا على أعقابهم فيصادقون من احتل بلادنا ويركنون اليه ونحن لا نزال نضحي من أجل المبدأ والكرامة وسلامة الشرق ·

يا تيسير هم كانوا من الجنود فمتى أحبوا التعارف والتصافي على التفاهم الحقيقي فذلك في يدهم وانني أحدهم وان ابو ذلك فأنا قائد الصالح منهم ، التابع للحق كي نجاهد الى ازهاق الباطل ومحاربة الردة ، ونبذ تعاليم الانتداب الجديد تحت ثوب الجامعة العربية وبوحي من (كلايتن) أو غيره ، ولا ينبغي نسيان باني الجامعة وهو (ايدن) ومؤيدها وهو (بيون) ورؤساء وزارات الشرق ومصر والعار كل العار في العلم بذلك والعمل به وانني لست ذلك » ٠

ولدى وصولي الى الفيحاء بادرت الى الاتصال بالشخصيات السورية صاحبة الشأن والعلاقة والبحث معهم في النقاط التي يجب التفاهم عليها لاقامة صرح الوحدة ، وبعد نقاش استغرق بضع ساعات مع تلك الشخصيات تم التفاهم على خمس نقاط اعتبرها الزعماء السوريون شروطا أساسية للبدء بمفاوضات جدية في المستقبل اذا ما اقترنت بموافقة جلالته وهي :

(١) تقوم بين القطرين الشقيقين سورية والاردن وحدة شاملة ٠

(٢) تؤلف حكومة مؤقتة للاشراف على انتخابات عامة في البلدين ينبثق عنها مجلس تأسيسي مشترك ٠

(٣) يتولى المجلس التأسيسي وضع دستور موحد للبلدين ، وتقرير نظام الحكم الذي يقرره الشعب عن طريق الاستفتاء ٠

(٤) تؤخذ موافقة الحكومة البريطانية مبدئيا على تنفيذ هذا المشروع ٠

(٥) تلغي حكومة الاردن جميع الاتفاقات والالتزامات التي تتعارض مع هـذا المشروع » ٠

« ولما اطلع (جلالته) على هذه الشروط وافق عليها فورا وهذا نص موافقته بخطه الكريم :

« اوافق على تنفيذ المواد الخمس وأشير الى لزوم شعور الحكومة بأن هذا التكليف مرغوب فيه من جانبهم كرسالة الينا أو ما في هذا المعنى » ٠

وقبل أن تترجم هذه الاتصالات الى نتائج عملية ، وقبل ان يتم الاتفاق على موعد ومكان اللقاء بين جلالته وممثلي سورية للبدء بالمفاوضات ، أحس الانكليز بواسطة معتمدهم في عمان بهذا التقارب فصدر في لندن بيان رسمي يشجب هذا المشروع ، ويعرب عن وجهة نظر الحكومة البريطانية في عدم تأييدها لمشروع سورية الكبرى ٠

وهكذا احبط هذا المشروع الذي كاد يثمر ويؤتي أكله ، والذي كان يحيطه بعض المغرضين والانفصاليين بهالة من الشائعات والاراجيف بأنه من صنع الانكليز ! ! ٠ ٠

على الصعيد السياسي والدولي

ولم تقتصر جهود الملك في سبيل تحرير سورية وتحقيق وحدتها على البيانات التي كان يصدرها ، والنداءات التي كان يوجهها ، والاتصالات الشخصية والرسمية التي كان يقوم بها مع الدوائر العربية والهيئات السورية ، بل عمد الى توجيه الرسائل والمذكرات الى الدول الاجنبية ذات العلاقة لحملها على تبديل سياستها الاستعمارية التعسفية حيال القطر السوري الشقيق ، وتحطيم قيود الانتداب ورفع كابوسه عن كاهل سورية ٠

وفيما يلي بعض ما وجهه من الرسائل والمذكرات في هذا الصدد :

(١) أبرق الى المستر تشرشل رئيس الوزراء البريطانية ١٩٤١/٦/٢٢ بمناسبة دخول قوات الحلفاء الى سورية مذكرا حكومته بالوعود البريطانية وبأن تحث حليفتها فرنسا على انصاف السوريين في تحقيق أمانيهم القومية ٠

(٢) أرسل الى المعتمد البريطاني في عمان في شهر تموز سنة ١٩٤٨ نص القرار الذي اتخذه المجلس الوزاري الاردني في ١٩٤١/٧/١ بشأن توحيد أجزاء الكيان السوري من الناحيتين السياسية والاقتصادية وطلب جلالته من المعتمد أن يرفع قرار المجلس الى الجهات المختصة ٠

(٣) وفي ١٦ تموز من العام المذكور وجه جلالته دعوة الى المستر اوليفر لتلتون عضو وممثل وزارة الحرب في الشرق الاوسط لزيارة عمان للبحث في الموقف الناجم في سورية بعد دحر القوات الفرنسوية وضرورة اعادة النظر في وحدة الاقاليم السورية ٠ وقد لبى الوزير البريطاني الدعوة وحضر فعلا الى عمان ودارت بينه وبين الملك محادثات هامة حول الاماني العربية ــ والوحدة السورية الطبيعية وقد أثبتت هذه المحادثات في مفكرة رسمية صدرت في ١٣ أيلول سنة ١٩٤١ ٠

(٤) ثم عزز جلالته هذه المباحثات بمذكرة أخرى بعثها الى المستر لتلتون بعد بضعة أشهر مذكرا اياه بوعود حكومته ومستنكرا الاجراءات

التي تتخذها السلطات الفرنسية في سورية ضد الشعب السوري وقد تلقى جلالته الرد عليها بتاريخ ١٩٤١/١٢/٥ ٠

(٥) وأرسل جلالته عدة مذكرات رسمية الى المندوب السامي البريطاني في فلسطين ضمنها بعض المقترحات لحل القضية السورية وتحقيق مشروع الوحدة بين أجزائها وطلب اليه التوسط لدى حكومته لتأييد حقوق الشعب العربي السوري ٠

(٦) وبتاريخ ١٩٤٣/١١/٤ اتخذ مجلس الوزراء الاردني بعض القرارات بشأن وحدة الاردن مع اجزاء سورية الكبرى وهي سورية الداخلية وفلسطين ولبنان وتحقيق الوحدة العربية ٠

(٧) وبتاريخ ١٩٤٥/٥/٢١ أرسل الملك مذكرة الى الحكومة البريطانية عطفا على مذكرة كانت الحكومة السورية قد قدمتها الى الحكومات العربية بشأن موقف السلطات الفرنسية من سورية ولبنان وطالب برفع الحيف عن سورية وكان من نتائجها حضور الجنرال باجيت القائد العام في الشرق الاوسط الى بيروت لاعادة السكينة والنظام في سورية ولبنان ٠

مصرع الدكتور شهبندر

عثرت بين مذكراتي على الوصف التالي للنبأ المفجع الذي هز الملك هزا عنيفا وسلب البلاد السورية سيد زعمائها :

في منتصف الساعة الثانية من بعد ظهر يوم السبت الواقع في ٦ تموز ١٩٤٠ رن جرس الهاتف من مكتب جريدتي الجزيرة رنا عنيفا هلعت له نفسي فأمسكت سماعة التلفون وقلت :

— من المتكلم ؟

— المقر العالي ، سمو أمير البلاد المعظم يأمر في الاتصال بك ، انتظر قليلا ! !

وبعد ثوان قليلة واذا بصاحب السمو الملكي الامير عبد الله يتكلم بصوت أجش ويقول :

— هل للدكتور شهبندر أنجال ،

— نعم يا سيدي ، له ستة أنجال ٠

- وما اسم نجله الاكبر ؟
- فيصل يا سمو الامير ٠

فأثار هذا السؤال هواجسي وقلقي ودار في خلدي في تلك اللحظة الخاطفة كل شيء الا أن يكون الدكتور الزعيم قد أصيب بمكروه ، ولكن سموه قطع هذه الهواجس وتابع حديثه قائلا :

- واين يقيم نجله المذكور ؟
- في مصر يا سيدي
- وما عنوانه ؟
- شارع الملكة نازلي : القاهرة

ثم أردفت قائلا :

- ولكن الدكتور موجود الان في دمشق ، فهل ثمة ما يدعو للاتصال بنجله يا صاحب السمو !

فقال سموه بصوت متهدج :

- تعال الى القصر حالا لتقف على جلية الامر ٠

فبادرت على الفور وتوجهت الى القصر وانا في حالة نفسية ممضة ٠ ولما وصلت الى باب السرادق (وكان سموه يؤثر الانتقال الى السرادقات الخاصة التي يأمر بنصبها في العراء في فصل الصيف) رأيت سموه ممتقع الوجه ، يقطع أرض السرادق بخطى حثيثة جيئة وذهابا ، وعلامة الاضطراب ترتسم على وجهه ٠

وقد بادرني بقوله : أعزيك يا تيسير بوفاة الدكتور !

فشعرت بأن قلبي يكاد يجتث من مقره ونفسي تكاد تطير شعاعا وسألت سموه من ؟ الدكتور شهبندر ٠٠ وكيف ، أمات أم قتل ؟

فقال سموه : لقد قتل قبل ساعات قليلة بأيد مجرمة أثيمة ، وأعددت برقية تعزية الى نجله سأرسلها الان ٠

قلت : قد يكون ذلك مجرد اشاعة يا سيدي ، أرجو أن تتثبتوا من صحة النبأ قبل تطيير البرقية ، فالدكتور يتمتع بصحة جيدة وقد اتصل بي قبل يومين ٠ فقاطعني سموه محتدا : لقد قلت لك أنه قتل ، وقد نقل

الى النبأ قبل هنيهة المستر كر كبرايت المعتمد البريطاني ، ثم تــلا سموه نص البرقية التي قرر ارسالها وهي :

« المحامي فيصل بك الشهبندر

شارع الملكة نازلي القاهرة

أرجو أن أعرب عن اسفي الشديد للعاقبة التي مني بها والدكم الشهيد بواسطة الايدي الاثيمة التي ستنال قصاصها ان شاء الله في الدنيــــــــا والآخـــــــرة ٠

عمـــان ١٩٤٠/٧/٦

عبــدالله

وقد تولتني رعشة شديدة وغمرني وجوم عنيف لم اشعر به مــدة حياتي ، ثم انهمرت الدموع من مقلتي انهمار الديمه الوطفاء بينما راح سموه يلقي نظرات باهتة في الافق البعيد ثم خاطبني قائلا : هنيئا للزعيم البطل هذه الميتة الكريمة ، والوقت لا يتسع للبكاء ، بل عليك ان تبادر حالا وتنعى الفقيد في جريدتك وتذيع نبأ هذا الاستشهاد على أفراد الشعب ٠

ثم استطرد سموه قائلا : وسأعطي التعليمات الى قاضي القضاه لتقام صلاة الغائب على روح الشهيد الخالد في جميع مساجد الاردن ٠٠ فنهنهت من دموعي ، وودعت سموه قاصدا مكتب جريدة الجزيرة حيث اصدرت ملحقا خاصا نعيت فيه الزعيم الجليل ٠

تنديده بالاغتيالات الفردية

وكان الملك يتتبع باهتمام بالغ مجرى التحقيق في حادث الاغتيال ، ويقوم بالاتصالات اللازمة مع السلطات المحلية في سورية للوقوف على نتائج التحقيق ٠ ٠ وحينما اعتقلت السلطات الجناة الذين أقدموا على ارتكاب هذه الجريمة النكراء استدعاني الى قصره وأملي على التصريح التالي لنشره في جريدة الجزيرة :

« ان من اهم الاسباب والعوامل التي عجلت في اعلان الثورة العربية الكبرى اقدام جمال السفاح على اعدام ستة من رجالات الامة العربية في سورية ٠ وقد أخذنا نشعر في الاونة الاخيرة ان هناك مؤامرات تدبر في جنح الظلام لابادة جميع أحرار العرب من رجال الساعة الاولى » ٠

ثم تابع سموه حديثه قائلا :

« وانا اغتنم هذه الفرصة لدعوة جميع الهيئات والاندية العربيــــة للاهتمام بصورة جدية لهذا الامر الخطير ووضع حد لتلك الجرائم المتتابعة التي ترمي الى القضاء على البقية الباقية من الرجال المخلصين ، ولا شك في أن الايدي التي تحرك اولئك المجرمين هي الايدي المغتصبة من مدعي الوطنية الزائفة الذين تلقفوا القضية العربية بعد الهدنة في الحرب السالفة فوصلوا بها الى هذه المرحلة المؤسفة ، ولم يمت شخص وراءه من يطلب بدمه ·

ثم تحدث عن الجناة الذين اقدموا على اغتيال الزعيم الفقيد فقال : انني اعتبر اكتشاف امرهم موفقيه عظيمة لحكومة بهيج بك الخطيب والقضاء السوري العادل · والمهم أن تفهم الاسباب الدافعة لهم على ارتكاب هــــذه الجريمة · ولا مرية في أن رجال القضاء والقائمين بالتحقيق الاولى سيميطون اللثام عن تلك الاسباب ولا يكتفون بالاخذ بأقوال المتهمين فيبرئون مجرمـا ويدينون بريئـا ·

لا اريد ملكاً ولا رئاسة !

ومما يجدر بي ذكره واثباته في هذا الكتاب انني كنت أعمل والصديق السيد صبحي الحلبي ليل نها في سبيل تقريب وجهات النظر بين الملك وبعض رجالات سورية ولا سيما أولئك الذين كانوا يناصبون الملك العداء ، ويحاولون عرقلة مساعيه ومقاومة جهوده في سبيل الوحدة أو الاتحاد ، وكنا نفرغ قصارى الجهد في سبيل تبديد الغيوم القاتمة التي كان الاستعمـــار يخلقها من حين لآخر في أجواء عمان ودمشق ، وقد تحملنا من أجل ذلـــك كثيرا من العنت والاذى ·

وقد اتفق انني توجهت والسيد الحلبي الى دمشق في صيف عـــام ١٩٤٨ للبحث مع صديقنا الاستاذ صبري العسلي وكان يشغل منصـب وزارة الداخلية في قضية مستعصية كادت تؤدي الى توتر العلاقات بـــين البلدين ، وقد زودني جلالته بالرسالة التالية وقد أملاها علي في ديوانه الخاص وهي تنطوي (كما يرى القراء) على آراء صريحة حـول مشروعـه الوحـــدوي :

أقريء العسلي السلام وقل له انني ملزم من ناحيتين من ناحية الدين والقومية والوطن أن أسعى لتوحيد الشمل وزيادة المحبة وازالة كل ســـوء تفاهم وان هو تقدم للناحيتين هاتين باخلاص وبقلب سليم فسيجد عنـدي كل العون · والله لا أريد للامة العربية الا الخير ووالله لا أرحب بما يسرني اذا كان في هذا السرور الاساءة الى قوميتي ، ولكن ديني قبل دنياي ، وتعاليم

نبيي قبل التجدد الفاضح ، وانه لا يصلح هذه الامة الا ما صلح به أولها • ووالله **لا أريد ملكا ولا أتطلب رئاسة** وأنا أنا ان يامنت أو شاملت • ومن اليقين أن أهل الشام أحق بالشام وأهل العراق أحق بالعراق وأهل الحجاز كذلك وأهل اليمن أيضا ولكل هذه الاوطان علي حق ولكل رجالاتها علي واجب • والشيء الذي أعجز عنه هو الكذب على الامة فيما يسود تاريخي ويرضي بعض الشخصيات • فأكون قد بعت ديني ودنياي وأسير كالجمل المخطوم يقوده الطفل الغرير والامة والمرأة هذا الذي لا أوافق عليه ، ولئن أحبني شكري بك القوتلي أفضل الي من أن يبغضني ولئن أحببته أوفق اليه من محبة سواي فما هو وجه الاختلاف بيننا • أنا أقول نتحد ونعمل وغيري يقول نفترق ونعمل فأين الفرقة من الاتحاد وأين شتات الشمل من جمعه ؟ البلاد بلادكم والمستقبل مستقبلكم وأنا الباقي ممن قادكم الى الخير فعلام هذه الشكاوى • ولما قالوا حكومة غزة لعموم فلسطين قلت (لا) حرصا مني على رأي الجماعة في الوقت المناسب وفي حالة دعة وامان • ثم أنك(١) واصحابك تقولون سوريا الستم انتم الذين حددتم سورية من انها من رفح الى حدود الترك وحدود العراق في مؤتمركم المعلوم فعلام تجعلون البلاد الواحدة أربعة أجزاء فأيكم الآن أكثر اخلاصا لسورية أنتم أبناؤها أم أنا الملك الحجازي الذي يسعى الى لم شعثها • ولكن اعلموا أن الزمن قد سار وأن الخطر الذي نعانيه اليوم قد يأتي علينا جميعا فلا تخافوا مني ولكن احسبوا حساب هذه النار المستعرة وسطنا ، وأنا أخوكم والمتولي جبهة عدوكم في أقدس أقداسها ، فالعون منا أولى من أن نخاف من بعضنا ، ووالله لا يتضرر الشام مني ولا أهل الشام ، وأعوذ بالله من الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس • وأنا عبدالله بن الحسين المعروف ان تاريخي لمعلوم وأمتي العرب ووطني كل شبر من بلادهم ومن فيها قومي وغيري من الناس أبناء أراء مؤقتة يرفعهم قوم ويضعهم آخرون ولكن التاريخ الاقدم والتاريخ الحادث هو لنا • وانا أصحاب النجدة والسخاء والبذل . ووالله أكرر أنني أحب أن أكون حبيب الرئيس والمرؤوس ولا أكون البغيض لذا ولا لذاك فاعرفوني حق المعرفة اوافقكم على كل مسعى صحيح ولا ارتضى التفرقة والعمل للمصلحة ؟ هذه اخلاقي وهذا أنا ! فزنوا الشر الحاضر بالشر المجهول العاقبة الذي تحقق انه لا نجاة منه الا باتحاد كلمتكم ، وتوحيد كيانكم ، ووضع المسؤولية على رجل يقود الجميع الى عز الجميع وأنا لا أعارض ان كان ذلك الشخص هو عبد العزيز بن عبد الرحمن أو فاروق بن فؤاد والسلام عليكم •

---

(١) الخطاب للسيد العسلي

الملك عبدالله والسياسة البريطانية

السياسة كالشطرنج انك لا تستطيع اقحام بنادقك بأراضي العدو ولكن عليك أن تنتهز المنافذ المناسبة ٠

عبدالله بن الحسين

لم يكن عبدالله بن الحسين صديقا مخلصا للانكليز كما يؤكد خصومه واعداؤه ، ولم يكن ايضا من المحرضين على قتالهم والمتمردين على سياستهم كما يريده البعض ان يكون ٠٠ وانما كان يرى بثاقب فكره ان وجود الانكليز في هذه المنطقة شر لا يمكن مقاومته ، وضرر ليس من السهل ازالته ، فلا بد من مداراتهم والاستعانة بهم على مكافحة شرور واضرار اعمق اثـــرا ، وأفدح خطرا ، والعمل على تقليم أظافرهم واضعاف نفوذهم ، والتخفيف من وطأتهم بالاساليب الحكيمة والوسائل الايجابية الناجعة ، فبينما كان ينادي بضرورة تأييد بريطانيا والوقوف الى جانب حلفائها في الظروف العصيبــة والازمات الخطيرة كما فعل في ابان الحرب العالمية الثانية ، وازاء حركـــة الانقلاب التي قام بها السيد رشيد عالي الكيلاني في العراق ، اذا به يندد بسياستها ويحمل على تصرفات بعض رجالها في القضايا العربية ولا سيما في موقفهم من الثورة العربية ومن الاوضاع المتردية التي كانت ترسف فيهـا سورية وفلسطين ٠

وقد تجلت نقمته هذه على السياسة البريطانية في البيانات التي كان يصدرها ، والمذكرات التي كان يرسلها ، والتصريحات التي كان يفضي بها ، وربما كان لاقصاء المغفور له والده الملك الحسين من العقبة ونفيه الى جزيرة قبرص أثر عميق في نفس الملك ، فقد شعر بأن سياسة الانكليز في البلاد العربية انما ترتكز على مصالحهم ولاقيمة للعهود والمواثيق في تلك السياسة ، وا درك بعد هذا التصرف الغاشم انه في سبيل الاحتفاظ بكيان بلاده التـي كان الاستعمار يسعى (بين الحين والآخر) ليضمها الى فلسطين حيث هذا الاستعمار ضارب أطنابه ، وحيث الصهيونية تنشب مخالبها ، ادرك انه بين أحد أمرين لا ثالث لهما : فاما ان يناصب الانكليز العداء ويعلن مقاومتـــه السلبية لسياستهم العاتية في هذه البقعة الصغيرة الضعيفة برجالها وثروتها وطاقاتها ، والمحاطة بخصوم الداء من أجانب وعرب يكيدون له المكائد ويتربصون به الدوائر ، ولا يضمرون له الاكل شعور مفعم بالبغض والحسد

والكراهية وهو بذلك يعرض البلاد والعرش وافراد اسرته لمصير محفوف بالمخاطر ، واما ان يسير في ركاب الانكليز ويواليهم ويرضخ لارادتهم ويدين لهم بالخضوع والطاعة كما فعل بعض الملوك والحكام في بعض الاقطار العربية وبذلك يساعدهم على توطيد نفوذهم وتحقيق مطامعهم وقضاء مصالحهم ، ويغدو بالتالي منبوذا من قومه معرضا للحملات والانتقادات والاتهامات ، وهذا ما تأباه عليه نفسه الابية ، ومبادئه العربية الاصيلة ، ونزعته الاسلامية المجيدة ، فسلك بين هذين الامرين طريقا وسطا أملاه عليه عقله الراجح وتفكيره السليم ، وما فطر عليه من حنكة سياسية وتجارب مريرة في هذه الحياة ، فآثر ان ينهج مع الحليفة البريطانية نهجا معتدلا سداه الايجابية ولحمته المجاملة ، وعدم تعريض (الاردن) لاخطار اكيدة ومصير قاتم ... وكان في الوقت نفسه لا يألو جهدا في ارشادهم الى مواطن الزلل وتحذيرهم من مغبة الاسترسال في سياستهم الاستعمارية والعمل على مطالبتهم بتحقيق الاماني القومية وتنفيذ الوعود التي قطعوها لوالده في غضون الثورة الكبرى بشأن تحرير جميع الاقطار العربية وتوحيدها . وبهذه السياسة الحكيمة استطاع ان يحصل من الانكليز على مكاسب كان يتعذر الحصول عليها بوسائل العنف والمقاومة واستطاع ان يحافظ على الكيان الاردني وابقائه بعيدا عن متناول مخالب الاستعمار وبراثن الصهيونية .

الفقيد يحذرني من الانكليز

وحينما قررت نقل جريدتي (الجزيرة) من دمشق الى عمان ، وشرعت باتخاذ الخطوات العملية الاولى ، سألني الفقيد عن علاقة (فلان) بالجريدة ، فقلت له انه سيشرف على ادارتها ولا شأن له بسياستها ، فقال : كن على حذر منه ، فقد علمت انه زار بالامس دار الاعتماد البريطانية وتحدث مع المعتمد (الن كركبرايت) في شؤون الجريدة ، فقلت : ما دام الامر كذلك يا سيدي فلن تكون له أية علاقة بهذه الجريدة .

ولا اذيع سرا الان ، وقد انتقل الفقيد الى دار الخلود ، اذا اعلنت بأنه كثيرا ما كان ينشر في جريدتي (الجزيرة) بعض المقالات والتعليقات بتواقيع مستعارة ينتقد فيها سياسة الانكليز ، ويحملهم تبعة بعض ما كان يصيب الاقطار العربية من محن وارزاء .

حوادث تتكلم

وسأسرد فيما يلي بعض وقائع معينة ومواقف مشهودة ، قرأتها أو سمعت بها أو حضرتها ، وكلها تنم عن نفسية الملك ، وما كان يعتلج في صدره من روح الاستياء والحذر والتبرم بتلك السياسة : ـ

(١)

« بعث الفقيد عام ١٩٢١ عقب وصوله مباشرة الى الاردن وتوليه زمام اماراتها بالرسالة التالية الى القائد الكبير عزيز علي المصري يبثه شكواه من الازمة النفسية التي كان يعانيها(١) :

« عزيزي ،

اني في حالة لا يمكن الصبر عليها ، فبعد ان كنت عزيزا في بـــلادي أصبحت تحت ضغط الاجنبي وسلطانه لاقوة لي ولا مال ولا نفوذ ، فـاذا استطعت ان تشق الطريق امامنا وتجد القوة والمال والسلاح انقذتنـــي وانقذت الامة ، والا فدعني أسقط وأتدهور واسلم انت للعرب » ·

عمـــان عبدالله

(٢)

في عام ١٩٢١ وفي ابان تكوين الامارة قدم عدد من خيالة بني معروف الى عمان لتحية رئيس الحكومة الاردنية السيد رشيد طليع وكان يعتبر من أبرز زعمائهم ، فضربوا خيامهم في قرية ماركا ، على مقربة من المقر الاميري ، وقد اتفق في تلك الاثناء ان بعض هؤلاء الخيالة شاهدوا فريقا من الجنود الانكليز ينصبون خيامهم في ذلك المكان بالذات فأخبروا رئيس الحكومة فأمر باقتلاع تلك الخيام عنوة · ولما وصل نبأ ذلك الى المعتمد البريطاني المستر (ابرامون) حضر الى المقـر وقابل الملك وعـلى رأســه (قلنســـوة الاحتجاج) معربا عن استنكاره لذلك العمل ، فاستدعى الملك رئيس حكومته واستوضح منه جلية الامر فاعترف بما وقع وقال للملك : كيف يجرؤون على القيام بذلك العمل دون الحصول على اذن مسبق من سموك ؟ فاقتنع سموه بوجهة نظره والتفت الى المعتمد البريطاني وامارات الاستياء والتذمر ترتسم على وجهه وقال له : انكم لستم في بلادكم حتى تتصرفوا هذا التصرف وانا أرفض احتجاجك بشدة ، وعليك ان تغادر عمان حالا ، فأذعن لارادة الملك وغادر عمان بالفعل ·

---

(١) نشرت في مذكرات السيد اسعد داغر

(٣)

ومن أغرب ما سمعته عن مقاومة الانكليز للملك في سياسته وتصرفاته ومحاولتهم التدخل في شؤون الادارة ان المعتمد البريطاني (كوكس) ضغط على رئيس الحكومة حسن خالد لاقصاء الاستاذ صالح بسيسو من رئاسة محكمة الاستئناف لعدم انسجامه معهم فاختار لهذا المنصب شخصا آخرا اكثر طواعية واستسلاما ، رغم معارضة الملك ، ولما علم الملك بذلك تأثر كثيرا واستدعى السيد بسيسو وخلفه الى قصره وخاطبهما قائلا : ليفعل الانكليز ما يشاؤون ، ولتكن انت يا صالح مرشحي في المحكمة وليكن خلفك مرشح الانكليز ٠

(٤)

استقبل سموه في قصره ذات يوم وفدا من شيوخ العشائر واخذوا يتداولون في الوضع الراهن ويعربون عن تذمرهم من تدخل دار الاعتماد البريطانية في شؤون البلاد ، وكان محمد باشا الحسين أحد زعماء عشائر البلقاء أشد هؤلاء الزعماء تحاملا على الانكليز ، وأقساهم لهجة مع الملك ، وقد طلب من الملك وضع حد لتلك التصرفات الشاذة التي يقدم عليها المعتمد البريطاني فأجابه الملك وعلامات الاسى تلوح في وجهه : انني معكم يا قوم ، واشعر بشعوركم وأشاطركم آلامكم ، فان ممثلهم ركب رأسه ولم يتورع عن التدخل حتى في شؤوني الخاصة وفي الاشراف على نفقات قصري ٠ ولكن ما العمل ؟ هل تريدون مني ان اعلن عليهم حربا شعواء وأشهر السلاح في وجوههم ؟ وهل انتم على استعداد اذا ما فعلت ذلك أن تشدوا أزري وتقاتلوا معي حتى النهاية ؟ ام نتم سوف تتخلون عني كما تخلى العرب عن والدي وتركوه اسيرا في أيدي الانكليز ؟ فأطرق الجميع واجمين كأن على رؤوسهم الطير ثم استطرد الملك حديثه قائلا : علينا ان نعالج الامور بالحكمة وحسن التدبير ، فلا بد من الاستعداد وتحين الفرص حتى ننال حقوقنا كاملة غير منقوصة بعون الله ٠

(٥)

في شهر ايار سنة ١٩٣٩ ، استقبل سموه في قصره كلوب بمناسبة تعيينه قائدا للجيش الاردني خلفا لبيك باشا ، وقال له الامير (انت انكليزي وهذه دولة عربية ، وجيشها جيش عربي ، وقبل ان تتسلم القيادة اريد منك أن تعطيني كلمة الشرف ما دمت متسلما هذه القيادة ٠ عليك ان تتصرف

تصرف رجل اردني • واردف قائلا : انني أعلم انك لا ترغب في محاربة قومك الانكليز ، واذا قضت الظروف أن تحارب الانكليز فسوف أعفيك من مهمتك ، ولكن طالما ان امرا كهذا لن يحدث فأرجو ان تتصرف تصرف القائد الاردني) •

(٦)

وكان الملك يشعر في قرارة نفسه بأن أحد رؤساء حكومته يعمـــل بوحي من بريطانيا ويسعى لتحقيق أغراضها وتوطيد نفوذها ، ولا يكترث لتوجيهاته • ولقد ضاق به ذرعا مرة وتبرم من خنوعه واستخذائه في بعض القضايا الهامة فاضطر ان يقيله ويتحمل تبعة ذلك ، وظل منزويا في منزله مدة طويلة حتى توسط بعض اصدقائه من رجالات القصر فتوسلوا الى سموه كي يشمله بعطفه ورضاه ، على أن يعتذر عما بدر منه ويتعهد بأن لا يخرج عن نطاق الخطة التي يرسمها له ، فوافق على مضض ، حتى اذا ما نشبت الحرب العالمية الثانية أصر الانكليز على بقائه في الحكم ، وعهدوا اليـــه بسلطات واسعة رغم معارضة الامير فراح ينتقم من أصدقاء الامير والمقربين اليه وزجهم في غياهب السجون ، أذكر منهم : مثقال باشا الفائز شيخ مشايخ بني صخر ، وخلف باشا التل مدير الداخلية ، والفريق علي خلقي باشا ، والسادة أحمد التل ومحمود أبو غنيمة ومحمد أمين الخصاونة واحمد الخطيب ومحمد السمرين وعناد الخريس ومؤلف هذا الكتاب •

الامير يتنفس الصعداء

كنت في عام ١٩٢٥ في حمص اتولى تدريس الادب العربي في مدرستها التجهيزية التابعة لوزارة المعارف ، وقد تلقيت ذات يوم برقية من الاستاذ محمد الشريقي رئيس مفتشي وزارة المعارف في عمان يستدعيني الى عمان وقد عرض علي وظيفة مدرس مادة الرياضيات في الصفوف العليا في مدرسة السلط الثانوية ، وكانت في ذلك الحين المدرسة الاولى في الاردن ، ولدى مباشرتي العمل في ثانوية السلط عمدت الى تنظيم فرقة كشفية كانت الاولى من نوعها ، وفي شهر ايار (على ما اذكر) من ذلك العام أمر رئيس الحكومـة السيد علي رضا الركابي باقامة مهرجان كشفي عام في عمان تشترك بهـــا جميع فرق مدارس الامارة ، وقد أقيم هذا المهرجان في ساحة فسيحة بشارع السلط تمتد من بناية وزارة الصحة الحالية حتى المستشفى العيني ، وأقيم المهرجان تحت رعاية الملك وشهده عدد كبير من زعماء البلاد ورجالاتهـا ، وقدمت كل فرقة ما لديها من برامج خاصة وانني لاذكر بفخر واعتزاز أن

فرقة ثانوية السلط التي كنت اتولى قيادتها نالت الجائزة الاولى وحظيت بتقدير الفقيد لعدة اعتبارات لا سيما وان مبادئها كانت مستمدة من تعاليم الاسلام وتتمشى مع شعائره ، ولما احتشدت هذه الفرق في ساحة قصر رغدان لتحية جلالته والاعراب عن مشاعر الولاء ألقيت كلمة باسم هذه الفرق أعربت فيها عن الامال التي يعلقها الشباب على سموه في النهوض بالبلاد والسير بها قدما في مضمار التقدم ·

فتفضل سموه بالرد على كلمتي بكلمة استهلها بقوله : يسر الله أمورك يا تيسير ، فان لك من اسمك نصيبا ، ولا يسعني الا ان أعرب لك عن تقديري لما قمت وتقوم به من جهود مشكورة في خدمة هذا البلد والعناية بأبنائه وتنشئتهم تنشئة عربية اسلامية صحيحة على أقوم الاسس والمبادىء واعدادهم ليكونوا رجالا أشداء في بناء هذا الوطن · وبعد انتهاء المهرجان طلب الى المرحوم السيد علي رضا الركابي أن يبلغني عطفه السامي وانه (أي الفقيد) يرغب في أن أتشرف بزيارته في الوقت المناسب ·

وبين الذين شهدوا هذا المهرجان واستمعوا الى كلمات الملك عدد من طلاب المدارس في عمان والسلط واربد والحصن وأفراد كشافتها وقد أشغل كثير منهم مناصب رفيعة في هذه المملكة أذكر منهم السادة : فوزي الملقي والدكتور مصطفى خليفة ورياض المفلح ويعقوب معمر وأحمد الظاهر ومحمود الظاهر وحسني فريز وموسى الساكت وأمين أبو الشعر ، وجميل سماوي ·

ونزولا عند رغبة سموه تشرفت بزيارته في قصر رغدان عند انتهاء السنة الدراسية وكان بمعيته آنئذ الشيخ سعيد الكرمي قاضي القضاة ومحمد الانسي رئيس الديوان وابراهيم هاشم وزير العدلية وبعض أفراد الحاشية ، وقد جلسنا على شرفة القصر وأخذ سموه يوجه الي بعض الاسئلة عن مدرسة السلط وسير التدريس فيها ، وهل تم الانتقال الى بنايتها الجديدة ، ثم تطرق في حديثه الى الكلام عن سوريا · فقال رحمه الله : وما هي آخر الاخبار عن حركة سلطان الاطرش ؟ وكانت الشرارة الاولى للثورة قد اندلعت في السويداء فقلت يا سيدي أن الشعب لم يعد يطيق الاستعمار الفرنسي الجائر وان البلاد بأسرها (وليس جبل الدروز لوحده) تحفزت للثورة فقد بلغ الحزام الطبيين ، ولم يعد في قوس الصبر منزع ، فأجابني وامارات الحماس والانفعال ترتسم على أسارير وجهه وقال :

ـ أجل هذا هو الطريق الصحيح لتحرير البلاد من الحكم الاجنبي وتحقيق سيادتها واستقلالها · وهذا هو الطريق الذي سلكه والدي في انقاذ الشعوب العربية من نير الاتحاديين ·

ثم استطرد قائلا : وحينما كنت عضوا في مجلس المبعوثين التركي جرى نقاش بيني وبين وزير الداخلية طلعت باشا حول أوضاع الشعوب العربية وما تعانيه من جور وارهاق ، وتساءلت عن الاسباب التي حـــدت بالسلطنة العثمانية الى الاهتمام بمطالب الارمن وعد الاكتراث لمطالـــب العرب فكان جوابه على هذا التساؤل : حينما تملكون معشر العرب مـــا يملكه الارمن من سلاح وقنابل يمكنكم أن تخاطبونا بهـــذه اللهجة ؟ وحينئذ تتلقون الجواب ؟

وبعد أن أطرق سموه هنيهة رفع رأسه وقال : وانني وايم الله لو كنت أملك القوة والمنعة وأعرف ان ورائي شعوبا تشد أزري لما توانيت لحظة عن تطهير شرق الاردن من النفوذ البريطاني ٠

وحين لاحظ سموه علائم الحيرة والارتباك على محياي قال : الانكليز ، وما ادراك ما الانكليز ؟ انهم سبب كل بلاء وعلة كل محنة ، انهم لو شاؤوا لما خرج فيصل من سورية ، ولحالوا دون نشوب هذه الثورة في بلادكم ولحقنوا دماء السوريين ، اذ باستطاعتهم أن يضغطوا على حلفائهم الفرنسيين ويحملوهم على تغيير خططهم الاستعمارية وتحقيق الحرية والوحـــــــدة السوريـــــة ٠

الانكليز هم الذين اتوا باليهود الى فلسطين واسكنوهم في تلك البقعة العربية الاسلامية المقدسة ، الانكليز هم الذين نكثوا بالعهود التي قطعوها لنا حينما اتفقنا معهم على اعلان الثورة العربية ٠

الانكليز هم الذين ساعدوا على تقويض ملك والدي في الحجاز وابعدوه الى قبرص ، وهم الذين ساهموا في ارساء قواعد الاستعمار وتمزيق شمـل الامة العربية ، ولست في وضع يمكنني من طردهم ولو حاولت ان افعل لما وجدت في امتي سندا ولا ظهيرا ٠ لقد تخلى العرب عني حينما جئت مـــن بلادي غازيا وفاتحا ، كما تخلوا عن والدي وخذلوه حينما اخرج وحكم عليه بالنفي ٠ فلماذا يلومونني ؟ هل باستطاعتي أن أفعل أكثر مما فعلت ؟

أريد مالا واريد سلاحا واريد رجالا وحينما تتوفر لدي هذه الوسائل فحينئذ يسمعون صوتي ويعرفون من أنا ٠

وما كاد سموه ينتهي بحديثه الى هذا الحد حتى أغرورقت عينـاه بالدموع فوجمت ووجم الجميع ومضت فترة غير قصيرة ونحن واجمون كأن على رؤوسنا الطير ٠

وقد أذهلني هذا الحديث الخطير ، الذي لا تنقصه الصراحة ولا يعوزه الاخلاص وبدد بعض الشكوك التي كانت تساورني فوقفت وقبلت يديه واستأذنته بالسفر بمناسبة العطلة الصيفية فصافحني بحرارة وهو يقول : سنراك قريبا ان شاء الله ٠

وفي اليوم التالي كنت في ادارة جريدة ألف باء في دمشق وحدثت الاستاذ يوسف العيسى صاحب الجريدة بما سمعت وكان من الموالين للامير فطلب الي بالحاح ان ابادر الى كتابته وقد نشر في اليوم التالي في صدر الصفحة الاولى بعنوان (الامير يتنفس الصعداء) ٠

وقد أقام هذا الحديث السلطات البريطانية واقعدها وحاولت حمل سموه على تكذيبه فأبى وكادت تقع بينه وبينهم أزمة خطيرة لولا تدخل حكومة الركابي واقناع الانكليز بأن لا يحرجوا الامير وان يكتفوا بنشر بيان من قبلهم يشيرون فيه الى أن الحديث لم يعط للنشر وانه حديث خاص

دعوته الى تأييد الحلفاء

على أن سموه كان يبادر في الظروف العصيبة الى مساندة الانكليز ضد الدول الاجنبية المعادية لهم ، وقد حمله اجتهاده مثلا على الاعتقاد بأن وقوف العرب الى جانب الحلفاء في الحرب العالمية الثانية خير من موالاة أعدائهم ، وان الانكليز لا بد من أن ينصفوا العرب اذا ظفروا بالحرب بعد أن لمسوا عواقب نقضهم للعهود ٠ فوجه بتاريخ ١٩٣٩/٩/١٠ البيان التالي بمناسبة اعلان هذه الحرب :

شعبي العزيز ،

انه ليملأ جوانحي جذلا أن أذيع عليكم نص البرقية التي تلقيناها من حضرة صاحب الجلالة البريطانية الملك الامبراطور جورج السادس جوابا على ما كان من برقيتنا الخاصة الى جلالته ، وهذه هي البرقية الملكية :

« صاحب السمو الامير عبدالله بن الحسين ــ عمان

لقد تلقيت بتقدير عميق رسالة سموكم التي أعربتم فيها عن الولاء والمعاضدة في هذا الوقت العصيب وانني ادرك تماما ان تقاليد الصداقة للشعب البريطاني والوفاء للمثل العليا التي تناضل عنها الامبراطورية البريطانية انما هي ميزات بيت سموكم ٠

وانني اؤكد لسموكم وللشعب الاردني ان بريطانيا العظمى ستلبث ابدأ امينة لهذه المثل العليا ٠

جورج

ملك بريطانيا

أما برقيتنا الى جلالته فهذه هي :

صاحب الجلالة الملك جورج السادس ـ لندن

بعين الروح التي اشترك بها والدي مع جلالة المرحوم الملك جورج الخامس في الحرب العمومية السابقة هكذا ايضا اليوم انا وشعبي نقف بثبات بجانبكم والاستفادة من هذه الفرصة أعلن تأييدي واسنادي لقضيتكم العادلة واتقدم لجلالتكم بولائي وشعوري في هذه الساعة الفاصلة ·

عمان ٣ ايلول سنة ١٩٣٩

عبدالله بن الحسين

وجاء في بيان سموه :

ومما هو خليق بالاشادة به ولفت النظر اليه أن جلالته تفضل وخص الشعب الاردني بالذكر في البرقية الملكية وأشار الى المثل العليا التي تنافح عنها جبهة السلام وأنها معروضة في بيتنا منذ القديم · ولا مشاحة انه على هذا المبدأ القويم يستطيع العالم أن يشق صعاب الحرب جنبا الى جنب مع الامبراطورية البريطانية بسلام وطمأنينة وانه على هذه القاعدة الحكيمة كما يدلنا التاريخ بجلاء ووضوح قد استطاعت الكتل الكبيرة من غير أن يلم بها خوف او ينال منها جزع ، وان الامة العربية النبيلة بأسرها التي تطلعت الى حقوقها بعين الراغب في تولي تلك الحقوق بنفسها قد عملت وجاهدت منذ فجر ١٩١٤ تحت رئاسة المنقذ الاعظم وبالاتفاق والتحالف مع الدولة الديمقراطية بريطانيا العظمى وحلفائها ، وان الامة العربية لا تزال في طريقها الى ذلك الغرض المنشود والمقصد المطلوب ·

واني على يقين انها ما دامت ملتزمة لهذه الاسس مستهدفة ذلك المطمح مخلصة لمن كان أمينا في تأييدها والاخذ بيدها متكئة على معاضدة حلفائها فالنتيجة ستكون باذن الله الوصول الى المرام ·

فلقد رجع الدهر اليوم كعهده بالامس فالموقف هو الموقف ، والدافع هو الدافع والاماني القومية هي بعينها ولذلك فان في كلمتي هذه التي أخاطب بها الامة العربية بمجموعها وفي سائر أقطارها لما يدعوها الى الاطمئنان ويحملها على الثقة حتى تأزف ساعة الظفر الذي لا شك فيه انشاء الله ويتم تحقيق الامنية القومية ، والله الهادي الى سواء السبيل ·

عمان في ١٠ ايلول سنة ١٩٣٩

عبدالله بن الحسين

استقلال الاردن والغاء الانتداب

وما كادت الحرب تضع اوزارها حتى راح سموه يذكر الانكليـــز والفرنسويين بوعودهم والاسراع بتحقيق استقلال الاقطار العربية الواقعة تحت نفوذهم ولا سيما الاردن وسورية ، وحمل حكومته على ارســـال مذكرات بهذا الصدد الى الحكومة البريطانية ، وفي ١٦/٦/١٩٤٤ ـ تلقت الحكومة الاردنية جوابا من بريطانيا على هذه المذكرات وقد وعدت بالنظر في موضوع منح شرق الاردن استقلاله وعقد معاهدة معه ·

وفي شباط سنة ١٩٤٦ توجه سموه الى لندن يصحبه رئيس وزرائه السيد ابراهيم هاشم ووزير خارجيته السيد محمد الشريقي واجـــرى مفاوضات مع الحكومة البريطانية اسفرت عن انهاء الانتداب عن شرقي الاردن والاعتراف باستقلاله كدولة ذات سيادة ·

وعاد سموه الى البلاد في أواخر آذار فاستقبله الشعب استقبالا رائعا تقديرا لجهوده · واقامت بلدية العاصمة مساء ٢٨/٣/١٩٤٦ حفلة كبرى بهذه المناسبة ·

وكانت جماهير الشعب مكتظة تحت شرفات البلدية وقد القى سموه في هذا الحفل الخطاب التالي :

بسم الله الرحمن الرحيم ، والصلاة والسلام على نبيه الكريم ، والحمد لله الذي أعادنا الى هذا الوطن العزيز والى شعبنا المحبوب سالمـــين غانمين بعد غيبة لم تكن بالقصيرة في عاصمة الحليفة الكبرى ، حيث عملنا على احلال شرق الاردن محلها من الرفعة والتقدير والاعتراف بها دولـــة مستقلة ذات سيادة ·

وما كنا يوما ما في طيلة حكمنا لهذا القطر الغالي لنتقاعس عن البـــر به وبأهله او نتوانى في السير به في طريق السلامـــة والكرامة وما كانـــت المصاعب التي تلقانا في ذلك السبيل لتردنا عن المبدأ الذي رسمناه او السياسة التيانتهجناها : تلك السياسة التيعاهدنا الله أن نجعلها خالصة لوحدة العرب واتحادهم وحريتهم واستقلالهم ودعم ذلك كله بالتعـــاون

الوثيق المتبادل مع بريطانيا العظمى كدولة لها في الشـرق تاريخهـا القائـم ٠

ولقد كان لهذه السياسة الحكيمة التي شاركنا في حملها اكفاء الرجال والشعب الاردني الوفي ، أثرها الفعال في الوصول الى هذا العهد الجديد المجيد فدعتنا حكومة جلالة الملك بريطانيا العظمى للمفاوضة معها لعقـد معاهدة ٠

يا حضرات السادة :

ان المعاهدة التي عقدناها لمدة خمس وعشرين سنة باتفاق الجانبين الاردني والبريطاني ولقناعتهما التامة ، تحمل في متنها استقلال شرق الاردن وسيادتها ووقوفها على قدم المساواة مع كل دولة مستقلة ٠ وحرصا على موقف البلاد وضمان قوتها فقد عقدنا ملحقا عسكريا مدته عشر سنوات ٠

وان حكومتنا الجليلة ستنشر تفصيل هذا العهد ، ولنا كبير الامل في تساند الجميع وتآزرهم وتآخيهم في الله وفي خير الامة والوطن ٠

ولا بد لنا من كلمة شكر نوجهها لشعبنا المحبوب في استقباله لنـا وسروره بعودتنا وبابتهاجنا الذي نراه بنتيجة عملنا ، وكذلك نوجه شكرنا الخالص لرجال فلسطين الكرام الذين منع الزحام مصافحتنا اياهم جميعـا وكذلك للوفود السورية التي تكرمت باظهار اتم الشعور معكم اهل الاردن امس واليوم وانا لنسأله تعالى التوفيق الدائم والرقي والسلام العـام ونحيي كافة العرب تحية الاخ لاخيه والسلام عليكم ورحمة الله ٠

حديث الملك عن المعاهدة

وقد أتيح لي التشرف بزيارة الملك في قصره بتاريخ ١٩٤٦/٤/٧ وتحدث الي مطولا حول المعاهدة الجديدة وما تنطوي عليه من مكاسب وفيما خلاصة حديثه (رحمه الله) :

لقد اطلع الرأي العام على المعاهدة وملحقها العسكري ، وانتم تعلمون المراحل التي مرت على البلاد السورية منذ خروج الملك فيصل الى اليوم ٠

وكما قال وزير الخارجية الاردنية هذه اول معاهدة تحل قيود الانتداب وتهدي الى البلاد استقلالها التام وسيادتها الكاملة ، والملحق العسكري هو حاجة ماسة للبلاد حيث انها مفتقرة الى جيش وطني تبنيه ، والى مدارس عسكرية تدرب قواتها وضباطها والى مصانع تعمل سلاحها وذخائرها ، والى طرق تعبدها ، والى تسلح عصري يصعب ايجاده في مدة قليلة ، وتهيئة من يقوم به والدولة لا تزال في دور الصبا وهي بحاجة ايضا الى تحسين اقتصادياتها وايصالها الى حد الكفاية ـ ولقد رأيت كيف ان التجار ينبذون بعض الاوراق النقدية ليأخذوا مكانها اوراق نقد استرلينية او دولارات اميركية ، فأين هؤلاء من الموقف الرهيب والمستقبل المليء بالمفاجآت والامور العظيمة التي تستهدف لها ، فالذي يأخذ الاستقلال والسيادة من واجبه ايجاد السياج الذي يصون هذه الدولة ومدة المعاهدة ٢٥ عاما فالى ذلك الحين يرجو من يحب شرق الاردن انها حين ذلك تستغني عما حامت الظروف حول الملحق بسببه. أما الحلف البريطاني فحيث أن التكيف العربي منذ النهضة الاولى قام على الاستناد والصحيح الى صداقة بريطانيا فانني فخور بهذه الصداقة ، ولقد شاهدنا في الربيع الماضي كيف ان هذه الدولة الحليفة انقذت دمشق برجاء من أهلها من صولة اعدائها ، ولو لم تكن هذه الجيوش في البلاد العربية المجاورة كمصر والعراق فما كان يتسنى لها انقاذ دمشق في ٢٤ ساعة حتى سموها الدولة المنقذة . وعلى كل حال فانني أقول ما أعني : ان وراء الجلاء قبل الاستعداد لصد الاعداء مسؤوليات عظيمة وان ايجاد الاصدقاء للبلاد والتعاون معهم لمن واجبات الساسة المحنكين فليقل الناس ما شاؤوا . والمستغرب ان بعض الصحف التي كانت توالي تكتب زاعمة انها ستثلب وتشجب العمل الذي حدث في شرق الاردن فان هذا منها لا يقربها من خصومها في وطنها وقد يبعدها عن أصدقائها في الخارج .

احاديث وتصريحات وتعليقات شتى

« وصية ملك وعاطفة أب »

في أمسية من أمسيات حزيران عام ١٩٤٨ تشرفت بزيارة الملك في قصره الخاص وقد استقبل سمو الامير طلال بحضور بعض الوزراء ، وأخذ يسدي اليه بعض النصائح والتوجيهات بمناسبة الرحلة الملكية التي أزمع القيام بها الى الرياض وغيرها ، وكان سموه يتسمع الى كلمات والده بكل أدب وخشوع واحترام . وقد استهل جلالته حديثه بقوله : غدا نسير يا بني على بركة الله الى مصر ومنها نستأنف السفر الى الرياض ومنها الى بغداد والله نسأل أن يسدد خطانا ويوفقنا الى ما فيه خير العرب والاسلام .

وعملا بمبادىء الدستور ستكون يا ولدي نائبا على العرش ووكيلي في النهوض بأعباء الملك ، وقد كنت اتوقع ان اراك في اليومين الاخيرين لاتبادل واياك وجوه الرأي في بعض الشؤون ولكن قيل لي بأنك معتكف في قصرك فعسى أن لا يكون للمرض أثر في هذا الاعتكاف ، وانك لتعلم يا ولدي علم اليقين بأنني اتوق الى رؤيتك كل يوم وكل ساعة فأنت صوغ يدي وفلذة كبدي وولي عهدي وخليفتي من بعدي وليس هناك أقرب منك الي واغلى منك علي وقد حباك الله من صفاء الطبع وذكاء النفس ومضاء العزم ما يؤهلك للنهوض بالامر العظيم الذي ندبتك اليه وهيأتك لاجله ولكنني اود يا ولدي ان اصارحك بأن الحياة ميدان للصراع ومكان للكفاح ، وانها محفوفة بالمكاره والصعاب والمتاعب والاوصاب وان سبلها مفروشة بالاشواك والعثرات فلا يفوز فيها الاكل من آتاه الله رحابه في الصدر وليونة في الطبع ومرونة في الاخلاق ومتانة في الاعصاب .

أي بني ، انني بلغت ما بلغت من العمر بعد ان عركت الدهر وعركني ، وبعد ان بلوت أمور هذه الدنيا حلوها ومرها خيرها وشرها ، نفعها وضرها ولقيت من صفوف الاذى والعدوان وعقوق الصحب والاخوان، مالا قبل لغيري باحتماله ، فكم من تهمة باطلة الصقت بي ، وكم تقول البعض علي من الاقاويل ولفقوا من الاباطيل وحاكوا من المؤامرات والدسائس فكنت أمر عليها مر الكرام وما كانت لتزيدني الا ايمانا بالله

والرضاء بقضائه وقدره ، واعتقادا بأن كل شيء مصيره للزوال ، وانه لا يمكث في هذه الارض الا النافع ولا يصح الا الصحيح ولا يرتفع في النهاية الا منار الحق وان للباطل جولة ثم يضمحل ، وان الليل الحالك مهما طال أمده لا بد الا ان يعقبه نهار مضيء يبدد كل ظلام وان القيم الاخلاقية والمثل العليا هي التي تسود ويكتب لها الخلود ٠

أي بني ، انك ما زلت في غضارة العمر ونضارة الشباب ينتظرك مستقبل باسم طافح بالآمال ان شاء الله ، فعليك أن تتذرع بالصبر وتتجمل بالحلم وتتلقى الحوادث بنفس راضية وقلب مطمئن وجأش رابط ، و ٠٠٠ وما كاد جلالته طيب الله ثراه (يبلغ في حديثه السامي) الى هذا الحد حتى صمت ، فساد المجلس سكون رهيب لم يقطعه سوى نهوض سمو الامير طلال وانحنائه على ركبة أبيه يلثمها ، والدمع ينهمر من مقلتيه ٠٠ وكان منظرا رائعا حقا حينما وقف جلالته ووقف جميع الحاضرين ، ورفع جلالته ولده بكلتا يديه وعانقه عناقا حارا ، وضمه الى صدره الكريم واخذ يطبع على جبينه قبلات كريمة ، واشتبكت دموع الاسد العظيم بدموع الشبل الكريم ، وهنا ختم جلالته حديثه الملكي قائلا : سر في طريقك يا بني بمشيئة الله واعتصم بحبله المتين ، واسلك سبيل آبائك الاولين ، واجدادك الصالحين ، واعلم بأننا معشر أهل البيت مكلفون بحمل الامانة واداء الرسالة وتحمل كل أذى حتى نتمكن من ايصال هذه الامة الى محجة النصر والعلاء ، وعين الله تكلأك وترعاك وتبلغك مناك ٠

حاشيته : نشر هذا الحديث الجليل في صحف الجزيرة وبيروت المساء ورسالة الاردن ٠

حديث مستفيض يتناول مختلف الشؤون

وفي هذه الكلمة التي القاها الملك في حفلة أقامتها بلدية العاصمة على شرفه بتاريخ ١٨/٢/١٩٤٧ بمناسبة عودته من تركيا تناول عدة قضايا عامة وشؤون قومية بصراحته المعلومة فهو يتحدث عن الموجات الجديدة التي هبت على العالم الاسلامي ، ويحث رعيته على الرجوع الى تعاليم دينها ، وأسباب رحلته الى تركيا ، وأثر التفرقة في تمزيق شمل الامة ، وضرورة اقامة الحكم على أسس الشورى والمبادىء الديمقراطية ، وهذا نص كلمته :

ابدأ بأسم الله واثني بحمده وأصلي على نبيه وأدعو لامته بالخير ، ثم لكم علي الشكر لاجتماعكم على تكرمتي حكومة وشعبا واظهار الولاء والحب ، واني لارجو الله أن يكون ولاؤكم لي كولائي لكم لا يقصد فيه

الا وجه الله الكريم ، وستتلو هذه المقدمة النصيحة ، فيها يقوم أمر الناس وعليها يرتكز شأن الدولة والامة ، وانه لا يصلح لكم أمر الا بما صلح عليه أولكم ، ولقد قال النبي صلى الله عليم وسلم : « أيها الناس ،ان لكم معالم فانتهوا الى معالمكم وان لكم نهاية فانتهوا الى نهايتكم ، واعلموا ان المؤمن بين مخافتين ، عاجل قد مضى لا يدري ما الله فاعل فيـــه ، وآجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه » وقد قال (الدين النصيحة لله ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم) فعليكم بالنصح في السر والعلن ، وتحابوا ولا تباغضوا ، واجتنبوا الافك والبهتان وانكم اليوم في وجه من الزمان ، ودورة من الدهر ، وقد هجم الجديد على القديم يريد قضـــم محاسنه وهديه ومروءاته ولكن استزيدوا مما ينقصكم من علم ، وهــذا فيما يختص بحياتكم الدنيوية من بروز للعمل الصحيح في الجد والاجتهاد . والناس بين راع ولا راع الا برضا الرعية ، ولا راع الا بالعدل والاحسان وحسن الطوية .

أيها الناس ، لقد احتلت بلادكم فنجاكم الله ، ولقد احتل نهاكم ولا تزالون في غمرة من هذا الاحتلال حيث عرضتم النشء الجديد لنسيان ماله ، ولتقليد ما خبث من أخلاق الامم الاخرى أقول هذا وأنا لست في شك مما أقول ، كما لست نائلا من شخصية معينة ، هذا ولقد أصبحتم في لجــة متماوجة ، فلعل الله أن يعيد السكينة والسلام والمحبة لهــذه الامة فتعود كما كانت أمة واحدة تستهدف هدفا واحدا . فارجعوا الى تاريخكم ينبؤكم بما نقول ، ثم ارجعوا الى ما انتاب العرب من ضياع المجد للتفرقة التي ابتدأت بمصرع عثمان بن عفان وانتهت بانتهاء ملوك الطوائف ثم عادت بعد أن أوليتم ثقتكم بيت رسول الله عام النهضة بعد ان عملت في رقاب شبابكم وطلاب الحق مشانق الطاغية لا تزال تذكره الاذهـــان الواعية ، فاستصرختكم واجبتم ثم كان لكم ما اردتم ، ثم جاءت التفرقة بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى ، ولذلك السبب وفي هدى التاريخ وضوء القضية العربية تذكركم بالوحدة التي ندعو اليها ، ولا نريد من دعوتنـــا الا وجه الله الكريم وسلامة هذه الامة .

والان لقد علمتم ما رميت به من زيارتنا لتركيا التي تكرمونا بسببها من ظنون باطلة ليست من الحق في شيء لقد سافرنا بدعوة كريمة من أمة كريمة نجت مثل ما نجونا من ظلم الم بها وألم بنا وأصبحنا أخوة تود ان لا يغشانا غاش ولا يستعبدنا مستعبد والمرمى أن نعزز بلادنا دوليا ، فقيل ان سفرنا لانتقاص أرض عربية ولشد يد صهيونية لبناء سوريا الكبرى لمصلحة أجنبية ــ وقديما كان الافك ، وقـــد قال الله سبحانه

وتعالى (ان الذين جاءوا بالافك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هـــو خير لكم ، لكل امرىء منهم ما اكتسب من اثم ، والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم) • بلى ، هو خير لكم لانه قد أظهر دخائل الانفس وكشف عن باطن أولئك الذين ينتقصون من اعتزاز بلادنا باستقلالها العام بعقدها على قدم المساواة ، وفي حدود ميثاق الامم المتحدة ومن غير ترخص في أي حق عربي ، معاهدة صداقة وتبادل تمثيل سياسي مع دولة اسلامية بارزة ، كما أوجب تنبيه أهل الرأي فيما تنفثه أقلام مسمومة وصحف معلومة لهدم ما الله بانيه ، وقد بلغ بهـم الارجاف ان صـوروا ايماننـا بوحدة الوطن أو اتحاده طبقا لمبادىء الثورة العربية التحريرية وارادة الامة ومصالح الوطن المشتركة وفي نطاق حقوقه الاستقلاليـة والدوليـة الكاملة وبالدعوة الحرة المجردة أمرا مخيفا بل حشدا عسكريا يكاد يطالع سوريا الشمالية العزيزة يتجاوز علينا ممن نذروا أنفسهم يوم دعا الداعي لصونها والدفاع عن حقها وأمنها • اللهم ان هذا بهتان عظيم أساسه التظلم لتبرير الظالم ، وان مصدره لمعلوم والمسؤولين عن بثه احق بلفت النظر الى ميثاق جامعة الدول العربية ومقاصد العرب العليا ، اللهم ان الوحدة أو الاتحاد بمحض اختيار الشعب تحقيقا لميثاق الوطن المشترك ، ليس فيه الا ما يزيد العرب منعة ويحقق أمل الامة الاسمى • وان العرب في هذه الدعوة المباركة الحرة سواسية لانها صدى وجدانهم والتعبـــير الصحيح الصادق عن حقيقة ايمانهم بعزة أوطانهم ، ولئن رجع الناس الى الانصاف لحكموا بأنه لم يلحق لهذه الامة حيف الا بسبب التفرقة التي قاموا بها عندمنتهىالحرب العالمية الاولى ، فلينتبه منتبهكم ولا يغفل غافلكم وان لله مرادا نرجو ان يكون في خير الامة لا في ضرها ، فانصرواالله ينصركم ويثبت أقدامكم • ثم انكم مقبلون على انتخابات لمجلسكم النيابي ان شاء الله ، وتبدت مشيئته على يدنا في أن يكون الانتخاب لهذا المجلس على درجة واحدة فانتخبوا ما شئتم وعلى قدر ما يظهر مجلسكم هذا مـن رشد سيرتقي بحول الله تعالى الى أعلى درجة من منابر الامم التي تحكم نفسها بنفسها ، والا ان الشورى اصل من اصول الحكم عند الرب وقاعدة كلية من قواعد الاسلام • وانه لمن انعم الله ان تكون الشورى بمفهومهـا العربي اساس الحكـم في بلادنـا وأن تـأخذ مملكتنـا في دستورهـا الجديد باحاسن ما عند الامم الحرة غير مقيدة بالاصول اللاتينية ومـا يلازمها من اضطراب في جهاز الدولة ، وهو ما ابتعدت عنه حتى الولايـات المتحدة فياوضاعها الدستورية مدركة ان الدستور النافع هو ما كـان وسيلة استقرار وتقدم وحكم صالح منبثقا عن واقع الشعب وحياتـه

ومصالحه الحقيقة وان تطوره مع التجربة والحاجة اجدى في تكوين تقاليده وتحقيق مثله • أما الذين قد ساءهم ان يلمع نجم (الاردن) وان تحـــرر هذه البقعة العربية العزيزة من الانتداب والمطامع الصهيونية وان تستبدل معاهدة انتداب بمعاهدة استقلال تام تقف بها كما سمعتم ورأيتم الـــى جانب الدول الكبرى ، فقد اشهدوا الناس على انهم أعداء امتهم وانهـــم يخربون بيوتهم بأيديهم ، وأنى لمن دمغهم الحق أن يحجبوا بالباطـــل اضواء الشمس المشرقة او يطاولوا الشهب بالحصى بل ان للبيت رب يحميه وشعبا يفديه ، ولكم شكري على ما ابديتم من حب وطاعة ، ويدالله معالجماعة، والسلام عليكم •

قضايا هامة في حديث لجلالته

في شهر حزيران عام ١٩٤٧ قام الملك برحلة الى العراق ، وقد استقبل في قصر رحاب وفدا من ممثلي الصحافة العراقية ، فدار بين جلالته والزملاء العراقيين الحديث الخطير التالي الذي يشتمل على عدة قضاياتهم العالمـين العربي والاسلامي :

مهمــة الصحافــة :

استهل جلالته بالسؤال عن الصحافة الممثلة في الاجتماع ، وهل تمثل جميع الاحزاب في العراق أم هي صحافة مستقلة ، وكان بين الصحفيين من يمثل الاحزاب ومن يمثل الصحف المستقلة ، فأجيب جلالته على السؤال ، وبعد ذلك قال جلالته : الصحافة كالسيف له حدان ، حد الله والوطن ، وحد يمكن أن يكون مضرا للوطن • فالصحافة التي تهدف لتنوير الحكومة وتضيء لها السبيل هي التي تجتهد للوطن وتخدم من اجل الوطن والصحافة التي لا تهدف الى ذلك ولا تعالج عن خبرة وبصيرة مصيرها فاشل لدى الـــرأي العام لانها تحاول التغرير بالسذج من الناس ، وهذا التغرير ينكشـــف ولا يـــــــدوم •

لذلك أنصح أن تكون ناصحة لامتها مثابرة على خدمة وطنها من غير تمييز • فاذا رأت ما يوجب التنبيه الى العمل الصالح نبهت اليه وفوهـت به وان رأت ضررا يحيق بالامة اشارت اليه وبصرت به وان تسلك سبيل المدح والاطراء فلا تغالي في القول ، وان عارضت في شيء فلا تتعسف أو تتجنى لانها في الواقع تتحمل مسؤولية كبرى ، فاذا رأت لنفسها حـــق

المراقبة فلتعلم أنها هي أيضا مراقبة ، والرقيب عليها هو الرأي العام والمخلصون من ابناء الوطن الذين جاهدوا في سبيل حريته وفي وقت كانت فيه المشانق منصوبة والنفي والتشريد قائما في البلاد العربية فكانوا هم الهداة والقادة والذادة عن شرف الامة وحقوقها ، فعلى الصحافة أن تذكرهم بالخير اذا رأت ان تنصف نفسها وتفي المخلصين العاملين حقهم • هذه نصيحتي للصحافة الوطنية التي تعمل لخدمة الامة ومقاصدها العليا • أما الصحافة التي تنزع منازع حزبية متطرفة او تنهل من مناهل بعيدة كدرة فهي ليست منا ولسنا منها لانها مسيرة لا مخيرة لهدم كل بناء صالح في كيان الدولة • أقول هذا وانا لا اريد من ذلك الا مصلحة الامة وتوجيه الصحافة العربية الى ما فيه الصلاح والفلاح ، اقول هذا وانا في سن لست فيها محتاج الى امور دنيوية تغريني ، فأنا على سنة آبائي واجدادي اقتفي سيرتهم وانهج نهجهم واعمل على أن أصل ماضي هذه الامة وحاضرها •

وختم جلالته هذه الكلمة بتحية الصحفيين وتمنى لهم الخير والتوفيق والنجاح في مهمتهم •

مشكلة فلسطين :

وقد سئل جلالته عن رأيه في مشكلة فلسطين بالنسبة لما انتهت اليه فقال : ـ

فجع العرب بفلسطين في اواخر الحرب الماضية عندما صدور وعد بلفور ، وقد انكرته الامة وكان من حقها ان تنكره وان تثابر على الجهاد في سبيل المحافظة على عروبة فلسطين وعدم السماح بتحقيق الوعد ، وذلك باحتفاظها للاراضي ، فلا تبيعها للصهيونيين لان بيع الاراضي يمكن اقدام الصهيونيين ويساعدهم على المطالبة بانشاء الوطن لقومي كما كان على العرب ان يأخذوا كلما يعطى لهم من حقوق ويتمسكوا بها ولا يسلكوا سياسة سلبية لان السياسة السلبية تساعدهم على تقدم الخصوم وترسيخ أقدامهم وتبعد العرب عن مباشرة حقوقهم • لقد أعطى العرب في الماضي حق ايجاد وكالة عربية فرفضوا وبقيت الجهود قاصرة على الشكوى والاحتجاج والتماس العدل من الذين يدعمون القضية الصهيونية في جمعية الامم السابقة من غير اتباع سياسة انشائية ترسخ أقدام العرب في أراضيهم أو تحقق مقاصدهم بسلام ، وان من يريد الخير لفلسطين أن يحسن الثقة بالعاملين لخيرها ولا يرمي أي عربي بالتساهل أو الجنوح الى النفع الذاتي فان في هذا تفرقة وشقاقا لتستغله الصهيونية وأنصارها ضد العرب ،

والعرب هم أهل الدار بما لا يزال في أياديهم من أراضي أن احتفظوا بها خلص الوطن وسادوا فيه مرة أخرى ، وفي كتاب الله من الشواهد والاشارات الحقيقية ما يدل على هذا ، وأرى أخيرا أن من الخير لفلسطين أن تترك الجامعة العربية تعمل لهذا الغرض ٠

وعندما سئل جلالته عن لجنة التحقيق وهل يجب أن يقابلها العرب بالمقاطعة أو الاتصال أجاب جلالته :

اني أرى من واجب العرب أن يقابلوها ويقيموا حججهم من التحفظات الواجبة ، حتى اذا عادت اللجنة تكون الدول العربية بالمرصاد فتناضل هناك نضالا دوليا له فوائده على كل حال لان الاحجام عن هذا وعدم مقابلة اللجنة يسيء الى منظمة الامم المتحدة نفسها والى الحكومات التي يعدل عن مقابلة ممثليها وربما تدفع المقاطعة هذه اللجنة الى أن تتخذ قرارا ضد صالح العرب ٠

ثم فكر جلالته قليلا فقال : ويبدو ان العرب يريدون أن يسلكوا لدى منظمة الامم المتحدة نفس السبيل التي سلكوها في الماضي أما نحن فلم نزل على يقين من عدل القضية الفلسطينية ، ونرى انها الآن في يد الجامعة العربية ، وكنا نود أن لو حلت قضية فلسطين بين الانكليز والعرب على ضوء الالتزامات الانكليزية المقطوعة للعرب فان ذلك اجدى من وضعها بين أيدي هيئة مختلطة متباينة المنازع تنظر الى القضية الفلسطينية نظرة عامة تتنازعها الميول السياسية المختلفة لمجهولة النتائج على أننا يجب ان لا نغفل في هذا الباب عن خطاب المستر بيفن الاخير ، ففيه معان واشارات لها أهميتها ٠ ولا ريب أن القضية يجب أن تعتمد على مساعي جامعة الدول العربية ، وعلى الدول العربية أن تهيء من أموالها ما يخصص لهذه الغاية ٠ ان الشعب الفلسطيني شعب ورث النكبات والصدمات قديما وحديثا فصمد لها ولم يتغير أويهن وصان الله سبحانه وتعالى هذه الامة ولن يبدلها بحوله وقوته ٠ واني اعتقد انه ما من رجل من العرب الا ويرغب أن تنجلي هذه الغمامة عن هذه الارض المقدسة ان شاء الله ٠

المعاهدة العراقية الاردنية :

وسئل جلالته عن المعاهدة العراقية ـ الاردنية فقال جلالته ان المعاهدة العراقية الاردنية قد أبرمت وصادق عليها الطرفان ، وهي لا شك مصدر خير وتوفيق للفريقين واذا كانت هذه المعاهدة تقرر تحالفا عربيا فان

الاماني العربية تهدف الى أوسع من ذلك وهو الاتحاد ، وسيأتي زمن يتحقق فيه الهلال الخصيب بأجمعه لان هذا أمل العرب وهدف ثورته التحريرية ، وأرجو ان يعلم بأني بهذا الخصوص استهدف الاتحاد بذاته على اعتبار انه غرض قومي محض من غير أي غرض خاص أو يقيد بأي شكل من أشكال الحكم ، لان هذا متروك بأيدي الامة · أما الحدود التي وجدتها الانتدابات ومعاهدة سايكس بيكو ووعد بلفور ، هي حدود باطلة يجب ان يسعى العرب لازالتها ، والذين يعملون على تثبيت تلك الحدود يخدمون السياسة الاستعمارية التي أوجدت تلك الحدود لغير مصلحة العرب ،

وهنا سأله أحد الصحفيين : هل يتعارض هذا الاتحاد مع جامعة الدول العربية ؟ فأجاب جلالته : ان ميثاق الجامعة يهدف فيما يهدف اليه الى توثيق الصلاة العربية وأحكام الروابط بين الدول العربية كما يحترم آماني الشعب ومقاصده العليا في سبيل الوحدة ·

وسئل جلالته أيضا عن موقفه حول قضية مصر بمناسبة عرضها على هيئة الامم المتحدة ، فقال : ما من رجل الاويتمني لمصر كل الخير والتوفيق، والمسألة المصرية ليست ببعيدة عن الحل ، ومصر أمة عزيزة وغيورة ، وانني أتمنى لها التوفيق ·

ثم سئل جلالته عن موقفه من قضية (الباكستان) فقال : انني من أنصار هذا الشعب وارغب في بناء عائلة اسلامية تمتدمن بلادالتبت حتى الدار البيضاء لانها تحقق نهضة الشرق الاسلامي ، ولقد هنأت السيد جناح بذلك ، وليس في هذا سوى الخير للانسانية عامة والعالم الاسلامي بوجه خاص ·

ثم تطرق جلالته الى وحدة سوريا فقال : ونحن اذا قلنا بوحدة بلاد الشام واتحاد الهلال الخصيب فانما نكرر ما قررته الامة العربية في الهلال الخصيب بهذا الشأن منذ سنة ١٩٢٠ وكان ممن ابدأ هذا القائمون اليوم على الامر في سوريا ، فلا يجب ان يظن بأن هذا سيكون سبب اي انحراف ، وان ما بيني وبين فخامة رئيس الجمهورية السورية وغيره من الشخصيات السورية المحترمة هو كل مودة وصفاء ، ونحن على اتصال ودي في جميع المناسبات القومية ، وانا في غنى عن كل امل ذاتي بما ورثته من عهد الرسول الأعظم حتى يومنا هذا ، ولا يضيرني ما يقرره الشعب من ان يكون الحكم جمهوريا ام ملكيا لانني ملك وابن ملك ، وقد ناضلت عن حقوق العرب وخضت ميادين الثورة لتحقيق أمان خالصة لوجه الله تعالى ومصلحة الامة ·

جلسات حافلة ومناقشات هامـــــة :

وقد عثرت في مذكراتي على ما يلي : ـ

في صباح يوم الاثنين الواقع في ٢٣/٧/١٩٥٠ استأذنت بالدخول على جلالة الملك بعد عودتي من دمشق وكان مجلسه يضم السيدين عبـــد الرحمن خليفة رئيس الديوان الملكي وفلاح المدادحة وزير الداخليـــة ثم انضم اليهما السيد سمير الرفاعي وزير البلاط ٠

وقد تناول جلالته في هذه الجلسة عدة شؤون داخلية وخارجية من عربية وأجنبية ، وأعرب عن عتبه على وزير خارجية الاردن في ذلك الحـين لموقفه من بعض القضايا التي أوصاه بتنفيذها ثم وجه خطابه الي وقال : انني اعلم بأنه صديقك ، وأنه زميل لفلاح باشا في الوزارة ، ولكن اليكم السبب الذي حملني على هذا النقد ، هو ما فاه به النائب السيد توفيـق قطان(١) تحت قبة البرلمان عن وضع المهاجرين الفلسطينيـــين في أقطـار أميركا الجنوبية الذين يناهز عددهم السبعين ألفا (على حد قول السيـــد قطان) وجلهم من المتمولين وذوي المكانة والنفوذ ومن المؤلم أن لا يجـدوا لهم ممثلا للحكومة التي ينتمون اليها يرعى شؤونهم ويساعدهم على اعتناق الجنسية الاردنية ويمكنهم من العودة الى بلادهم لاستثمار مواهبهـــــم وثرواتهـــــــم ٠

ثم أردف الملك قائلا : وقد استدعيت هذا الوزير وطلبت اليه ان يولي هذا الموضوع جزيل عنايته ويتوجه بنفسه عند الاقتضاء الى تلك الاقطار ليطلع عن كثب على وضع اولئك المهاجرين واتخاذ الترتيبات العاجلة لتحقيق رغائبهم ولكنه اعتذر بأن لديه مشاغل كثيرة تحول دون تغيبه عن مقر عمله فطلبت ان يبادر الى تعيين ممثل دبلوماسي كبير لحكومة الاردن في تلـــك الاقطار وانشاء قنصليات مختلفة تابعة له فلم يفعل ، فلا ادري يا تيسير كيف تريدون مني أن أسوس أمور المملكة ورجالي هذا شأنهم ٠

ثم انتقل الحديث في هذه الجلسة الى وضع سورية ولبنان وقال : ان الظروف الحاضرة مؤاتية لاقامة الوحدة الشامية التي يجب أن تضم الاقطار الثلاثة : الاردن وسورية ولبنان وانني على أتم اليقين بأن انكلترا واميركـا لا تعارضان هذه الوحدة اذا تمت عن طريق السلم وبارادة الشعب ، ولا حياة لهذه البلاد التي تعتبر دماغ العرب المفكر الا باقامة هذه الوحدة ٠

---

(١) من رجال الاقتصاد المعروفين في عمان ٠

ثم وجه جلالته كلامه الي وقال : يمكنك أن تذيع هذه الاقوال عن لساني في جريدتك وفي غيرها من الصحف اذا شئت فالظروف تستدعي العمل العاجل ٠

قلت لجلالته ولكنني لاحظت أثناء وجودي في دمشق في الاونة الاخيرة أن بعض أنصار الوحدة لا يرغبون عن النظام الجمهوري بديلا رغم عيوبه ونقائصه ؟

قال جلالته والتأثر باد في محياه : أنا لا يعنيني نظام الحكم سواء اكان ملكيا أم جمهوريا ما دام دين الدولة هو الاسلام ٠ ان المهم في الموضوع تحرير هذه البلاد وضم شتاتها ٠

ثم انتقل جلالته الى الكلام عن توحيد الضفتين اللتين تؤلفان شطري المملكة فقال : انني لاعجب وايم الله كيف سمحت بعض الحكومات العربية لنفسها أن تعمل على مقاومة هذه الوحدة الطبيعية التي هي نموذج عملي لكل وحدة يمكن أن تقوم بين هذه الاقطار ، وماذا يريدون مني ؟ ايريدون ان يظل ذلك الجزء الغالي من فلسطين هدفا للاعتداءات اليهودية وعرضة للضياع كما جرى في الاجزاء الاخرى ، وما هي الاعتبارات التي تحول دون ضم ذلك الجزء الى الجزء الاخر ، وهل ثمة فوارق دينية او اجتماعية أو جغرافية تمنع من هذا الضم ٠٠ ثم قال جلالته : انني ماض في طريقي لا يهمني الحكام العرب رضوا أم غضبوا ما دمت أعتقد أن ما اتخذته من اجراءات هو الصواب ٠

وهنا التفت جلالته الى رئيس ديوانه وقال له : هات البرقية التي وردت من العراق ؟ وقد تلا علينا جلالته هذه البرقية وفيها اشارة الى ما قام به الوصي على عرش العراق ورئيس حكومته السيد صالح جبر من المساعي في سبيل اقناع الملك وحكومته بالموافقة على الصيغة التي وضعت لاجل تسوية هذه المشكلة ، أي مشكلة توحيد الضفتين وقد جاء في هذه الصيغة أن هذا الجزء من فلسطين الذي ضم الى الاردن يبقى وديعة لدى جلالته ريثما يتم تسوية المشكلة الفلسطينية نهائيا ٠ وفي البرقية اشادة بالموافقة التي وقفها العراق في تأييد الاردن في عدة مناسبات ، وتحذير جلالته من تصدع الصف العربي اذا ما اصر الاردن على موقفه من هذه القضية ٠

ثم تلا جلالته الرد على هذه البرقية وفيها دفاع عن موقف الاردن ازاء هذه القضية واصراره على عدم التراجع مهما كانت النتائج ٠

وقد سألت جلالته عما تم بشأن أملاك اللاجئين في اسرائيل وكانت

المساعي مبذولة لتسوية هذه المشكلة مع اليهود بواسطة بعض الدول الكبرى فرد جلالته على سؤالي قائـلا :

من المؤسف حقا ان ينهض الاردن لوحده بهذا العبء وأن يقف منفردا في سبيل المطالبة باسترداد أملاكهم ودفع اثمانها واعادة اموالهم المجمدة في البنوك الانكليزية واليهودية دون ان نلقي أية مساهمة في هذا السبيل من الحكومات العربية الاخرى كأن الامر لا يعنيهم وكأن هؤلاء الذين هجروا بلادهم ووفدوا الى هذه البلاد ليسوا عربا ٠ فالاردن هو الذي يـذود عـن حقوق الفلسطينيين في هذه الايام وهو الذي يعطف على قضاياهم ويعمل على تخفيف متاعبهم وتلطيف آلامهم ودفع الاذى عنهم ونحن (يقصد المملكـة الاردنية) لا نستطيع أن نعيش في جو خانق مطوقين من كل جانب بل علينا ان نعمل على تحطيم ما يمكن تحطيمه من القيود ، وتسوية ما يمكن تسويته من المشاكل ، ووضع حد لهذه الحالة القلقة الشاذة التي لا ندري موعـد انتهائها ومدى استمرارها ٠ نحن نريد منفذا بحريا على البحر الابيض المتوسط ونريد تأمين اصدار منتجات بلادنا من حبوب وغيرها ، نريد اعادة اللاجئين الى بلادهم ، نريد من الحكومات العربية ان تتعاون مع بعضها تعاونا وثيقا لانقاذ الموقف ، أما ترك الامور على ما هي عليه من البلبلة والحـيرة والاضطراب فانه سيؤدي حتما الى أوخم العواقب ، وسيتحمل الاردن وحده مع الاسف كما تحمل في السابق جميع ما يترتب على ذلك من مسؤوليات ومتاعب ، واليهود وحدهم سيفيدون من هذا الموقف المضطرب فهل مـن يسمـع ؟ ؟

وما كاد جلالته يصل الى هذا الحد من الحديث حتى اكفهر وجهـه واستولت علينا جميعا موجة من التأثر البالغ والانفعال الشديد ٠ ورأيت أن الوقت قد حان لتحويل مجرى الحديث عن فلسطين الى البحث في الامور الداخلية فقلت لجلالتـه :

ما رأيكم في موقف مجلس النواب الاردني من الحكومة بمناسبة مـا جرى في الجلسات الاخيرة من الصراع بـين بعض النواب واعضاء الوزارة ومحاولتهم اسقاط الحكومة وعقب على سؤالي السيد سمير الرفاعي بانتقاد موقف بعض الوزراء لعدم حضورهم جلسات مجلس الاعيان وتهربهـم مـن المناقشـات ٠

فقال جلالته : ليس من حق النواب في هذه الظروف العصيبة أن يخلقوا مشاكل جديدة ويزيدوا الطين بلة والامور تعقيدا ، وأن يتخذوا من تصرفات بعض الوزراء وسيلة لاسقاط الحكومة وتبديلها ، ولا يدخل ذلك

في نطاق صلاحياتهم التي نص عليها الدستور .. انني وعدت فعلا باعطاء مجلس النواب صلاحيات اوسع من صلاحياتهم الحالية ولا سيما فيما يتعلق بالمسؤولية الوزارية أمام المجلس ولكن تصرفات بعض النواب المحرجة ستجعلني في حل من ذلك الوعد وتضطرني الى ارجاء البحث في هذا الموضوع . وهنا أمر جلالته بتلاوة الكتاب الذي وجهه الى رئيس مجلس النواب بشأن تعديل الدستور ، وعرض صيغته النهائية على جلالته لمناقشتها بحضور لجنة ينتخبها النواب وقد بسط في هذا الكتاب واجبات النواب وحقوقهم .

ثم أردف قائلا : انني والله واقع بين ثلاثة اتجاهات لا ادري على أيها اعتمد فهناك الحكومة ، وهناك مجلس الامة ، وهناك الرأي العام . والذي يلوح لي وأشعر به في قرارة نفسي هو أن الرأي العام أشد اخلاصا للبلاد واقرب الى التجاوب معي من الجانبين ، وعليه وحده سأعتمد بعد الاتكال عليه تعالى . انني لا انكر بأن مبدأ الشورى الذي أمر به الكتاب الكريم وحث عليه الرسول الاعظم سيسود شريطة أن لا تضيع مصلحة البلاد لا سيما اذا كان ممثلوا الشعب لا ينظرون الى أبعد من انوفهم ولا يفكرون الا بمصالحهم ، وقد ردد جلالته الآية الكريمة : « وشاورهم في الامر فاذا عزمت فتوكل على الله » .

وهنا تدخل السيد الرفاعي في الحديث وقال : هناك سبيل آخر لتعديل الدستور وضمان المسؤولية الوزارية أمام المجلس دون ان تكون الحكومة عرضة للهزات الحزبية والمناورات الشخصية وذلك بأن ينص الدستور على أنه لا يجوز اسقاط الوزارة الا بعد ان يوافق مجلس الامة (النواب والاعيان) بالاكثرية المطلقة لكل مجلس ، وبهذه الطريقة لا يستطيع النواب المتحاملون والمغرضون من اسقاط الحكومة الا عن طريق الاكثرية ، وفي ذلك ضمان لحق الاكثرية وحفاظ على مصلحة البلاد ، فقال جلالته : وأنا أرى تفاديا لكل أزمة ومناورة تقع أن يكون أعضاء الوزارة من غير النواب يختارهم الملك من الاكفاء وأرباب السمعة الطيبة وبذلك نقطع على النواب المستوزرين الطريق ونحول بينهم وبين أحداث الازمات للوصول الى كراسي الحكم .

وقال جلالته في ختام هذا البحث بأن مهمة المجلس يجب ان تنحصر في التشريع ومراقبة موازنة الدولة والاهتمام بالشؤون الداخلية ، وأما السياسية العليا وقضايا الجيش والامن فيجب أن تبقى من صلاحيات الملك .

« لم اخن قضية العرب »

ونشرت مجلة الاثنين القاهرية في عددها الصادر بتاريخ ١٩٥١/٨/٢١ كلمة عنوانها « لم أخن قضية العرب » بقلم أحد كبار محرريها ، قال المحرر :

« لم يكن المغفور له الملك عبدالله رجل البادية فقط كما قد يتبادر الى الذهن بل كان رجل اوروبا واميركا ، وقد لاحظت هذا ولمسته في احدى الحفلات الرسمية التي اقيمت لجلالته في قصر انطونيادس أثناء زيارته لمصر في عهد تولي وزارة حسين باشا الحكم . كان رحمه الله يمسك بالشوكة والسكين ويستعملهما كأعرق أبناء الاسر الارستقراطية . ثم لا يلبث بعد قليل أن يمسك بيديه ما يريده من اللحم والفواكه . وكان من عاداته ان يجلس على المقعد كما هو مألوف . ثم لا يلبث أن يتحرك ليضع ساقيه تحته متربعا كأنه يجلس على سجادة الصلاة . وكان رحمه الله حاضر البديهة لا يترك شاردة ولا واردة تمر دون ان يعلق عليها تعليق الخبير بأمور هذه الدنيا وتجاربها وفي خلال الفترة التي استغرقها تناول الطعام في المأدبة في قصر انطونيادس ، تكلم عن بلاده ورغائبه وعن ألمه من تهجم الصحافة المصرية عليه ، تلك لم تفهمه كما قال وقتذاك قال لنا جلالته « انني عاتب على الصحافة في مصر . عاتب عليكم لانكم كلتم لي التهم جزافا . وصورتم سياستي تصويرا يبعدها عن مرماها الذي أريده ، حتى دعوتموني بالخائن لقضية فلسطين وقضية العروبة » « وتسأل : انا أخون قضية العروبة ؟ انا الملك العربي سليل أعرق أسرة عربية حاكمة في العالم » انني رجل واقعي . وتربيتي ونسبي الشريف يحتمان على أن أعيش في الواقع . ولكن الواقع هو الذي يؤلم بعض الساسة . والتفت رحمه الله الى عزام باشا وقال له « كده ولا ايه يا عبد الرحمن » ؟ فأجاب عزام باشا ولم يكن منتبها (كده يا سيدنا) ومضى الملك عبد الله يقول : ولكنني أرجو ان يكون جلالة أخي الملك فاروق على بصيرة بحقيقة شعوري نحوه ونحو بلاده العزيزة علي » وعاد الملك العربي الى جلسته

وتحرك جلالته الى المطار .. وصعد الى الطائرة الفخمة وهو يقول لنا « انني أحب التنقل بالطائرات في المسافات البعيدة » وسألت جلالته (ألا تخاف جلالتكم من ركوب الطائرات) فابتسم وقال « وهل من شيم الملوك ــ الملوك العرب يا ابني ــ الخوف ؟ » لا يستحق أن يكون ملكا من يتملكه الخوف لحظة واحدة .. ومم الخوف ؟ من القدر ؟ ولكنني أخاف الله في أعمالي وفي سري وفي علني » .

النضال في سبيل فلسطين

انا نعاهد الله على الجهاد المقدس دفاعا عن فلسطين العربية والعمل على أن تظل عربية .

« عبد الله بن الحسين »

أما نضاله في سبيل فلسطين فانه لا يحتاج الى شرح ، ولا يفتقر الى دليل ، فقد ظل ينافح عن هذا الوطن الشهيد ، ويناضل عن حقوق أبنائه، ويتذرع بمختلف الوسائل لانقاذه من براثن الغاصبين ، وعدوان المعتدين حتى لقي وجه ربه وهو يحمل راية الجهاد من أجل تحريره .

لقد كان يعتبر الاردن وفلسطين توأمين يؤلفان وطنا واحدا وشعبا واحدا ، لا يمكن فصلهما عن بعضهما ، فلم يدع فرصة تمر الا واهتبلها في سبيل نصرة هذه القضية ، وكان يقوم باتصالات رسمية وشخصية مع ممثلي الحكومة البريطانية لهذا الغرض ، ويرسل المذكرة تلو الاخرى ، للدفاع عن وجهة نظر العرب والمسلمين في هذه البقعة المقدسة ، وضرورة وقف الهجرة اليهودية وبيع الاراضي لليهود ...

ولم يدع لجنة من لجان التحقيق الدولية التي كانت تسعى لحل مشكلة فلسطين دون أن يتصل بها ، ويبسط رأيه الصريح في حل هذه المشكلة معززا ذلك بالادلة الدينية والتاريخية .

وأوعز الى الحكومات المتعاقبة في الاردن بأن لا تدخر وسعا في التعاون مع سائر الحكومات العربية لمعالجة هذه القضية ، والاشتراك بجميع المؤتمرات التي كانت تعقد لهذا الغرض .

وحينما أعلنت بريطانيا انهاء انتدابها على فلسطين وقررت سحب قواتها منها ١٩٤٨ ، كانت حكومة شرقي الاردن في مقدمة الحكومات العربية التي بعثت بقواتها الى فلسطين حيث أبلت في المعارك الكبرى التي دارت بين العرب واليهود أحسن البلاء ولا سيما في حيفا والنبي يعقوب وروتنبرغ وغزة وبئر السبع وكفرعصيون وغور الاردن وقلندية وكالية .

وكان من أشد هذه المعارك ضراوة معركة القدس التي أسفرت عن الحفاظ على عروبة بيت المقدس وابادة اليهود الدخلاء الذين يقيمون في بعض أحيائها .

ولم يتخلف الاردن عن الركب العربي في جميـــع مواقفه الحربيـــة والسلمية العربية ٠

وقد أعرب جلالته عن رأيه في قضية فلسطين وموقف بعض المتزعمين بصراحة في مذكراته اذ قـــال : ــ

« قضية فلسطين هي قضية جهالـــة وعناد ، وسعي وراء منافـــع لاشخاص وضعوا أيديهم في عنق وطنهم حتى كادوا يزهقون روح الوطنية تماما ٠ هذا ما نشهد به بين يدي الله ، ونعلم أنه سيغضب الكثير ، ولكنني والحمد لله من الذين لا تأخذهم في الحق لومة لائم » ٠

على أن جلالته رغم ما كان يلقاه من اعراض وجفاء ، ورغم ما كان يجابهه من صعوبات وعثرات ، ورغم ما كان يوجه اليه من تهم وافتراءات ــ ظل يتابع جهوده في مختلف المناسبات ، وعلى جميع المستويات ، لايصال الحق الى أربابه ، وتفنيد مزاعم الصهيونية والتنديد بسياسة الاستعمار الذي يمالئهـــا ٠٠٠

وقد تضيق صفحات هذا الكتاب عن استيعاب جميع ما بعث به من مذكرات الى الحكومات الاجنبية ، واللجان الدولية ، والمقامات المسؤولة ، والهيئات السياسية ، نجتزىء بالاشارة الى بعضها :

١ ــ مذكرة من جلالته الى السير تشانسلور المندوب السامي البريطاني في فلسطين بتاريخ ١٩٣٠/٧/٢ للدفاع عن حقوق العرب والمسلمين في البراق الشريف ٠

٢ ــ مذكرة الى المندوب السامي أيضا بتاريخ ١٩٣٣/١٠/١٨ احتجاجا على تدفق الهجرة اليهودية ٠

٣ ــ مذكرة الى المندوب السامي أيضا مؤرخة في ١٩٣٤/٧/٢٥ بشأن مخاوف العرب في فلسطين من تدفق الهجرة ٠

٤ ــ مذكرة الى المندوب السامي أيضا مؤرخة في ١٩٣٦/٥/٢٢ حول مهمة اللجنة الملكية التي شخصت الى فلسطين ٠

٥ ــ مذكـرة الى المندوب السامي أيضـــا مؤرخة في ١٩٣٦/٦/١٦ حول أعمال العنف التي تتخذ ضد عرب فلسطين ٠

٦ ــ مذكرة الى اللجنـــة الملكية مؤرخـــة في ١٩٣٦/٧/١٠ حول خطورة الموقف في فلسطين وفيها عرض لاماني العرب وحقوقهم ٠

٧ ـ محاورة بين جلالتـه والمنـدوب السامي البريطاني في ١٩٣٦/٥/٩ حول مشكلة فلسطين وطرق معالجتها بما يضمن للعرب حقوقهم ٠

٨ ـ مذكرة الى اللجنة الملكيـة في ١٩٣٧/١/١٠ حول حقوق العرب في فلسطين ٠

٩ ـ كتاب الى الحاج أمين الحسيني مؤرخ في ٢ شوال ١٣٥٥ حول زيارة اللجنة الملكية لفلسطين ٠

١٠ - كتاب الى السيد عوني عبد الهادي مـؤرخ في ١٩٣٨/٥/٢٤ حـول خطورة الحالة في فلسطين ٠

١١ - كتاب الى الدكتور عبد الحميد سعيد رئيس جمعية الشبان المسلمين في مصـر مؤرخ في ١٩٣٨/٦/٥ حول تفاقـم الخطـر الصهيوني واقتراحات الحل ٠

١٢ - كتاب الى الجنرال كلوب رئيس أركان الجيش الاردني مؤرخ في ١٩٣٨/٦/٢٤ حول الدفاع عن فلسطين ٠

١٣ - كتـاب الي المندوب السامي مؤرخ في ١٩٣٨/٧/٨ احتجاجا عـلى الاعتداءات اليهودية على العرب في حيفا ٠

١٤ - كتاب الى المندوب السامي مؤرخ ١٩٣٨/٧/٢٦ حول وضع السجناء العرب في فلسطين ٠

١٥ - مذكرة برقية الى المستر روزفلت رئيس الولايات المتحدة الاميركية مؤرخة في ١٩٤٤/٣/٣ يحتج فيها على موقف الكونغرس من حقوق العرب في فلسطين ٠

١٦ - مذكرة الى لجنة التحقيق المشتركة التي أوفدتها الحكومتان الاميركية والبريطانية مؤرخة في ١٩٤٦/٣/١٣ عرضت فيها الحكومة الاردنية حقوق العرب في فلسطين ٠

هذا بالاضافـة الى المؤتمرات التي عقـدت في لندن ومختلف البلدان العربية لبحث القضية الفلسطينية وقد اشترك بها الاردن بناء على رغبة جلالته ٠

برقية احتجاج الى ترومان

ومن البرقيات التاريخية الهامة التي بعثها الملك احتجاجا على دعم

الصهيونية ومساعدة اليهود تلك التي أرسلها الى الرئيس ترومان بتاريخ ٥ تشرين الاول ١٩٤٥ هذا نصها :

« ان تشثبات الرئيس ترومان بشأن الهجرة الصهيونية قد أوجبت قلقا عظيما في الشرق الاوسط » ٠

وبعد ان ذكر سموه الرئيس ترومان بالبرقية التي كان قد بعث بها الاخير الى سموه والتي صرح فيها بأنه سوف لا تتخذ أية قرارات قطعية بشأن فلسطين قبل مشاورة العرب اختتم سموه برقيته بقوله :

(آمل أنني سأحظى برد يذهب القلق عن الافكار)

لا مجال للاستغلال

وفي ١٦ أيار سنة ١٩٤٨ أصدر الملك بيانا هاما بمناسبة محاولة بعض الدول التدخل في مصير فلسطين هذا نصه :

« انتهى الانتداب البريطاني على فلسطين وزال بزواله وعد بلفور ، ولقد رفض العرب التقسيم والوصاية لذلك نعلن أنه لا وجود لاي ادعاء استغلالي في فلسطين والشعب العربي يناضل عن عروبة فلسطين واقرار السلام فيها ولاهل فلسطين حق تقرير مصيرهم بعد الظفر بالسكينة والامن » ٠

تطور الاحداث

أما تطور الحوادث في فلسطين بعد فشل جميع لجان التحقيق الدولية في مهامها ، واخفاقها في جميع المشروعات التي أعدتها لحل قضية فلسطين وايجاد تسوية دائمة لها ــ فقد سارت على المنوال التالي :

في شهر حزيران ١٩٤٧ اعلنت الحكومة البريطانية في هيئة الامم المتحدة الغاء انتدابها على فلسطين واجلاء قواتها عنها في الخامس عشر من شهر آب سنة ١٩٤٨ ثم قدمت موعد تصفية ادارتها المدنية الى ١٥ نيسان من السنة المذكورة وجعلت موعد سحب قواتها العسكرية يوم ١٥ ايار ٠

وفي ١٩٤٧/١٠/٧ قرر مجلس الجامعة العربية مساندة عرب فلسطين في الدفاع عن انفسهم ثم تألفت لجنة عسكرية عربية للاشراف على مد الفلسطينيين بالاسلحة ٠

وفي ١٩٤٧/١٢/٨ قرر مجلس الجامعة رفض قرار التقسيم الذي أصدرته هيئة الامم ، وتزويد اللجنة العسكرية بالسلاح والمتطوعين وعمدت اللجنة المذكورة الى تأليف جيش الانقاذ ودعوة المتطوعين الى الانخراط في الجيش المذكور · وفي الشهر الاول من العام المذكور تم تأليف جيش الانقاذ ·

أما رأي جلالة الملك عبدالله الخاص في انقاذ الموقف الذي أخذ يتأزم في فلسطين فكان ينحصر في سلوك أحد الطريقين : اما قبول مشروع التقسيم على علاته اذا كانت الدول العربية غير راغبة في خوض غمار الحرب ضد اليهود ، أو أن يتولى الجيش الاردني لوحده قتال اليهود على أن تقوم الدول العربية بتزويده بما يحتاج اليه من مال وسلاح وعتاد اذا كانت مصممة على ايقاد جذوة الحرب ·

بيد ان الدول العربية رفضت قبول كلا الاقتراحين وعقد في عمان مؤتمر في نيسان عام ١٩٤٨ حضره بعض رؤساء الوزراء والوزراء والقواد العرب والامين العام للجامعة العربية برئاسة الملك واستقر رأي المؤتمرين على دخول القوات العربية الى فلسطين لانقاذها ، وان يتولى الملك عبدالله القيادة العامة للقوات العربية ·

وحينما كان هذا المؤتمر التاريخي منعقدا في احدى قاعات قصر رغدان ، كنت أجلس مع بعض زملائي الصحفيين وموظفي القصر في غرفة مجاورة ·· وفي غضون عقد المؤتمر خرج الملك ودخل الى غرفتنا وتفضل بابلاغنا قرار المؤتمر ، وسلمني نسخة من الكلمة التي القاها في المؤتمر ، ثم ذكر جلالته أنه كان لم يكن مرتاحا كثيرا الى تقليده زمام القيادة ، وانه كان يؤثر أن يعهد بذلك الى الملك فاروق لان وضع الاردن وظروف جلالته لا تسمح لي تماما بالنهوض بأعباء هذه المهمة الخطيرة ، ثم أعرب جلالته عن الشكوك التي تساوره في صحة الارقام التي قدمها الرؤساء والقواد عن عدد القوات والوحدات والمعدات التي سيقذفون بها الى أتون المعركة ، وانه لا يرغب في تحمل تبعة النتائج التي قد تنجلي عنها وقائع هذه الحرب الغامضة والمجهولة العواقب ·

وقد دلت الاحداث التي تتابعت بعد ذلك على أن جلالته كان على حق في شكوكه ومخاوفه فقد اعتذرت كل من سورية ومصر عن زيارة جلالته لقواتهما لتفقدها بأسباب واهية ·· ثم أن الدول العربية لم تف بتعهداتها ، ولم تقدم جميع القوات والمعدات التي وعدت بتقديمها (كما

أخبرني جلالته) ، ثم أنها لم تكن لتعير تعليمات القيادة العليا أي اهتمام ، أو تقيم لها أي وزن ·

ولقد استمعت ذات مرة (وانا في حضرة جلالته) الى نقاش هاتفي عنيف بين جلالته والامير عبد الاله الذي كان يرابط مع القوات العراقية على مقربة من جسر المجامع ، فقد أعرب جلالته دهشته لتوقف هـــــذه القوات عن الزحف ، وعدم تحطيم المعاقل والجيوب التي كانت تتحصـــن بها القوات اليهودية ·· فاعتذر الامير عبد الاله بأن القوات العراقية غير كافية وانها تعاني صعوبات في دك تلك المعاقل ·

أمر يومي للزحف العسكري :

وبهذه المناسبة ، وعلى سبيل المثال ، أثبت فيما يلي نص الامــــر اليومي الذي أصدره الملك الى قواته المرابطة في فلسطين والاردن :

الى قواتنا في شرق الاردن وفلسطين بما فيهم قوات الدرك ·

عطوفة رئيس اركان الحرب العامة :

تبلغوا الامر اليومي التالي ، وبلغوه للجيش ولقوات الدرك :

جيشنا الباسل :

اننا بحمدالله نظهر تقديرنا لجيشنا وامرائه وضباطه وصف ضباطه وافراده فيما قاموا به من اعمال موفقة بكمال الاتفاق والشجاعة وحسن السلوك في فلسطين وشرق الاردن ، والان نطلب منهم جميعا ان يستعدوا لخدمات في عملية الانقاذ في فلسطين ، وان يتأهبوا لكفاح الشرف ، وان يسعوا الى ربط حاضر الجيش بماضيه والاجداد الذين احتفظوا بالكرامـة القومية والشهامة المحمدية ، واننا لمعهم اينما كانوا قلبا وبالوجود ان شاء الله تعالى ·

الملك يدعو الى استمرار القتال

وبتاريخ ١١ حزيران سنة ١٩٤٨ عقدت الهدنة الاولى في فلسطين ، بناء على الحاح اليهود بعد أن منوا بهزائم ساحقة ، وخسائر فادحة ، وكان الجيش الاردني قد قام بمهمته خير قيام ، وحقق جميع أهدافه العسكرية . وقد أفاد اليهود كثيرا من هذه الهدنة فقد استطاعوا أن يستكملوا استعداداتهم ، ويستعيدوا نشاطهم ، ويتحفزوا للجولة الثانية .

وقد بدأت التمهيدات لعقد هذه الهدنة أثناء سير القتال حينما اجتمع بعض الوزراء والسياسيين العرب في القصر الجمهوري بدمشق ، وكان بينهم السادة عبد الرحمن عزام أمين الجامعة ورياض الصلح رئيس وزراء لبنان والدكتور فوزي الملقي وزير الخارجية الاردنية وغيرهم ، وقد انتهى الى مسامع جلالته ان النية متجهة الى قبول وقف القتال ، وكان الجيش الاردني في أوج انتصاراته ، ويؤدي واجبه ببسالة في مختلف الميادين ، فدهش جلالته لاتخاذ مثل هذا الموقف المتخاذل وعمد الى الاتصال هاتفيا بالسيدين عزام والملقي وأبلغهما أنه لا يقر هذا الموقف ، وأن جيشه سيتابع القتال حتى النهاية مهما كانت النتائج ، وأنني لاذكر تلك الجملة القاسية التي وجهها الى أمين الجامعة أثناء حديثه الهاتفي اذ قال « أرجو أن تؤكد للاخ الرئيس القوتلي بأن جيشي سيستمر لوحده في خوض المعركة اذا ما وافقتم على عقد الهدنة ، وانني لن اتوانى عن اعلان ذلك للملأ منددا بهذا الاستخذاء » بيد أن جلالته لم يلبث بعد ذلك أن وافق على عقد الهدنة بل أن تأكد ضعف الجيوش العربية وعدم استطاعتها متابعة القتال .

ولما أحس جلالته باستعدادات اليهود ، وتأييد دول الاستعمار لهم ماديا وعسكريا ، وتخليها عن مساعدة الدول العربية ، طالب الدول العربية بتمديد الهدنة ولكنها أصرت على استئناف القتال نزولا عند رغبة الجماهير .

وفي ٩ تموز سنة ١٩٤٨ استؤنف القتال ، فكان النصر حليف القوات اليهودية اذ استطاعت أن تحتل مدينتي اللد والرملة والجليل وعدة قرى في لبنان لذلك وتنفيذا لقرار مجلس الامن في ١٥ تموز تم عقد الهدنة الثانية وقد أذاع جلالته بهذه المناسبة بلاغا على الشعب قال فيه :

شعبنا العزيـز :

لقد تقررت الهدنة مرة ثانية بضغط من مجلس الامن ، والدعـوة قائمة ، والهدنة هدنة تنتهي على أحد وجهين : أما استئناف القتال أو الحل الحق المرضي ، وليست الهدنة المقبولة جاءت عفوا ، ولكن جاءت تحت الضغط الدولي العام ·

انني أقدم شكري لك في موقفك من هذه المحنة التي لست أنت ولا حكومتك ولا ملكك بالمسؤول عنها · لقد قذفت أيها الشعب الكريم بكـل قواتك ومناضليك وهم أفلاذ أكبادك الى ميدان الشرف فقمت بالواجب ورفعت الاذى عن أهم بقع البلاد المقدسة · ولقد ثبت جيشك في مراكـزه التي كانت بيده في الهدنة الاولى والهدنة الاخيرة · ولا بد لكل بداية مـن نهاية · واننا لنأمل انه اذا استؤنفت الحرب أن تخوض الامم الشقيقـة غمارها ، بأن تقدم جميع أسبابها الفعالة وقواتها المعدة لتنتهي الحرب بسرعـة وظفـر ·

وبتاريخ ١٩٤٨/٩/١٧ اغتال اليهود الكونت برنادوت مندوب هيئة الامم المتحدة لانه حاول انصاف العرب في بعض مطالبهم ·

وفي ١٩٤٨/١٠/١ تألفت حكومة عموم فلسطين في غزة دون موافقة جلالة الملك ·

ويوم ١٩٤٨/١٠/١٤ بدأ اليهود هجومهم على مواقع المصريين واستولوا على أسدود والمجدل وعراق سويدان وبلغوا بلدة رفح ، وطوقوا القـوات المرابطة في الفاوجة وبيت جبرين · ثم احتلوا عصلوج وبئر السبع ·

وفي ٢٢ كانون الاول احتلوا بعض أجزاء النقب ·

وفي ١٩٤٩/٢/٢٤ تم عقد هدنة دائمة بين مصر ولبنان وسوريـة والاردن من جهة واسرائيل من جهة أخرى باشراف الدكتور بانش ·

دور الاردن فى المعركة

وقبل بدء القتال بصورة رسمية عقد جلالته مؤتمرا صحفيا في ١٩٤٨/٤/٢٧ أعلن فيه ما يلي :

قبل الالتجاء الى الوسائل الحربية حاولنا بمختلف الوسائل والطرق اقرار السلام في فلسطين لكن هذه المحاولات فشلت رغمجهودنا المتواضعة ، ولم يعد أمامنا الا الطرق الحربية فان اليهود انتهزوا الفرصة لمهاجمة المدن العربية الوادعة كما حدث في طبريا وحيفا ويافا وهذا وحده كاف لحمل الدول العربية على ارسال جيوشها ٠ وانني اعتقد أنه لا توجد دولة عربية واحدة قادرة على كبح رغبة الشعب في انقاذ فلسطين ٠ وهناك ٣٠٠٠ طالب في بيروت قد اعلنوا الصيام حتى الموت اذا لم ترسل الدول العربية جيوشها لانقاذ فلسطين في الحال ٠ وان شرق الاردن ليست عضوا في هيئة الامم ولا يعنيني التعليق على ما يقال في تلك الهيئة ، ولا يوجد في فلسطين ما يمكن ان يسمى حربا ، ولكنه طغيان اثيم ٠ وقد نصحت اليهود بالاكتفاء بالحياة العادية في ظل العرب وانا ملك عربي لدولة عربية جيشها عربي ، وسأعمل ما اراه مناسبا ٠ ان العرب كانوا ينتظرون من هيئة الامم ان تعمل فخابت الاماني في تلك الهيئة وانا اضع نفسي تحت تصرف الفلسطينيين وان اعمل ما يريدون ٠ وسئل جلالته عما اذا كان الجيش العربي وحده قادرا على انقاذ فلسطين ، فقال جلالته أن الجيش العربي قادر على أن يضحي بنفسه في سبيل فلسطين ، وسئل عن قبول الهدنه فقال اننا نقبلها بشروط أهمها اعادة الامور في طبريا وحيفا وغيرها ، وعلى اليهود أن ينزلوا على رغبتي ويعيشوا في فلسطين العربية ٠

بيان الى الشعب اليهودي

ولقد وجه جلالته الى الشعب اليهودي في فلسطين بتاريخ ١٩٤٨/٥/٧ بيانا هاما يحذرهم فيه وينذرهم وينصحهم هذا نصه :
الى الطائفة اليهودية في فلسطين :

أيتها الطائفة ، اننا لا نريد بكم شرا ، ولقد أسأتم الينا ٠ أيها الزعماء اليهود ، لقد عرضتم جميع فلسطين بظلمكم الى اشد المحن والتجارب ٠ الهون الهون فمن طمع بالكثير أضاع القليل ٠ الا لا يغرنكم

ما فعلتم بأسلحتكم واهل البلاد من العرب لا يملكون بعض ما تملكـــون وان الذي فعلتموه في المدة الباقية من الانتداب وتحت ظله لم يكسبكم شيئا سوى البغضاء · ولم يمنع العرب من التقدم الا امر واحد هو رغبتهم في السلم والرأفة وعدم الفساد في الارض ·

ان الذي أفسدتم في فلسطين في عهد الانتداب قد قوبل بالمثل ففسد ما كان صالحا ، واما العرب الذين لا يرغبون الا السلم ما كانوا ليعتدوا عليكم الا لبغيكم وقد تكون هناك مضاعفات قد تجر الى مشاكل سياسية وربما الى حرب عالمية اخرى ·

أيها الشعب اليهودي : سيكون على العرب بعد انقضاء مدة الانتداب وظيفة وواجب هما تأمين الاستقرار في فلسطين وكف الايدي من الجهتين والمحافظة على الاراضي المقدسة والحق العربي في هذا البلد ، وان هذا الواجب وتلك الوظيفة القاهما الشعب العربي على عاتق حكوماته فمن كف واعتصم بقريته واستأمن أمن ، ومن اعتدى بعد ذلك حق عليه العقاب · والى الهاغاناه او ما الى ذلك من اسماء اوجه القول بأن الشوط طويل وان العـرب كثـير ، وانكم قد تماديتم كثيرا مع ان العرب قد قبلوا جميعا ان يمنحوكم حـــق المواطنين في فلسطين وانشاء ادارة حرة لكم في المناطق التي ليس فيهـــا غيركم ، على أن تكونوا في الدولة الفلسطينية ، لكم ما للعربي وعليكـــم ما عليهم ، نقول هذا مستشهدين الله عليكم ملقين التبعة والمسؤوليـــة عليكم ، ان انتم ابيتم الا الشقاق ، والعالم ان كانت فيه بقية من عهـد فسوف يرى انكم ترفضون خيركم وتمشون في شركم ، والسلام على من اتبـــع الهـــدى ·

انا فداء فلسطين والعرب

وأمام ناظري الآن وصف لاحدى الجلسات الملكية التي كانت تعقد في قصر رغدان وقد دونت وصف هذه الجلسة في مذكراتي وحضرها بعض الشخصيات الاردنية والعراقية والفلسطينية والاستاذ عبد الله النجار الشاعر المعروف وممثل لبنان في الاردن وقد استهلها جلالته بالحديث عن العدوان اليهودي وموقف العرب من فلسطين وذلك يوم ٢٦ أيار ١٩٤٨ قال جلالته : ـ

« نحن لانضمر حقـدا لاحـد ، ولا نناصب العدوان أحدا ، ولـكن

شرذمة من ــ الارهابيين اليهود تمادت في غيها ، فأصبح لزاما علينا ان ننقذ أبناءنا واخواننا في فلسطين من شرورها ، وأنا وما أملك فدى فلسطين والعرب ، فعبد الله الذي شب وشاب في خدمة الله والعروبة لن يتلكأ أبدا عن التضحية بالنفس والنفيس في سبيل فلسطين لا سيما ولم يعد بينه وبين جوار ربه سوى خطوات • لقد قلنا للعرب ان يجمعوا كلمتهم وأن يتحدوا وأن يسيروا صفا متراصا حتى اذا أحاق بهم ما أحاق جاءوا الينا ، فلم نتردد في الحفاوة بهم على الرغم من جميع التهم التي كانوا يلصقونها بنا جزافا سامحهم الله ، ويتقولون عنا مختلف الاقاويل فالحكمة كانت دائما رائدنا وخير العرب كان دائما هدفنا ونحن أكبر من أن نؤخذ بالعواطف الساذجة التي كان يتصف بها من يحسب نفسه أشد منا اخلاصا للعرب في حاضرهم وحاضرهم » •

وصفق جلالة الملك بيديه وقال « طوفوا علينا بعصير البرتقال » ثم قال أحد الحاضرين ان صاحب الجلالة حول قصره في اربد الى مستشفى لاستقبال الجرحى من المجاهدين الابطال فأجاب جلالته بتواضع جم « القصور وما نملك نضحي بها في سبيل العرب والعروبة » •

ثم طلب جلالته كوب ماء ولكن الكوب لم يقدم اليه حتى جاءت أكواب من عصير البرتقال فضحك جلالته وقال « الماء قسمتي وأنا راض بها » ثم قدم بيده الشريفة كوب عصيره الى ممثل لبنان الاستاذ نجار فكانت لفتة لها معناها ومغزاها •

وانطلق صوت المؤذن يدعو الى صلاة المغرب فقال لجلسائه « حان وقت الصلاة » فنهض ونهض الجميع لاداء الفريضة ، ولم يكد يستقر المقام بجلالته حتى استأنف الحديث حول فلسطين وأثنى على جهود الرئيس رياض الصلح وأطرى اخلاصه ووطنيته وقال ان دولته ودولة جميل مردم بك اقراه على كل ما قال في اجتماع عمان ، فالهيئة العربية العليا ، يجب أن تحل ، والكلمة اليوم للجامعة العربية ، فماذا ينتظران لحلها ، وقد حللتها أنا على ضوء هذه الجلسة التاريخية ، يجب ان نتفاءل كلنا لنكون لفلسطين فحسب •

وهنا انبرى السيد فوزي الملقي وقال لجلالته ، ان وزير شرق الاردن في بيروت اتصل بنا صباح هذا النهار وأخبرنا ان أحد أقطاب الهيهئة العليا زاره وأعلن انفصاله عن الهيئة •• فقال رحمه الله : ــ أعان الله العرب على مجابهة الاخطار الداهمة •

الوحـــدة المثاليـــة

وعقب الهدنة الثانية كانت وحدات الجيش الاردني ترابط في جزء هام من فلسطين ، وتسيطر على الضفة الغربية بكاملها ولا سيما مدن القدس وبيت لحم والخليل وأريحا ورام الله ونابلس وجنين وطول كرم وقلقيلية ، وقد أمر الملك بتعيين الحكام العسكريين في المقاطعات التي كان يسيطر عليها الجيش • وفي ١٩٤٩/٣/٦ أمر جلالته بالغاء مهام الحكام العسكريين واسناد أعمال الادارة الى المدنيين •

وفي غضون هذه الفترة كان زعماء فلسطين على اختلاف ميولهم ونزعاتهم (باستثناء نفر معين) يترددون على المقر العالي ، ويبحثون مع الملك في مصير بلادهم ، والوسائل العملية التي يجب الاعتماد عليها للحفاظ على تلك البقعة الباقية من الوطن السليب ، وصيانة مقدساتها ، وكان هؤلاء الزعماء يمثلون الكثرة الساحقة من أبناء الشعب الفلسطيني ، فكان الملك يستمع الى آرائهم ووجهات نظرهم بعناية بالغة وعطف شامل •

وفي مستهل شهر كانون الاول ١٩٤٨ عقد هؤلاء الزعماء مؤتمرا في اريحا واتخذوا قرارات هامة تتعلق بوحدة فلسطين وضمها الى شرقي الاردن ومبايعة الملك عبد الله ملكا على فلسطين كلها وتحية جيشه الباسل وارجاع اللاجئين والمطالبة بوضع نظام لانتخاب ممثلين شرعيين •

وفي اليوم الثالث عشر من الشهر المذكور اجتمع مجلس النواب الاردني وأيد مقررات مؤتمر اريحا • ثم عقدت مؤتمرات أخرى في مدن أخرى من فلسطين لاقرار مقررات اريحا •

وقد بادر جلالته الى حل مجلس النواب الاردني تمهيدا لاجراء انتخابات جديدة تشمل الضفتين • وفي ١٩٥٠/٤/٢٠ تم تشكيل مجلس النواب من ممثلين عن الضفتين كما أمر جلالته مجلس الاعيان وتأليفه ثانية من أعضاء جدد يمثلون الضفتين . وفي ١٩٥٠/٤/٢٢ تألفت وزارة جديدة تضم وزراء اردنيين وفلسطينيين •

وفي ٢٤ منه عقد مجلس الامة الاردني الجديد جلسته الاولى وألقى فيه خطاب العرش الذي يعلن : «**ان وحدة الضفتين حقيقة قومية وواقعية ، وهذا واضح في تشابك الاصول والفروع والتحام المصالح الحيوية ، ووحدة الآلام والآمال**» .

ثم قرر مجلس الامة بالاجماع تأييد مشروع الوحدة التامة بين ضفتي الاردن الشرقية والغربية واجتماعهما في دولة واحدة هي (المملكة الاردنية الهاشمية) وعلى رأسها جلالة الملك عبدالله بن الحسين على أساس الحكم النيابي الدستوري والتساوي في الحقوق والواجبات وقد اعترفت حكومة العراق بهذه الوحدة كما اعترفت الحكومة البريطانية في ٢٧ من الشهر المذكور وأعلنت في اعترافها بأن معاهدة التحالف المعقودة مع الاردن تعتبر سارية المفعول وشاملة لهذا الجزء الجديد وبمناسبة اعلان هذه الوحدة صدر قانون خاص باعلان العفو العام ، وتشكلت لجنة من رجال القانون لتوحيد القوانين المعمول بها في الضفتين ·

وأخذ رجال العمل الفلسطينيون من تجار وارباب المهن والحرف وأصحاب الصناعات يفدون تباعا الى العاصمة ومختلف المدن الواقعة في الضفة الشرقية ، ويمارسون أعمالهم وهم يتمتعون بكامل الحقوق التي يتمتع بها اخوانهم السابقون ، كما منحت اليهم والى جميع الفلسطينيين المقيمين في الضفتين الجنسية الاردنية ، وبدأت الوزارات والدوائر الرسمية وشبه الرسمية تعيد النظر في أجهزتها وتعيين الموظفين الفلسطينيين حسب مؤهلاتهم وكفاءاتهم ·

ويمكن اعتبار هذه الوحدة التي كان يرعاها جلالته بعطفه وتأييده نموذجا حيا تصلح أن تكون مثالا عمليا صالحا لاية وحدة تقوم بين قطرين عربيين آخرين ·

بين كلوب وعزام

وأرى لزاما علي في هذه المناسبة ، وقد تضاربت الاقوال في أسباب هزيمة الجيوش العربية في معركة فلسطين الاولى والثانية ، أن أميط اللثام عن سر احتفظت به حتى الآن ، واكتفيت بتدوينه في مذكراتي ، وهذا السر يوضح لنا خطل السياسة الارتجالية العاطفية التي كانت تعالج بها الدول العربية مشكلة فلسطين ، وما ارتكبته من أخطاء في اقحام جيوشها في حومة الوغى دون التثبت من معرفة قوى العدو وامكاناته واستعداداته ·

ففي صيف عام ١٩٤٨ وفي غضون المعارك الضارية التي استعر أوارها على أرض فلسطين قدم الى عمان وفد صحفي لبناني كان في عداد

أعضائه الاستاذان محي الدين النصولي صاحب جريدة بيروت وغسان التويني صاحب جريدة النهار وهما من أمهات الصحف اللبنانية ، وبعد أن زار هذا الوفد جلالة الملك عبد الله وأعرب عن اعجابه بموقف البطولة الذي وقفه جلالته وجيشه الباسل في اشتباكه مع اليهود ، وتهنئته على الانتصارات الباهرة التي أحرزها في فلسطين ، وبعد أن استمع الوفد الى آراء جلالته في الوضع العسكري والسياسي ، طلب أعضاء الوفد أن أرافقهم في زيارة خاصة للفريق كلوب باشا رئيس أركان الجيش الاردني ، وقد استقبلنا في مقر القيادة العامة في الساعة الثانية بعد الظهر وأفضى بتصريحات خطيرة حول وضع الجيش الاردني والجيوش العربية الاخرى ، وأسباب الهزيمة التي لحقت بهذه الجيوش ، وقص علينا القصة التالية وأصر على عدم اذاعتها ونشرها في الصحف لانها تعتبر من قبيل الاسرار ·

قال القائد البريطاني الذي يتولى قيادة الجيش الاردني :

انني اعترف قبل كل شيء بأنني من أصل بريطاني وتهمني كثيرا مصلحة بلادي ولكنني في الوقت نفسه أحب العرب وأكره اليهود ويهمني كثيرا أن أحافظ على سلامة هذا الجيش الذي عملت سنين طويلة في سبيل اعداده وتنظيمه وتدريبه ··

فقد اتفق عندما عقد رؤساء الدول العربية وقادة جيوشها مؤتمرهم التاريخي في عمان بعد أن أعلنت الحكومة البريطانية عزمها على الانسحاب من فلسطين ، وتخليها عن مهمة الانتداب ، وقبل أن يتخذ المثلون السياسيون والعسكريون العرب قرارهم بشأن اعلان الحرب على اليهود — انني طلبت من القائم بأعمال السفارة المصرية في عمان أن يمهد لي في مقابلة خاصة مع السيد عبد الرحمن عزام بوصفه أمينا لجامعة الدول العربية ، وباعتباره أشد زعماء العرب حماسة للحرب ، وقابلت فعلا السيد عزام في دار السفارة المذكورة ، وقد بدأت حديثي معه بقولي :

انني أعترف بأنني بريطاني ، وأنه لا يحق لي من هذه الناحية أن أخوض معكم في أي حديث يتعلق بشؤونكم الخاصة ، وقضاياكم القومية ، ومصير بلادكم ، وانني أعرف جيدا بأنكم تكرهون الانكليز وتعتبرونهم مسؤولين في الدرجة الاولى عن وعد بلفور وانشاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين ، كما تحملونهم تبعة كل ما نجم وينجم من نتائج أضرت بمصالح العرب ، وأدت الى العبث بحقوقهم والاساءة الى مشاعرهم ··

ولكنني أود من صميم قلبي أن ينتصر العرب في المعركة وينهزم اليهود ، كما أهفو الى بقاء فلسطين عربية الى الابد ، كما انني لا أقر سياسة حكومتي في تأييد الصهيونية ومؤازرة اليهود ... أقول ذلك بدون أية مواربة أو مجاملة .. ثم سرد القائد البريطاني عدة حوادث تؤيد دعواه في شد أزر العرب ومناوأة اليهود ..

واستطرد قائلا : بيد أن هذه الحقائق التي أوردتها أيها الاخ (مخاطبا السيد عزام) لا تحول دون ابداء رأيي في الاجراءات التي ستتخذها الدول العربية في فلسطين ولا سيما من الناحية العسكرية ، لان الجيش الذي أتولى قيادته سيساهم في تلك الاجراءات ..

فهل لي أن أسألكم أولا ما هي المعلومات التي حصلت عليها جامعتكم (يقصد الجامعة العربية) وحكوماتكم عن قوى العدو وامكاناته وتجهيزاته ، وما يمتلكه من أسلحة وأعتدة ؟

قال كلوب باشا : وقد أجابني عزام باشا قائلا ، انني أشكركم على عواطفكم ، واعترف لكم بأن الجامعة لم تنشىء حتى الآن مكتبا خاصا لجمع المعلومات عن العدو ونحن عاملون على تحقيق هذه الفكرة قريبا ، ولكن لا بد من مصارحتكم (الخطاب لكلوب) بأن تفكير السياسيين يختلف كثيرا عن تفكير العسكريين ، وتقديرات هؤلاء تختلف عن أولئك ، فأنا كرجل سياسي أود أن أطمئنكم بأنني أشرف على مفرزة مسلحة تضم بعض المتطوعين الليبيين والسودانيين ، هي وحدها كافية لقذف اليهود الى البحر في غضون بضع وعشرين ساعة فأجابه كلوب : أرجو أن تسمحوا لي اذن أن أزودكم على الاقل بالمعلومات الحقيقية التي حصل عليها الجيش الاردني عن قوات اليهود ومدى استعداداتهم العسكرية ، وعدد أفراد المنظمات التي هيؤها لمجابهة العرب في هذه الحرب ، وهذه المعلومات ستفيدكم اذا ما قررتم اعلان الحرب وعليكم أن تقارنوا بينها وبين ما تملكه الجيوش العربية من أسلحة ومعدات ومحاربين .

وما كاد السيد عزام يطلع على الارقام الرهيبة عن الاسلحة والوحدات الميكانيكية والجنود المدربين الموجودة لدى اليهود حتى رفع رأسه منذهلا وقال : والله ما كنا نعتقد أنهم يملكون مثل هذه القوى والامكانات الهائلة والعدد الجسيم من المحاربين ، وعلى كل فان ذلك لن يثنينا عن عزمنا في خوض المعركة ، واعلان الحرب ، فان لنا من قوة ايماننا ، ومضاء عزائمنا ما يمكننا من دحر العدو المعروف بالجبن والخور في وقت قصير .

قال الفريق كلوب : ولما سمعت تعليق عزام باشا تأكدت بأن المعركة وشيكة الوقوع ، وان الحرب آتية لا بد منها ، وان عواطف السياسيين تطغى على آراء العسكريين فرأيت أن أنهي الحديث واستأذن وأنا أشد على يد السيد عزام وأخاطبه قائلا : انني أتمنى لكم كل توفيق ونجاح في هذه الحرب الضروس • ثم ودعته وانصرفت •

ومن هذه القصة يتبين أن استعدادات الدول العربية لهذه الحرب لم تكن كاملة ووسائل الاعلام لم تكن كافية • ولا غرو فان معظم هذه الدول كان قد تحرر حديثا من نفوذ الاجنبي أو كان في طريق التحرر •

موقف الملك في هذه الحرب

ولعل في التقرير الضافي الذي نشره احد السياسيين العرب عن هذه الحرب وقد شارك عمليا في بعض معاركها ، والاسرار التي اذاعها عن ملابساتها ، ما يلقي بعض الاضواء على ما اكتنف هذه الحرب من غموض وتخبط مما اطلق السنة الكثيرين في خلق الاشاعات ، وتحريف الحقائق ، والانسياق مع تيار الدعايات والتقولات ، قال السياسي المناضل ما يلي في تقريره وبياناته :

ان الحقائق المؤلمة التي سردتها عن الحرب والهدنة كانت واضحة كل الوضوح للمرحوم الملك عبدالله • وكذلك حقائق التفوق العسكري للعدو وانهيار الجزء الاكبر من المقاومة العربية • ان الحقائق والنتائج المؤلمة هذه كان الملك عبدالله قد توقعها وتنبأ بها وحذر قومه منها بشجاعة وتجرد مع علمه انه يعرض نفسه لنقدهم وتهجمهم وحتى استهزائهم • ووجد الملك عبدالله نفسه وهو يحمل عبء ما تبقى من أرض فلسطين ومئات الالوف من النازحين الفلسطينيين • كانت قوته العسكرية قليلة ومحدودة وموارده ضئيلة لا تكفي • أما الامل بأية نجدة عربية او عون عربي فقد كان أملا لا يركن اليه بعد ان انصرفت كل دولة عربية الى تضميد جراحها • وكذلك لم يكن في الوضع الدولي سند يمكن ان يستند اليه • كان الوضع ، كما رآه هو ، وكان عارفا بالاحوال أكثر من غيره ، وضعا بائسا لا يبشر بالخير • ولم يكن الملك عبدالله يتكتم في خططه هذه بل كان يناقشها علنا ويسأل عما اذا كانت خطواته في هذا السبيل خطأ أم صوابا • وفي نفس الوقت أخذ يسعى حثيثا لتوحيد ما تبقى من فلسطين مع المملكة الاردنية الهاشمية ، مستهدفا ان تشمل المعاهدة البريطانية الجزء الباقي من

فلسطين لحمايته من اطماع الصهيونية ٠ هكذا كان اجتهاده وكان علنيا ولم يخفه على أحد ٠ من السهل الان وبعد ثمانية عشر عاما على النكبة ان ينتقد ذلك الاجتهاد بعدما تغيرت الظروف والاحوال ٠ لكن من العدل والانصاف للتاريخ ان ننقل انفسنا الى الوضع الضعيف الحرج الذي كانت البـــلاد العربية تعاني منه عند نهاية حرب فلسطين ٠ في تلك الايام خطأ كثـــيرون المرحوم الملك عبدالله على اجتهاده لكن الذين خطأوه لم يكونوا يعرفون مـا كان يعرف ٠ لقد اجتهد مدفوعا بمعرفته ٠ ومن المحتمل ان يكون مخطئـــا أما أن يفسر اجتهاده بأنه تفريط فتفسير لا يذهب اليـه الاكلمكابـــر ٠ والحقيقة التي لا يمكن نكرانها ان حصيلة سياسة عبدالله بن الحسين بكل حسناتها وبكل أخطائها ، هي هذا الكيان الاردني العزيز الذي حولناه الى قاعدة انطلاق لجولة ثانية بعون الله ٠

قضية اللد والرملة

وقال السياسي المذكور في حديثه عن سقوط اللد والرملة بايدي اليهود ومسؤولية الملك والجيش ما يلي :

ان قضية اللد والرملة والاتهامات التي راجت بأن الجيش الاردنـــي سلمها للعدو ، قضية معروفة ٠ فعندما هاجم العدو اللد والرملة بقـــوات كبيرة تشتمل على عناصر مدرعة لم يكن لدى الجيش الاردني فيها سوى سرية غـير كاملـة العـدد ، كان الجيش الاردني في ذلك الوقت بالذات مشتبكا في أكثر من أربعين معركة ضارية في أكثر من أربعين موقعا ، وكان منتشرا بكتائبه الست التي لا يملك سواها ، على جبهـــة قتـــال تساوي الجبهات العربية مجتمعة ٠ أما القوات المعادية التي اقتحمت اللد والرملة فقد كانت مهيأة لوقف الزحف المصري الذي كان مفروضا أن يتجه نحو يافا وتل ابيب والذي لم يستطع أن يخترق اسدود وكان من نتيجة ذلك ان تجمدت جميع الجيوش العربية في وضع دفاعي ٠ وعندما ادركت القيادة اليهودية ان الجيش المصري عاجز عن التقدم وانه لم يتحرك فـــور انتهاء الهدنة ، تحولت بقواتها الى اللد والرملة ، على اعتبار انها هدف سهل بسبب طوبوغرافيتها السهلية وقربها من القاعدة العسكرية الرئيسية للعدو في صرفنـــد ٠

وضع الجيوش العربية في هذه الحرب

بين ١٠ ــ ١٣ تشرين الثاني ١٩٤٨ اثنـاء الهدنة الثانية ، انعقد

مؤتمر القاهرة وحضره فضلا عن رؤساء الحكومات العربية انذاك ، رؤساء أركان الجيوش العربية وهم : الزعيم حسني الزعيم عن الجيش السوري ، اللواء فؤاد شهاب عن الجيش اللبناني ، المقدم أحمد صدقي الجندي عن الجيش الاردني ، اللواء اسماعيل صفوت عن الجيش العراقي ، وقد رفعوا تقريرا مفصلا الى اللجنة السياسية للجامعة العربية فندوا فيه أوضاع الجيوش العربية على جبهات القتال ، والتقرير مؤرخ في ١١ تشرين الثاني ١٩٤٨ ، ومما جاء فيه :

أ ـ اليهود يتفوقون على القوات العربية من حيث العدد ٠

ب ـ اليهود يتفوقون على القوات العربية من حيث السلاح بجميع انواعه ما خلا مدفعية الميدان لكن القوات العربية مفتقرة الى ذخيرة لهذه المدفعية ٠

جـ ـ القوات الجوية العربية ولا سيما المصرية ، كانت بادىء الامر متفوقة ومسيطرة على الجو وانزلت بالعدو خسائر فادحة ولكن وصل الى العدو بعد ذلك عدد كبير من الطائرات والطيارين المدربين وبذلك انتقلت السيطرة الجوية الى يده ٠

د ـ وضع الذخيرة في الجيوش العربية خطر جدا على عكس اليهود فقد وصلتهم امدادات بالاضافة الى مصانعهم المحلية ٠

هـ ـ المستعمرات اليهودية محصنة تحصينا تاما تربطها طرق مواصلات كثيرة تمكنهم من التنقل بسرعة ٠

و ـ جميع القوات اليهودية على اختلاف انواعها تسيطر عليها قيادة واحدة بينما ليس للجيوش العربية قيادة موحدة وليس بين هذه الجيوش تعاون وثيق ٠

ز ـ اليهود متفوقون في قوتهم البحرية ٠

للاسباب المتقدمة كلها ، ولا سيما قلة السلاح ، تجد الجيوش العربية انها مضطرة الى اتخاذ خطة الدفاع في الوقت الحاضر ٠ والدفاع لا

يؤدي الى انتصار عسكري وبقاء الحال معناه خسران الحرب ٠

وعالج التقرير الاسباب الرئيسية التي أدت الى هذه النتيجة فقال : ـ

أ ـ لم تكن الجيوش العربية قبل بدء القتال مستعدة لحرب طويلة الاجـــــل ٠

ب ـ لم تستطع الدول العربية منذ بدء القتال حتى الان ان تحشد قوات كافية للتغلب على العدو ٠ ولم يكن باستطاعتها الحصول على السلاح والعتاد لرد الخطر المفروض عليها والذي لم يطبق بصورة فعلية الا عليها ٠

جـ ـ الدول العربية لم تستخدم جميع مواردها لاغراض الحرب ٠

د ـ لم تؤلف قيادة موحدة ٠

هـ ـ لم تستطع الحكومات العربية الاستفادة من الهدنتين الاولــى والثانية لاكمال نواقصها ٠ على النقيض من اليهود الذين لم يضيعوا دقيقة واحدة الا استغلوها ٠

والمهم في هذا التقرير أنه ينطبق على ملاحظات اللجنة البرلمانية العراقية ويؤكد ما سبق أن أوضحه وحذر من عواقبه الملك عبد الله[١] .

أخواننا الشجعان ! !

وحسب الملك عبدالله فخرا أنه فتح أبواب بلاده لجميع اللاجئين ، بلا قيد ولا شرط ، وأمر بأن تقام لهم المعسكرات والمخيمات ، وأن تتهيأ لهــم وسائل العمل ، وتضمن لهم أسباب الرزق ، وكان يغمرهم بعطفه وحنانه ، ويتفقد شؤونهم بين الفينة والفينة ٠ وتتجلى هذه المشاعر النبيلة في كلمــة ألقاها أمــام الجماهير التي احتشدت أمــام قصــر رغدان في ١٩٤٨/٥/٢ فقــد قــال :

« نحن لم نغفل أي شيء نشكر عليه والموقف اليوم يحفز على الصبــر متكلين على الله مقدرين للعدل والوصول الى الحق قبل كل شيء بعـــد الاعتماد على الله وعلى الشعب واذا تقدمت بشيء فانما فعلت ذلك بعد ان شعرت ان الشعب يريد ذلك ، هذه ارادة الله وارادة الشعب وأنا اشكركم .

---

١ ـ كتاب دور الخلق والعقل في معركه التحرير

الشوط بعيد والموقف رهيب لا بالنسبة لليهود وانما بالنسبة لمن هم وراء اليهود ، وأنا معكم حتى تقولوا قنعنا ويقول أهل فلسطين رضينا ، فمن لحق بربه فهي حسنى ومن بقي الى حين الظفر فذلك حظه وهي احدى الحسنيين ٠

اني أريد منكم ان تساعدوا اللاجئين وان تواسوهم وتأووهم فهم أخوان شجعان ، وهم بنظري على عذر واضح لانهم أخذوا على حين غرة وهم على غير استعداد وسلاح وأنتم فئتهم التي يفيئون اليها ٠ وبعد فانا نسأل الله لفلسطين النجاة ولجهادنا حسن القبول » ٠

عود على بدء

لقد ذكرت في مستهل هذا البحث وتحت عنوان (بين كلوب وعزام) ما دار بين كلوب باشا وامين الجامعة العربية من احاديث حول الاستعدادات العسكرية لدى اليهود ٠ وفي مذكرات كلوب التي صدرت باسم (جندي مع العرب) ما يؤيد هذه الاحاديث فقد قال القائد البريطاني :

قبل انسحاب القوات البريطانية من فلسطين ، عقدت في الاردن عدة اجتماعات على صعيد رفيع بين رجالات العرب ، وقد قدر لي أن أحضر اجتماعين من هذه الاجتماعات التي حضرها الامين العام لجامعة الدول العربية ، عبد الرحمن عزام باشا قطب الرحى ، وفي أحد هذين الاجتماعين سألني عزام باشا ، عن عدد قوات الجيش العربي ، فقلت له : ان هذه القوات تبلغ أربعة آلاف وخمسمائة من جميع الرتب ، ويبدو ان عزام باشا لم يكن راضيا عن هذا العدد ، فسألني ثانية عن عدد القوات اليهودية ، فقلت ان القوات اليهودية النظامية تبلغ نحو من ٦٥ ألفا ، بينما عدد غير النظاميين أكثر من ذلك ، فدهش عزام باشا ، وهز رأسه قائلا : « لا شك أن الامور ستسير في مجراها المرسوم ، وأرجو ان تكون مطمئنا ، لقد تمكنت من جمع سبعمائة مقاتل من ليبيا ؟ فأجبت الامين ان هذه القوات ضئيلة جدا ، وارجو ان يكون لديها السلاح الكافي ، فقال اطمئن لقد بعثت من يبتاع لهم سبعمائة بندقية من ايطاليا ، وهنا تشعب الحديث الى قوات الجيش السوري ، فقلت لعزام باشا : ان الجيش السوري ما زال حديث العهد ، ولست اعتقد ان تدريبه أصبح على مستوى عال ٠ قال الباشا : ان الجيش السوري مع حداثة عهده يتمتع بحماس وروح

معنوية عالية • ولشدما عجبت لحديث الباشا عندما طلب الي أن أكون قائدا عاما لجميع الجيوش العربية ، عندئذ لم اتمالك من الضحك وقلت له : شكرا سيدي انني في الواقع عاجز عن قيادة الجيش العربي ، فكيف بي أقود الجيوش العربية جميعها • لقد تمالكني شعور غريب ، ورحت أبحث عن السر الكامن وراء هذا التكليف !

قـوات العـدو

وفى مناسبة أخرى قال الفريق كلوب في مذكراته :

قلت ان قواتنا مؤلفة من أربعة آلاف وخمسمائة جندى ، وضد هـذه القوات كانت القوات اليهودية تملك كما قلت خمسين وستين الفا مـن بينها فرقة مؤلفة من أربعة آلاف يودى تم تدريبها تحت اشراف الجيش البريطانى ، وكانت هذه الفرقة قد أنهت تدريبها فى أواخر الحرب الكونية الثانية ، وكانت على مستوى رفيع من النظام والانضباط لان الحكومـة البريطانية كانت قد اعدت هذه الفرقة لاستخدامها فى المعارك الناشـبة فى أوروبا • بينما قسم آخر من هذهالقوات قد تدرب تحـت اشراف البريطانيين او الامريكيين أو سواهم • كما ان بعض الاحتياط من القوات اليهودية كان قد تدرب على أيدى القوات الروسـية والبولونيـة • ومجمل عدد هذه القوات الاحتياطية كان نحوا من عشرين الفـا • وفى سنة ١٩٤١ عندما كان يبدو أن فى نية الالمـان احتلال فلسطين ، أخذت القوات البريطانية المرابطة فى البلاد على عاتقها تدريب عدد وفـير من اليهود لمقاومة الالمان ، هذا العدد الذى ظل فى البلاد واشترك فى المعارك الاخيرة •

ليلـــة الـــوداع

انا لست بالآسف على شيء لانني واثق بانني لم اترك فرصة تعزز قومي وتدنيني من رضاء ربي في جميع تبعاتـــي الا انتهزتها لخير هذه البلاد .

« عبدالله بن الحسين »

في ليلة من ليالى العشر الاخير من شهر رمضان المبارك عام ١٩٥١ تشرفت بزيارة جلالة الملك الراحل مستأذنا بالسفر الى لبنان لقضـــاء عطلة العيد ومعالجة عائلتي المريضة ، فتفضل جلالته وأمرني بالجلوس فأنتظمت في تلك الحلقة الملكية التي كانت تضم بعض الوزراء ورجـــال الحاشية والامير خالد الشهابي سفير لبنان في الاردن(١) .

وكان جلالته فى تلك اليلة كعادته بطل الحلقة وفارس الحلبـة ، فقد كان يتحدث الينا وهو مشرق الوجه ، مبرق الاسارير ، عن شؤون الساعة ، وقضايا الدول ، ومشاكل العالم ، وموقف الشعوب العربيـة والاسلامية من هذه القضايا والشؤون ، وما يترتب عليها من واجبـــات ازاء ذلك الصراع القائم ، وظللنا نسمر فى حضرة جلالته الى ساعة متأخرة من الليل ونحن مأخوذون بسحر تلك الاحاديث الجليلة ، ولم يعكـر صفو تلك الجلسة التاريخية الممتعة سوى عبارة واحدة جاءت على لسان جلالته عفوا فأثارت الهواجس ، وأقضت المضاجع ، وبلبلت الافكار فقـد قال (رحمه الله) أننى لاشعر يا أخوانى بدنو أجلي وقرب انطفـــاء سراج حياتي « ثم صمت » فقلت لجلالته : أمد الله في حياتك يا سيدنـا فصحتك على خيرما يرام ، فأجابنى رحمه الله ، وعلامات الاسى العميـق ترتسم على أسارير وجهه : الآجال بيد الله يا تيسير ، وكل نفس ذائقة الموت ، ومن يدري فقد أموت فجأة أو أقتل غيلة (كذا بالحرف الواحد) .

ثم استطرد قائلا : ان من واجبى أيها الاخوان أن أعد للأمر عدته وأهيء للبلاد ما تحتاج اليه من وسائل الطمأنينة والاستقرار ، ولا أريد أن تجابهوا أية صعوبات من بعدى (وقد وجه حديثه الى بعض المسؤولين) .

---

١ ـ لقد تحدث المرحوم هزاع المجالي عن هــذه الجلسة التاريخية في مذكراته باسهاب ولا سيما حول موضوع ولاية العهد .

وهنا تفضل بتوجيـــــه بعض الارشادات لتنسيق الامور وتنظيم الاعمال ٠

ثم نهض القوم ونهضت معهم وأستأذنت جلالته بالسفر الى سورية ولبنان لمعالجة العائلة فقال (رحمه الله) الا يمكنك أن تعالجها فى عمان فلدينا من الأطباء الأكفاء ما يغنيك عن الاستعانة بأطباء آخرين ، ثم أضاف قائلا : وفوق ذلك فهناك أمور تستدعى وجودك فان صديقك رياض الصلح سيكون بين ظهرانينا بعد أيام قلائل واعتقد انه يسرك أن تلتقى معه وتزود جريدتك بما قد يطرأ (كذا بالحرف) ، فقلت يا سيدى أمركم مطاع وسأوصل العائلة الى لبنان حالا ثم أعود الى عمان فودعني وهو يقول : (على بركة الله) ، وما كان يدور بخلدي قط أن هذه هي آخر عبارة اسمعها من فيه ، وأن هذه الجلسة هي آخر جلسة أسعد فيها بأجتلاء طلعة الفقيد ، وأن تلك الليلة كانت ليلة الوداع ٠

وتوجهت الى بيروت ونفسي طافحة بالالم الدفين والقلق البالـغ ، وحالت الظروف القاهرة دون عودتى ٠ وتلقينا النبأ الصادع بأغتيال المرحوم رياض الصلح بوجوم فأخذت تنتابنى الهواجس فقررت العودة الى عمان مهما كلفنى الامر ، وكان يوم جمعة ، وقبل وصولنا الى درعــا وفى قرية الشيخ مسكين شاهدنا رتلا من السيارات واقفة وقد فتح الجميع الراديوات على اذاعة عمان للاستماع الى آى الذكر الحكيم والى أنبـاء نعى الفقيد العظيم فتابعنا سيرنا الى عمان رغم جميع الصعوبات والعقبات بعد أن اضطررنا الى المبيت فى الزرقاء بسبب اعلان حالة الطوارىء ٠

ولدى وصولنا الى عمان وقفنا على تفاصيل اغتيال الفقيد وكيف انه توجه يوم الخميس في ١٩ تموز عام ١٩٥١ الى القدس حيث بات ليلة فيها ثم توجه الى رام الله ونابلس فى صباح اليوم التالى (الجمعة في ٢٠ تموز) ، وكيف عاد الى القدس لاداء صلاة الجمعة رغم النذر ، ورغم توسلات رئيس بلدية نابلس وأعيانها الى جلالتــه بالبقـــاء فى نابلس ، وكيف وصل (رحمه الله) الى المسجد الاقصى ولقى حتفه عند عتبة المسجد ؟ ٠ ٠

وبهذا الحادث الجليل الذى منى به العالمان العربى والاسلامى طويت صفحة مشرقة وضاءة فى تاريخ الاردن الحديث سجل فيها الفقيد العظيم بعصارة قلبه ، ونتاج تجاربه ، ورجاحة عقله ، وحسن توجيهه ، أطيب المآثر وأفضل المنجـزات ٠

الوحدوي الأول صقر هاشم

بقلم : المشير حابس المجالي
القائد العام للقوات
المسلحة الاردنية

الكتابة عن شخصية لمعت فى التاريخ وساهمت فى تدوين أحداثه كالملك الشهيد عبدالله بن الحسين طيب الله ثراه ليست من السهولة بمكان ، خاصة وان كان من يكتب عنه لا يدعي أنه من أرباب القلم وعلاة المنابر ، ولكنى رغم ذلك فيسعدنى أن أدون بعض ما أعرفه عن صفاته رحمه الله ، وكلها حميدة ، وعن سيرته وكلها عطرة لا تزال آثارها تملأ سمع الكيان وتلمع حروفها فى صفحات الوجود ، ولنا من آثاره الملموسة أصدق شاهد وأنصع مثال :

الزعامة الفطرية : كانت هذه الزعامة تتجلى بجلالته منذ أن تولى جمع كلمة القبائل المتناحرة المتنافرة تحت راية واحدة وهو الذى لم يكن يعيش بين هذه القبائل قبل تولى زمام السلطة عليها ، وما أصبح فى مركز هذه السلطة حتى بدأ ينفذ فكرته بالتآخى والمحبة وجمع الكلمة وقضى على كل تنافر ، وكون من الاعداء أخوة تجمعهم الكلمة وتقودهم وحدة الامل والهدف ، وأما على القيادة فهو القائد المجرب وهو رجل الحرب الذى آلى على المستعمر أن يستريح حتى طرد آخر جنوده من أرض العروبة ، وخلص أمته من حكم الترك الذى طال مقامه فى هذه البلاد ، وورث عن والده الحسين الاول الدعوة للوحدة ، وسعى في سبيل تحقيق هذه الوحدة كل مسعى ، وطرق كل سبيل ، وضحى براحته من أجل الوصول الى هذه الوحدة . وتتجلى هذه الوحدة في عناصر الجيش الذي كونه على ضفاف الاردن ليكون نواة للجيش العربي الموحد فضم بين صفوفه رجالا مخلصين من العراق وسوريا والجزيرة ومصر حتى ومن الخليج والمغرب بالاضافة الى أبناء الاردن ، ودعاهم بدعوة الاب الشفوق لكل منهم وحملهم المسئوليات واشعرهم بكل مناسبة انهم هم أمل هذه الامة ومبنى عزتها الذين سيبنى عليهم الجيش الموحد الذى سيكون له فضل الحفاظ على دنيا العروبة والاسلام قوة تستهين بقوى الارض عموما ، ذلك الجيش الذى تجلت بتكوينه عبقرية هذا القائد الفذ اذ كونه جيشا من افراد ، وجعله قوة عامة لا تعتمد على المركزية فى أرض العروبة ، ويسر له كل أسباب

التدريب وكل اسباب المنعة والقوة ليكون له ما أراد فى ايجاد قوة رادعة ذات فعالية في ميزان القوى العالمى • ومواقف هذا الجيش وفعاليته ليست ببعيدة اذ رغم قلة عدده وعدته تمكن من الاتيان بالمعجزات بفضل هذه القيادة الشريفة الحكيمة •

أما عن خلق جلالته فأننى لا ادعى اننى أعرف الناس به ، ولكن الحظ شاء لى أن الازم جلالته فترة من الوقت لم أره خلالها الا والبسمة الحانية تعلو وجهه الكريم ، كان لا يتورع رحمه الله عن الوقوف والتحدث الى أى كان ومهما كان ، لا تصرفه عزة الملك عن التحدث الى اصغر فرد ، وكان رحمه الله محبا للعلم والعلماء يجمع شتات الادباء ، ويحنو عليهم ليصل بهم الى اعلى قمم الرفعة ليتمكنوا من بناء جيل يحفظ لنا تراثنا ويوصلنا الى أرقى مراقى الحضارة • وقد كان ميالا للاجتماع بالمسنين سائلا اياهم عن كل ماض يعرفونه عن هذه الارض المقدسة حتى أقل القليل ، ورغم سعة اطلاعه كان يبدى اغتباطه بكل ما يسمع مشجعا محدثه على المضي فى السرد والقول حتى اصبح يعرف كل شبر وكل قبيلة وكل تقليد متبع في هذا البلد حتى ان ابن العشيرة نفسه كان ينسى تقاليده فيذكرها جلالته له •

أما عن مناصرته للحرية والتحرر ، وسعيه المتواصل من أجل الوحدة فتتجلى بعطفه ومناصرته للاحرار النازحين من الاقطار العربية هربا من الاستعمار ، فآواهم وقدم لهم كل عون مادى ومعنوى رغم ثبات جذور الاستعمار البريطانى بهذا البلد ، وكم من حركة كان له فضل نجاحها ، وكم من حركة لم يبخل عليها فى أى عون تحتاج اليه ، والتاريخ خير شاهد على ذلك •

وخلاصة القول فقد كان رحمه الله رجلا لا كالرجال وملكا من خيرة الآباء والرعاة لامتهم عربيا اصيلا ، كان حلمه كبيرا كبيرا لا زالت آثاره باقية ، حتى أن المفكرين بوحدة أمتنا لازالوا يستمدون منه شعاراتهم ونداءاتهم • فأستحق بذلك ان يكون وارث النهضة والداعى لها ، ومورثها ، والمؤسس لها ذلك التأسيس القوي الامين • فلروح هذا العربي المخلص والوحدوى الاول الف رحمة لما قدمه لأمتنا من خير ووفاء وهو الحريص على رفعتها • ويكفيه رحمه الله فخرا انه استشهد على الارض الطاهرة التي عز عليه فقدانها وجاهد من أجل استردادها اجمل جهاد ، وعندما بدأت

بوادر نضج هذه المساعى ، واثمار هذا الجهاد أبت يد الغدر الا ان تختطفه من بيننا • وعزاؤنا عن فقده انه ابقى لنا راعيا من صلبه يسير على خطته الحكيمة ويسعى من اجل تحقيق حلمه فى وحدة الصف العربى وايصاله الى الوحدة المنشودة •• ولهذا القائد الراعى حفيد الشهيد ووارث فكرته الف تحية مع دعائنا الى الله ان يحفظ لنا حسيننا ويؤيده بنصر من عنده •

حابس المجالى

بطـل فلسطين

غدا لا اليوم ، تؤرخ قضية فلسطين بحق وانصاف • وسيحسب انذاك من ابطالها الملك عبدالله • كانت الضفة الشرقية لا يزيد عدد سكانها على ثلث مليون ، موزع بين عشائر رحل ، وريف فقير لا تصله بالمدينة طرق معبدة • والمدينة هزيلة تنقصها الصحة والعافية والعلم ، وكانت الامارة الصغيرة أمرها بيد الانتداب ، وكان ، وكان •••

ولكن البلد الصغير ، الشحيح بموارده ، القليل بسكانه ، فعل جيشه ومليكه لفلسطين مالم تفعله الممالك الواسعة الغنية بمواردها والكثيرة بعدد سكانها •••

حمى الملك وجيشه أرضا كانت لولاه بيد الضياع وحمى الملك وجيشه القدس الشريف •

عبد الحليم عباس

تواضع وصراحـة

ورحم الله عبد الله بن الحسين فلقد تواضع فى العلم ، وهو عالم ، وتواضع فى السياسة وهو من جهابذتها المحنكين ، وما احوج العرب فى حاضرهم الراهن الى التواضع ، والى الصراحة ، وهما مادة الطبيعة العربية الأصيلـة •

القـدس **يوسف حنـا**

كيف جابه الجو الداكن

وبينما كان الشعب يرزح تحت ضغط الاتوقراطية ، وكان الامتزاج العنصرى يقوم فى المقاطعات على أساس التحول والافناء ، كان عبد الله بن

الحسين يحمل على وجهه مسحة النبوة ، وفي تفكيره نور من اصلاحها ، فنشأ تحت تاج والده غير النشأة التي ينشأها أولاد الملوك ، ونهج في حياته منهجا خاصا رأى فيه الجو العربي الداكن تتلبد فيه غيوم الفوارق بفارق النزعات والميل ، فما كان ليطمئن لتاج والده بعد أن رأى فريقا من العرب يعمل على نزع هذا التاج بالاستانة بظهر غير عربي ، وأيقن ان جهود والده الجبارة التي يصرفها لتوحيد العرب تذهب سدى في عبورها القوى ، لان القابل العربي كان غير مهيء بالاستعداد الراقي للوقوف بجانب تلك الجهود ·

عبد الله البري

نزيل الولايات المتحدة

الشعراء والأدباء يتحدثون عن الملك

لا تتسع صفحات هذا الكتاب لنشر جميع ما ورد على السنة الشعراء والكتاب وغيرهم من أقوال تعدد مناقب الملك المراحل وتشيد بمآثره فتجتزىء بالمقطوعات الشعرية والنثرية التالية :

أروع كالداخل

وبنوا دولة وراء فلسطين ... كعاب الهدى فتاة العزائم
ساسها بالاناة اروع كالدا ... خل ماضي الجنان يقظان حازم

« احمد شوقي »

سنا النبوة في سناك(١)

لسناك عبد الله يا رب الندى ... بين الكواكب حاسد وغيور
لاقلت انت البدر او نجم السما ... فالبدر يكسف والنجوم تغور
بل انت نور كل شيء تنمحي ... آثاره والنور ذاك النور
لا غرو ان سنا الامامة كله ... وسنا النبوة في سناك ينير
ان فات شخصك في الورى اسماهما ... فلديك من تلك السمات كثير
دار الخلافة في انتظار مليكها ... انت المليك وعرشك المذخور

« الكاظمي »

رب رغدان(٢)

خل عمان تسألنك عما ... رام منها ممزق الرومان
تركوها مجاهلا وصحارى ... ومجالا للسبع والسرحان

---

(١) من قصيدة طويلة ألقاها ناظمها في حفلة أقيمت على شرف الملك في القاهرة ·

(٢) من قصيدة تناهز الخمسين بيتا ارتجلها ناظمها في حفلة اقيمت في عمان

صار عمرانها خرابا وعادت ... بخراباتها الى العمران
خبروها بان عمان ملك ... لم يشد صرحه سوى عمان
حق هذه البلاد ان تتعالى ... فمليك البلاد من عدنان
أيد الله ملكه وحباه ... بتوالي الانصار والاعوان
بدر تم تجلت الشمس عنه ... ونشا في جلاله القمران
رب (رغدان) ان رغدان أضحى ... مثلا في الجلال والاحسان
فذراه ملك لغر المعالي ... وسناه وقف على الضيفان

« الكاظمي »

أنت ملاذ الحمى

يا سيدي أنت ملاذ الحمى ... يضيئه نور محياكا
حيث حللت حل عذب المنى ... ورفرف المجد بمغناكا
يا حبذا مشتاك لولا النوى ... تحول حينا دون لقياكا
وحبذا - رغدان - اذ جئته ... والشوق يحدوني لمرآكا
اسعد اوقاتي - أرى - ساعة ... أنال فيها لثم يمناكا
وارشف الحكمة من وردها ... والعلم منخولا بفتواكا(١)
احرزت - عبد الله - خصل العلا ... وطاب للامة مسعاكا(٢)
ان زين التاج ملوك الورى ... فالتاج مزدان بعلياكا
ورثت عن جدك - شمس الهدى - ... ما يزدهينا من مزاياكا
ادامك الله لنا عدة ... لله ترعانا ويرعاكا

« نديم الملاح »

بحسب علاك انك هاشمي

هنيئا ايها الملك الهمام ... واولى أن نهنئه المقام
بحسب علاك انها هاشمي ... فما يرقى رقيكم الانام
وان مكانكم في كل عصر ... يحق له الولا والاحترام
اينسى العرب منقذهم حسيننا ... وما ابلى بنوته العظام
غطارفة بنوا مجدا جديدا ... يزيد جلاله المجد القدام
ومن يحصي لعبدالله فضلا ... اذا عدت مساعيه الجسام
حلى وشمائل فيه تلاقت ... فرائدها ويجمعها نظام
جمال في جلال جاء بدعا ... تمامهما وقد عز التمام

---

(١) المراد هنا بالفتوى للفظة اللغوية لا الفتوى الشرعية .
(٢) الخصل ما يتفق عليه من الرهان .

ذكاء نوره أبدا مضيئا فما يغشى أشعته ظلام
مضاءكم يفل شباة راي ورأي كم يفل به حسام
ندى بمواقع الحاجات يهمي ومنه تعلم الجود الغمام
بيان ينتشي الاحياء منه فهم كالشاربين ولا مدام
حديث تصدر الالباب عنه وما تدري اسحر أم كلام
أعبدالله هذا اليوم وافى وللدنيا ببهجته ابتسام
فمصر تهنيء الاردن فيه ولبنان يهنيء والشام
وما في منزل للعرب الا تباشير وزينات تقام
فلا بدع اذا اعتمرت وضاقت رحابك والوفود لها زحام
يؤلف بين حضار وبدو بها عهد العروبة والذمام
تحيي عاهلا في كل قلب له الامر المطاع والاحتكام
وتغبط أمة بهداك أضحت وجانبها عزيز لا يرام
فجلت وهي قد قلت عديدا على ان القليل هم الكرام
بما اوتيت من حزم وعزم ادرت امورها وعداك ذام
فعش واسلم لها تسعد وتمجد ومن تحمي حماه لا يضام

٩ نيسان ١٩٤٧م خليل مطران

مراثي الشعراء

عاهل العرب العظيم

اكذا الجبال على الرقاب تسير وكذا الخضارم في الصعيد تغور ؟
اكذا مصارع شوس ابطال الوغى وكذا تعطل في الفجاج ثغور ؟
الله أكبر اي طود قد هوى ومن الموسد في الثرى المقبور
اعدت على الافلاك عادية الردى أم زلزلت رضوى ودك الطور ؟
رزء به علم الجهاد قد انطوى واجتث دوح للفخار نضير
جبل هوى فاذا المشارق عمد والارض ترجف والسماء تمور
واسودت الدنيا كأن نهارها ليل وساعات المصاب شهور
وكأن عين الشمس في رأد الضحى كسفت وحجب بالظلام النور
قل للجزيرة خر ليث عرينها وانهار صرح بنائها والسور
اودى فلا وجه البسيط منور جزعا ولا فلك السعود يدور
اي سيد البطحاء حسبك فادح جلل دوى في الخافقين خطير
أخلي من الارض الصفاء فما بها من بعد بينك بهجة وسرور
ماذا دهى الدنيا فكدر صفوها فاذا المشارق جذوة وسعير

واذا الصلال منازل واسرة ... واذا القلال جنادب وصخور
في كل وجه ديمة وجداول ... وبكل صدر حرقة وزفير
هانت علي بهذا المصاب شدائدي ... فاذا العسير من الخطوب يسير
يممت شاسع غربة ببقيعة ... سيان اعوام بها وعصور
وحدا بك الحادي وليس سوى التقى ... في الركب راحلة لديك وكور
بالامس كنت الى المجرة طامحا ... واليوم انت الى الرغام تسير
فكانما ذاك الجهاد سحابة ... وكأنما هذي الحياة غرور

تلك الانامل كيف عطلها البلى ... أم كيف اخرس للبراع صرير
ولطالما انهلت سحائب للندى ... منها وفاضت للبيان بحور
واستلت البيض الرقاق فاتخمت ... منها قشاعم في الوغى ونسور
ضج الحجيج وكاد يفقد رشده ... جمع بمأتمك المهيب غفير
ضاقت به الفلوات وهي شواسع ... ودوت به الحسرات وهي نشور
فكان مضجعك الحطيم بمكة ... وكأن حمزة في الثرى المغمور
وكانما لك رغم آناف العدى ... قبر بكل حشاشة محفور
قد زلزل الامل الوطيد وهكذا ... حقب بطيك تنطوي ودهور
ما كنت فردا في العظام وانما ... خلق تفرد في العلى وضمير
همم لها سعة الزمان وطالما ... بك ضاق افئدة له وصدور
لو عاف ساعدك القضاء لناله ... ولكان طوع بنانك المقدور
غمرت عظائمك العظائم في الدنا ... سيما الجلال بوجهها والنور
خلفت للتاريخ سفرا خالدا ... لا تنمحي آي له وسطور
وكذا القليل من الانام مخلد ... والبائدون من الانام كثير
لم تثن عزمك عن اماني أمة ... نوب الزمان ولاعراك فتور
بخسوك حقك في الحياة غضاضة ... والدهر ينصف تارة ويجور
لا شيء كالتاريخ عدل بينما ... شتى اساليب الدعاية زور
قد كنت داعية الجهاد وانما ... قطب عليه رحى الكفاح تدور
اطلقت يعرب من وثاق عقالها ... حتى استتب الامر وهو عسير
أيام سام الترك يعرب خطة ... والشرق مغلول اليدين أسير
وشددت أزرا للحسين وماله ... الاك في الخطب المسلم ظهير
انشات في الصحراء عرشا دونه ... بجلاله المأمون والمنصور
وثبت في وجه العواصف راسخا ... حتى كانك يذبل وثبير
عرش أقيم على العدالة والتقى ... ودعامتاه الرأي والتدبير
واذا العدالة وطدت في أمة ... لا أمن يعوزها ولا دستور

فأعجب لشعب فيه ينهض واحد   وينوء في أعبائه جمهور
كم وهنوك وما ونيت وما نبا   يوما بكفك سيفك المطرور
وعزوا لك التقصير في درء العدى   حاشاك ان يعزى لك التقصير
اي المعامع رمت خوض غمارها   الا وأنت القائد المنصور
جهزت جيشا للدفاع يقوده   أسد ببادرة الرهان هصور
فارتدت الرايات ثم واحجمت   فرق عن الاقدام حيث تشير
اصل البلاء هو الشقاق فهل لنا   من بعد من داء الشقاق مجير
ان كان لا يسعى لالفة امة   ساع ففيم به الفخور فخور
فمتى يصدق صادق في قوله   ومتى يكذب مدع مغرور
عانيت ما عانى النبي بقومه   ومبشر من قبله ونذير
فلكل مفقود به فجع الورى   في الخافقين له عداك نظير
ولكل سمط في البيان مضارع   الاك حتى اللؤلؤ المنثور
اين اللئالي البينات كانها   ذوب اللجين ولفظها المأثور
هي كالجنان حدائق وازاهر   أو كالجداول سلسل ونمير
لو شنف الطائي فيها سمعه   لجثا على اعتابها وجرير
ما زلت تحسن للورى حتى استوى   شاك بالسنة الثناء شكور
الفت بين البؤس والنعمى معا   وبكاك مثر في الورى وفقير
قد جددت عهد الخوارج عصبة   من دابها الارهاب والتدمير
هل للعداة ضمائر وسرائر   أم للجناة مدارك وشعور
انى تثور عليك عصبتهم ، ولا   تقوى على أعدائها وتثور
بئس الجزاء وكيف ينقض عهده   شعب لكم فضل عليه كبير
ما رمت بالاقصى اداء فريضة   لله حتى اغتالك الشرير
لك اسوة بالمرتضى وكلاكما   في قومه المظلوم والمغدور
ما انت بالموتور بل دين الهدى   ذاك المضرج بالدما الموتور
حفت برؤياك الملائك في السما   جذلي وهشت في الجنان الحور
وأبت لك الشهداء ان تسعى لها   الا وأنت أمامها المبرور
صيداء موصدة عليك تفجعا   ومدائن في المشرقين وصور
ماذا أقول بمن بهم قد انزلت   سور الكتاب وطابق التفسير
ان غيث في الخطب الملم فكلهم   عند اشتداد المعضلات حضور
في ذمة الرحمن قسورة له   كالاسد في يوم اللقاء زئير
صبرا بني الهادي على نوب القضا   وكذا العظيم على البلاء صبور

صيداء « محمد كامل شعيب العاملي »

الطود الهاوي

يا رياض الجنـــــان بالرحمـــن ... حيي وأسقي اسمى ملوك الزمـــان
حيى نجـل الحسين من مات ظلما ... جمعـــة ضمن ثالث الحرمـــان
ولــه الروح والرياض زفـــــي ... ثـم زفـي اليـــه منـــا التهانـي
قد فجعنا بـــه عـــلى يد راويـــة ... فشلت يداه من يد جانـــــي
لست أحصي بل لست ادري على من ... يد هذا الجاني جنـــت ببيـــان
أعلى العلم أم على اهلـه كانـــت ... جنت ام جنت على القـــرآن
ام على صاحب المظالـــم اذا خـــار ... لـــدى الحاكمـــين عيـــان
أم على الدين أم على ساسة النـــاس ... حمـــاة التفكـــير والعرفـــان
كل من قد ذكرت صاروا يتامـــى ... قصرا لا يرى لهـــم ابـــوان
من الى العلم ينـــدب الناس من ذا ... في معانيـــه ذائبا والمبانـــي
رافعا أهله على الناس طـــرا ... ميله دائمـــا له بالجنـــان
أين من يقـــرأ الكتاب دوامـــا ... بالمثانـــي تراه رطب اللســـان
بارادته يهـــدم ما يبنـــونه ... من ظلـــم ومن بهتـــان
لاعدمنا تلـــك الارادات منكـــم ... أيد الرب ملككم في أمـــان
من يسوس الـــدين الحنيف ومن ذا ... سيسوس الجميـــع دون توانـــي
قد نعمنا به زمانا فان يفـــن ... فما ذكره الجميل بفانـــي
وكان الفقيد ما مات مذ خلـــف ... جيشـــا مستحـــكم الاركـــان
مستعدا مدربا تحت أمـــر ... منهمـــا او نهـــي اذا ينهيـــان

« المختار الشنقيطي »

أيها الباني سلاما طيبا

علم في المسجد الاقصى انطـــوى ... ملاء الدنيـــا دويـــا وأســـى
هوت الآمال مـــن آفاقهـــا ... حين غاب النور واندك الرجـــا
مأتم في الارض موصـــول البكـا ... وشجون موجمات في الحشـــا
زمـــر الناس حيـــارى شخصـت ... منهم الابصار في ليل الجـــوى
قد جنى الجاني على العلـــم ، على العزم والحزم عـــلى رب الحجـــى
طعن الامة في آمالهـــا ... مجـــرم شلت يداه اذ جنـــى
أيهـــا البـــاني سلامـــا طيبـــا ... من قلـــوب داميـــات بالشجـــى
هـــا هـــو الشعـــب الـــذي أحببتـه ... اده الحزن واعيـــاه النـــوى
مشرئب نحـــو بيت ثابـــت ... خالد في الدين والدنيـــا معـــا
جدد البيعـــة والعهـــد وفـــي ... ذلك العهـــد نجـــاح وهـــدى
أيهـــا الباني سلامـــا عاطـــرا ... من جنـــان الخلد والروح العلى
نفحة علويـــة ساميـــة ... نشرت في الارض أحـــلام السمـــا

كنت للوحدة اما وأبا   ناظرا مستغرقا جم الرؤى
يا أبا الشبلين حياك الحيا   مشعل الحق بيمناك ازدهى

«حسني فريز»

اذا مات منهم سيد قام سيد

قفوا ودعوا هذا الشهيد المعظما   ولا تنسوا المجد الاثيل المكرما
هو السبط فاركع للنبوة والهدى   وصل على آل الرسول وسلما
وام حمى «رغدان» صفوة يعرب   بأفئدة قد أوشكت ان تحطما
وجئت اناجي سيد العرب خاشعا   فألفيته مسجى يعاف التكلما
عهدتك يا سبط الرسول مفوها   ولم الف قبل اليوم منك تكتما
فوا لهفي لو كان يفدي مجاهد   فديتك «عبد الله» يا حامي الحمى
الا تبت الايدي التي كتبت بكم   سطورا لها تندى الجباه تذمما
لكم كل يوم نهضة بعد نهضة   كذلك في العلياء فليسم من سما
ألم يشتك العرب الكرام ظلامة   فجردت للاعداء نصلا مسوما
لو اقتسم المجد العظام بمشهد   أصبت سناما والبقية منسما
اذا جودكم والقطر جاءا بعارض   فما احد يدري من الغيث منهما
رأيت سوى ناديك في الشرق مجهلا   وجئتك لما كنت للعرب معلما
وما زلت خواضا أناضل دونكم   وما زلت فيكم مستهاما متيما
ويا طالما أفحمت كل معارض   وباهلت فيكم من أراد التهجما
واني «ابن عباس» الذي طالما شدا   بفضل «حسين» في الورى وترنما
وانجاله الغر الالي فاز سعيهم   وقد جعلوا للعرب شأنا معظما
اذا مات منهم سيد قام سيد   تاثر خطوات الجدود وتمما
هم رفعوا للعلم والبر والتقى   منارا به يرجو الضلول التقدما
فلهفي على الشرق العزيز رايته   تفشى به الغدر اللئيم وحينما
وأصبح اعيى الناس يحسب نفسه   زعيما مطاعا أو زعيما مكرما
هم معشر قد اعظم الله قدرهم   وصلى على ذاك النبي وسلما
فيا ويل رهط قد اساءوا محمدا   «بآل حسين» والمصلى المحرما
اذا ما انتضاك العرب للفتح صارما   يسوق بك الايمان جيشا عرمرما
فيا خير من راض الصعاب بحكمة   ومن سل سيفا للجهاد ومخذما
ولما رأيت الحق في الناس ضائعا   أتيت ! وفي الهيجا لهذا وتوأما
لئن ضاقت الاسفار عن نشر فضلكم   تركت لتاريخ العظام التكلما
فسر في أمان الله للجنة التي   أعدت تجد فيها نعيما محتما

بيروت ـ «كمال عباس»
صاحب جريدة الحقيقة

ننحني باجلال أمام الملك الصريع

بقلم الاستاذ محيي الدين النصولي
(الوزير اللبناني السابق وصاحب جريدة بيروت)

منذ خمسة أيام خر رياض الصلح صريعا في عمان بيد أثيمة ، فروع لبنان والعالم العربي ، وأمس اغتيل جلالة الملك عبد الله بن الحسين وهو يدخل المسجد الاقصى الذي بورك حوله ليؤدي فريضة صلاة الجمعة ، فأذهلنا اغتياله ، وأسفنا الاسف كله أن تسرى عدوى الاغتيال البغيضة بين العرب ، وأن يسلكوا سننها ، فيغتالوا زعماءهم وملوكهم الواحد تلو الآخر ويهدموا بأيديهم أمجادهم ، بينما اسرائيل على الابواب تتحفز للوثوب ، وبينما مليون عربي ينامون على الطوى ، وبينما العالم كله يمور بأحداث جسام تتطلب الهدوء والروية ، والحرص على السلم والامان ، والاستمساك بعرى المودة والاخوة ، فمتى كان الاغتيال سبيلا الى المودة والاخوة والسلم والآمان ، والهدوء والروية ٠

اننا نبرأ الى الله من سياسة الاغتيال هذه فهي ان سايرت العرب في بعض حقب تاريخهم الا انها تتنافى وروحهم الصافية ٠ وتتجافى مع تقاليدهم الروحية ، ولا تقرها مبادؤهم الرفيعة ، فما بالهم يلجأون الى هذا الاسلوب المقيت منذ أن وضعت الحرب الكبرى الثانية أوزارها سواء في مصر أو سوريا أو العراق أو اليمن أو الاردن أو لبنان ، ثم ماذا أفادوا من هذه السياسة سوى فقدان رجال من خيرة رجالهم وملك عربي كريم كان أول من استنكر سياسة الاغتيال هذه ، وقطع عهدا على نفسه بأن يقتص من الذين اغتالوا ضيفه الكبير رياض الصلح لايام خلت ، فاذا هو يقع فريسة لها أمس وأين ، في بيت الله ٠

لا ، لن يضيع عقلنا حين تضيع العقول ، ولن يختلط علينا الامر حين يختلط على الجميع ، وحاشا أن نستسيغ سياسة الاغتيال ونقر الذين يؤمنون بها وينفذونها ، فالاغتيال لن يكون نصير عقيدة أو فكرة ولن يرد فلسطين ، ولن يوحد كلمة العرب بل يزيد في خلافنا ، ويبعدنا

عن هدفنا الاسمي ، وهو انقاذ فلسطين وجمع كلمة العرب لما فيه صلاحهم وخيرهم ، وضمان حاضرهم ومستقبلهم ٠٠ اننا ننحني اليوم باجلال أمام الملك الصريع صاحب الجلالة المغفور له الملك عبد الله بن الحسين الذي كرس حياته منذ نعومة أظفاره للقضية العربية وخدمها باخلاص وفتح بلاده لاخواننا مشردي فلسطين ، وأنزلهم في مملكته الصغيرة على انرحب والسعة وقاسمهم المأوى والرغيف واللباس وأشركهم في الحكم ، اننـــا ننحني أمام جثمانه الطاهر ضارعين الى الله أن يبلل ضريحه برحمته ، وأن يكلأ هذه الامة العربية بعين رعايته ، وأن ينزل على أفئدة بنيهـــا السكينة والامان ليعيدوا سبيلهم الى الحياة المجدية السعيدة ٠

محيي الدين نصولي

السياسة المثلى

لولا المغفور له الملك عبد الله لكان من المؤكد الحاق شرقي الاردن بفلسطين وبالوطن القومى اليهودى ، لذلك كان انشاء الامارة انقاذا لهذه المنطقة من التملك الصهيونى ٠ وقد رافقت تطور شرقى الاردن منذ أن كانت السلطة الاجنبية تسيطر على مقدرات البلاد ، الى أن تدرجت نحو الاستقلال التام بفضل السياسة الحكيمة التى اتبعها الملك عبد الله والتى لم يكن هناك سياسة أفضل منها في ظروف الزمن ٠

عمـــان **(مسلم العطار)**

الانسانية النبيلــة

الملك عبد الله في اعتقادي كان يمتاز بانسانيته النبيلة ، وانني أقول بصراحة انه انبل انسان عرفته فى حياتى ٠ والمواقف العديدة التى عرفتها عنه جعلتنى اعتقد انه فى المرتبة الاولى من النبل والانسانية ٠

عمـــان **محمد علي العجلوني**

«مذكراتي»

لجلالة الملك عبدالله

بقلم الاستاذ : عبد الحليم عباس



من أجل الآثار الادبية التي خلفها الملك الشهيد واجدرها بالاعجاب والتقدير مذكراته الخاصة التي يتحدث فيها عن نشأته وتاريخ حياته ويكشف فيها عن سجاياه ونوازعه النفسية وما نهض به من أعباء في سبيل خدمة العروبة والاسلام ٠ وقد بلغ من اقبال الراي العام العربي والاجنبي على مطالعتها أن طبعت اربع مرات ، وترجمت الى اللغة الانكليزية ، وتعتبر بحق المصدر الرئيسي الذي يستند اليه في تدوين حياة الملك الشهيد ...

وخير ما نقدم به هذه المذكرات ونفيها حقها من العرض والوصف والتقريظ المقال الذي دبجته يراعة الاديب الكبير الاستاذ عبد الحليم عباس في هذا المضمار وقد نشر هذا المقال في احدى الصحف المحلية فرأينا ان نحلي به جيد هذه المذكرات :

حينما استأذنت سيدي الملك ـ في معرض حديث ادبي ـ ان اكتب عن مذكرات جلالته من ناحية ادبية اذن ـ حفظه الله ـ على شرط الانصاف ، وقول ما اعتقد ٠ وفي هذا الشرط على ايجازه وبساطته ما يفتح للسامع وللقارىء الرحاب الخلقية الواسعة التي تضطرب فيها هذه النفس الكبيرة ٠

ومضيت في الكتاب استعيد قراءته للمرة الثانية ـ فأثارت في نفسي مقاطعه وفصوله الوانا مختلفه من الحس والتفكير ، ولكني ما اتيت على تمامه حتى ادركت مغزى شرط جلالته فاذا الكتاب من اوله الى آخره ، يمشي على هذا الشرط ، ويتقيد به ، وانت اذ تشعر بهذا ، تحس بأتم وضوح ان هذا الشرط والتزامه أشد التزام لم يتآداه جهدا ، وانما جاء في يسر وسهولة ٠ وذلك أن النصفة وقولة ما يعتقد ، سرت في الكتاب هادئة رضية حتى في المواقف التي يجور فيها الانسان على نفسه ، وتتمنى فيها نفسه ان لو خفت هذه الهيمنه من الرقابة ولو قليلا ، فسمت الشيء باسم يدل عليه ، ويشير اليه ، ولكن بغير هذه الحدة من اللفظ الصريح المنصف الصادق ٠ ولا شك في أن هذه ـ النصفه ـ التي تجور على النفس ، هي أعلى وأرفع مراتب الانصاف ، فقد تنصف غيرك ـ على كره من الهوى ـ اما ان تنصف الغير وتنصف الاحداث والامور من نفسك اذا اقتضاك الحق ، دون ان يتلجلج لسانك ، ويضطرب بيانك فتلك مرتبة ، قلائل ـ في الانسانية ـ من بلغوها ٠

والامثلة على هذا في الكتاب كثيرة منتشره في كل موقف ، وسبيلنا هنا ان نشير اليها ، لا أن نعددها فهذا مجلس العائلة الهاشمية يعقد للبحث في أمر خال جلالته ، أيطلب اليه السفر الى استانبول أم يكتفي بذهابه الى مصر ، ويدلي وهو النائب في مجلس المبعوثان ، وفي شرخ شبابه برأيه فيتساءل عمه « ومتى جرت العادة في أخذ رأي من كان في هذه السن » فيجيب الحسين ـ رضوان الله عليه ـ دعه فانه ميمون الرأي • يروي هذا دون ان يدافع في مذكراته عن سنه ووجاهة رأيه بكلمة ، ومثل هذا ما يرويه وقد جاء ليقابل « أنور باشا » دخل قبيل المقابلة غرفة فيها جماعة منها عبد العزيز جاويش ، ولما أطل عليهم رأى في وجوههم شيئا لم يرتح اليه اليه فيقول بتواضع وصدق لا مثيل له في الناس « ولما رأوني بالباب يظهر انهم استثقلوا الجبة والعمامة » ثم يقول « فجلست الى الباب وجلسوا هم بأعلى مكان في البهو » • نعم هكذا قال ، لان هذا هو الذي حدث ، ولا شيء يمنعه عن قوله مهما كان وقعه في نفسه ، وهو الذي كان يقبل يده الكريمة رجال الدولة •

وادل من ذلك على هذا الخلق ندر مثيله ، ما حدث في الشام وقد جاءها وعمه ليوصلوا ركب الحجاج الى مأمنه فوزع أحدهم نشرات في هجائهما ، وقد روى جلالته ما قيل فيه ، واحب أن يقف القارىء هنا طويلا ليسمع تتمة الخلق العظيم ، وهو ان جلالته لم يقل عن هذا الذي هجا ووزع الهجاء أكثر من قوله « ودل بذلك على ما في قرارة نفسه » وفوق هذا دلالة روايته لوقعة خرما وتربه ، ونعت انكفاء جيشه ـ بالهزيمة ثم اصراره على أن يقول « ووقعت الهزيمة على الجيش الشرقي الهاشمي الذي أقوده انا بالذات » يذكر هذا دون ان يتبرم به صدقه ، او يضيق به انصافه وان كانت طبيعة الاحداث والامور التي جاءت في هذه الواقعة ، والتي سبقتها ولحقت بها ، قد تفسرها على غير هذا التفسير ، ولكن هذا متروك للقارىء المنصف ، ولذمة المؤرخ وخلقه •

هذا شيء في الكتاب •

وفي الكتاب أشياء كثيرة ـ ستراها ـ غير ان هذا الشيء وهذه الاشياء ترد كلها الى عاطفة واحدة تنبع منها سائر ما في أطواء الكتاب من عواطف وآراء ، وكل ما في هذه النفس التي يصورها الكتاب من أشواق وأهواء ، تتفرع عنها ، وتنفسح ذات اليمين والشمال ولكنها في تفرعها وانفساحها لا تزال على أوثق اتصال بهذه العاطفة الواحدة ـ التي تمدها

من فيضها في كل حين والتي يصح أن تكون مفتاح النفس والكتاب معا ــ كما يعبر كتاب الغرب ، هذه العاطفة ، هي ــ الايمان العميق ــ فأنت واجد هذا الايمان ، والذي لا يصح أن يجاء به هنا ، دون ان ينعت بالعمق ، في كل لفتة عاطفية وفكرية كبيرة أو صغيرة ، فهو في الصدق والانصاف الذي ذكرنا ، وهو في العفة والتنزه عن تجريح الخصم بالقول غير المنزه ، ولو أطال آذاه ، وهو في العتبى ترق على الخادم الوفي ، تتعته المادة ، فينقلب غير الوفي فلا يزيد أن يقول ذاك مدحنا في قصيدته المعروفة « وكان يعمل معي عمل المخلص المتفاني » ثم يتجاوز هذا كله فيعلل سقوط الامم ورفعتها بالايمان « اما أسباب الظهور والاعتلاء فبالايمان والجماعة والتنفيذ في الرئاسة ، وأما أسباب التدني فهي التفرقة واختلاف العقيدة والحسد والتدابر ، لقد جاء مع الايمان بأشياء أخرى ، ولكننا نجدها عند التأمل غير منفصلة عن طبيعة الايمان ، فالجماعة والامانة ، وانفاذ الامور هي صفات تنحدر عن الايمان كما ان التفرقة والحسد والتدابر ، واختلاف العقيدة ، هي أشياء تأتي من عدم الايمان » ٠

ولا يعنينا هنا ان ندلل على صدق هذه النظرية فنروي شواهدها في التاريخ فالذي يروي هذا الرأي هو عظيم رأى بعينه سقوط أمم واعتلاء أمم ، وكان بحكم مركزه ، أعرف بأسباب هذا الاعتلاء وعلل هذا السقوط ، ثم هو الى جانب هذا يصعد بنسبه الى اشراف وائمة وخلائف ، فحين ينقب في تاريخهم يكون أوثق صلة من غيره بهذا التاريخ وأدنى الى فهمه وتفهمه ، وانما يعنينا ان نشير الى أن طبيعة الايمان في نفسه ، هي التي جاءت بالايمان وما يأتي منه تفسيرا لكل حادث في التاريخ ٠

وعلى هدى هذه النزعة المؤمنة ، الملتحمة بنفسه ، والمتمكنة فيها الى القرار ، نراه اذا ما جاءت العصبية العربية ، مع العصبية الاسلامية وتشابكتا في موقف ، أضفى جلال الدين جلاله على النزعتين ، فماذا هما نزعتان لا نشاز فيهما ، ولا اختلاف بينهما ٠ فها هو حينما تمت له غلبة ــ الترك ــ في الطائف ، وأنزل علمهم ليحل علمه مكانه ، لم تأخذه عزة النصر ، فيذهب مع عصبية غير عصبية الاسلام « وفي اليوم الثاني جرى انزال العلم العثماني رسميا عن القلعة ورفع العلم العربي بالتحية الرسمية لكلا العلمين ، وكان منظرا مؤثرا ٠ فان العلم السابق كان العلم بالامس ، والعلم اللاحق هو العلم اليوم ، والامس أمسنا ، واليوم يومنا ، ولكن الذنب على من سعى لترك الصبغة الاسلامية » ٠

وهو في مواطن أخرى متشابكة كهذه ، يقول وكأنه يلقي بصحيفة

اعذاره الى ايمانه واسلاميته في حب العرب وتفضيلهم ، وما العرب الا بالاسلام ، وكان من الحق عليهم أن يسعوا الى استعادة مجدهم وحقهم وخلافتهم « ويقول في موطن أخر » فالثورة العربية الاخيرة التي قام بها المنقذ الاعظم ـ رضي الله عنه ـ ثورة للدفاع عن الاسلام ثم ليتبوأ العرب المكان الذي خصهم به الله ، حيث قال في كتابه العزيز « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر » وصدق الله العظيم .

بيد ان العصبية العربية ، أو النخوة القومية كما يسميها قد تجيء وحدها ، أو مع عصبية أخرى غير عصبية الدين تركية مثلا ، وهنا فحسب يرتفع بالعصبية العربية الى السماء ، وهذه العصبية كما يعرفها شاملة لا تعرف بلدا غير البلد العربي بأجمعه « فالبلاد العربية هي بلاد كل عربي ولا تعرف غير الامة العربية بأجمعها » ان هؤلاء من العرب والعرب أمة شريفة » .

يشيد ببسالتهم يمنيين ، وهو يقاتلهم مع الاتراك ، ويمدح خلقهم نجديين ، وقد التحقوا فيه بالثورة ، بعد أن تركوا للاتراك سلاحهم ، انفة عربية ان يحاربوا به ، ويؤثرهم بالحب حجازيين وشآميين .

وتختلط هذه العصبية بحنة رائعة ، تسمو الى أعلى مراتب الشعر حينما تجنح السفينة الى شاطيء طرابلس الشام ، اثر مقدمه من استنبول فيسمع النداء العربي ويرى الاثر العربي فيهتف من أعماقه « وكانت بقية ليل موحش انتهى بالوصول مع السلامة الى طرابلس حيث طرقت مسامعي النداءات العربية الحبيبة ، ورأيت النخيل وشاهدت المباني العربية فأحسست بشعور بين البكاء والضحك » .

ويتجاذبه هذا الحنين الى كل ما هو عربي بكثير من المواقف في الكتاب ، حتى ليرى أن من تمام جمال الموكب أن يكون كله عربيا « وكان الركب يمثل جلال القومية في روعة وهيبة ، فلا تقع عينك الا على عربي فالركاب والخيل والازياء والادب عربي هاشمي » وحتى يرى انه يكفي للتعريض بالرجل العربي المعروف الركابي باشا أن يقول عنه « وكان رحمه الله حين ذلك لا يتكلم الا باللغة التركية » .

على ان هذا الايمان الذي يظلل هاتين النزعتين ، ويلم في روعة وانسجام تلكم العصبيتين ، ينفصل في استغراق روحي ، عن كل مظهر من مظاهر الدنيا ، فاذا الشخوص تغيب ، واذا النزعات تختفي ولا يبقى في المشهد غير روح مجنحة ، تهمهم بكلمات علوية في مثل قوله « وكان

السفر ـ سفر الحجاج ـ يعتبر في كل يوم من أيامه عيد ، بمراحله ورحيله ونزوله ، فزرنا المصطفى صلى الله عليه وسلم ٠

« ما أعظم ذلك الموقف والمرء مستقبل المواجهة الشريفة يقول ـ السلام عليك يا حبيب الله يا رسول الله ، يا خير خلق الله ، جزاك الله خير الجزاء ، لقد بلغت عن ربك الحق ، وأديت الرسالة ، وجاهدت في الله حق جهاده ، وكنت بالمؤمنين رحيما » ٠

ويكشف الكتاب عن مواقف عـدة من هـذا الاستغراق الروحي ، ولكن لا يزال في النفس بقية منه لا تصل اليها اللغة ، وقد تمشت عـلى قلمه سمحة طيعة ، انه يحس هذه البقية قوية تجول في نفسه ، ويعجز عنها في نقاوتها وصفائها التعبير فيهتف بك « فدخلت المدينة المنورة صباحا وأممت المسجد النبوي ، وكان شعوري الروحي في درجة أعجز عن وصفها »٠

ولا تفوت قارىء الكتاب ملاحظة خاطرة تمتد في أثنائه وأطوائـــه كخيوط الفضة ٠ دقيقة لامعة تضيء وتبرق في صفحاته ، وهي الحب لموطنه الاول الحجاز ، فهو وطن أقدس لا شبيه له في الاوطان كما يقول « وبهذا (أي بهذا العام) اختتمت الدورة الاولى لي ولاخوتي في وطننا الحجاز الاقدس الذي لا شبيه له في الاوطان » وهضاب « وج بالطائف » وقراه ليست كالقرى انها هضاب حمر وقرى بيضاء ضاحكة ، حتـــى البطحاء الكابية هي في الحجاز ، على مثال آخر أنها ـ وليسمع القارىء هذا الوصف الشعري الذي يدنيك حتى لتشعر في نفسك الحب والحنين الى أن تعيش فيها ولم ؟ ـ انها البطحاء كاللؤلؤ ـ وكذلك القاع الملتهب ، يكفي لتنسى حره ، ان به دوحة عظيمة الى جانب غدير أفيح ولتكن تبوك في حماد من الارض مكسوة بقطع من الصوان والاحجار المتكسرة ولـكـن بها عينا ونخيلا ٠

ويمضي في الآستانة أوقاتا حلوة يذكرها بالخير ولكنه اذ يعود الى الحجاز ، وينعم بليلة في مكة تكون تلك الليلة « أسعد وأشرف الليالـي على الاطلاق حيث الرجوع الى الوطن برضا البارى » ٠ ولا يغيب عنك في كل حين ، وأنت تمشي في أرض الحجاز ، باديه وحاضرته ، سهله وجباله ٠ والكتاب يطالعك بمثل هذا الوصف « ثم استأنفنا الطريق بين البساتين النضرة المثمرة تحف بها عرش الاعناب وبالجبل هذا ، أشجار الســرو والعرعر والعتم ، والبشام والقيقب ٠ « ان تسائل نفسك أهي طبيعـة أرض الحجاز زادت في ذخيرة الادب العربي ، على ألسنة شعرائه القدامى وقد حجزهم في رحابه يمجدون وديانه وقيعانـــه » ٠ ويتغنون بخزاماه

وعراره أم هي طبيعة النفوس الحساسة الشاعرة ، تشدها الى الاوطان ــ مهما كان حرها ولظاها ــ الف آصرة وآصرة من الذكرى البعيدة الغور ٠

هي شيء من هذا وذاك ومزيج من حب الوطن ، ومن الفة الذكرى ، تبقى منقوشة حية في صفحة النفس ولوح الخيال ، كأنها ــ أي هــذه الذكرى ــ وقد مرت عليها السنون ، قد مرت البارحة ، وصنعها الامس القريب ٠ فاذا كانت النفوس تعيش في الحاضر ، فان النفوس ، الشاعرة الحساسة ، تعيش في هذا الحاضر ، وعلى طرف حي من الماضي القـريب أو البعيد ، ولا تزال تطالع الدنيا بــه شعرا وحنينا ٠٠ فالامـكنة في ــ المذكرات ــ ليست أمكنة جامدة ، وانما لها أرواح كما للاحياء ، ولهـا حظوظ كما لهؤلاء « وتوجهنا ــ في استانبول ــ الى استينيا في القصر الذي أعرفه والذي لم يلحقنا به أي كدر ، والذي نال به الوالد المرحوم الامارة ، وبه ولد أخي زيد ، وشقائقي الثلاث » ٠

واذا ارتفعت النفس الى هذا المستوى الذي تخلع فيه من روحها روحا على الامكنة الجامدة ، فلا غرو ان لم تسه هذه النفس عن الاحيـاء الذين مروا بها ، ودنوا منها ، تذكرهم وتحن اليهم ، وتبلـغ مستواها العجيب من الرفعة في نفس جلالته وهو يذكر المطوف في مكة الشيخ محمد علي طالب «ذلك الرجل البشوش الضحوك الذي كان انسنا طول الطريق»٠

لقد زخرت ــ المذكرات ــ بالاحداث ــ وكان جزء ولعله القليل منهـا مشى صاحبه فيه بين « السرو والعرعر ، ومع الركب المزدانة هوادجه بالجوخ الاحمـر » أما البقية ففي لظى الحروب في عسير حيث الاوبئة ، وفي الحرب في جبال الطائف ، وحول أسوار المدينة وفي حزون السياسة التي لا تقل في وعورتها وأهوالها عن دروب الحروب ، ولكن كل هذه المشاق لم تنس النفس الرفيعة أن تلتفت ــ الى المطوف ــ وتذكره أجمل الذكرى ، ومثله في الكتاب كثير انها نفس عظيمة في انسانيتها ٠

لقد وضع هذا الذي أشرت اليه ، من فكر ومعان يزدحم فيهـــا الكتاب بأسلوب ، أهم مقوماته هي السهولة في التعبير ، وكلمة السهولة هنا قد تكون مبهمة وهي مما يجيء في وصف كثير من الاساليب ، فلا بد ــ اذن ــ من ايضاحها بعض الشيء ، ينتقي الكاتب أو الشاعر الكلمـات التي تظهر المعنى وتؤديه أوضح اداء وأجمله ، واذا كان محصول الــكاتب أو الشاعر من اللغة عظيما كان هذا الاختيار من عمل البديهة ، فهو يختار اللفظ الرشيق الجميل دون أن يشعر بذلك في كثير من الاوقات ــ وهكذا الشأن في المذكرات فاللفظ سهل والاسلوب سمح ٠ هذا مع اقتصاد فيه ٠

وفيما عدا اللفتات العاطفية التي تحفل لها النفس ، فيحفل لها ـ تبعا لذلك ـ الاسلوب ، فقد جاء أسلوب الكتاب مرسلا لا تزاويق فيه ، فسلم بذلك من العيوب التي يقع فيها كتاب العرب ، اذ يخدعهم البهرج ، ورتين الكلمات ، فينسابون وراءها ، ويبعدون لذلك عن المعنى قليلا أو كثيرا ٠

والكتاب في جملته صالح للاستشهاد على ذلك ٠ يقول في مفتتح الكتاب « هذا دفتر حياتي » ولفظة دفتر هنا تخلع على الجملة لونا من التواضع المحبوب لا تدانيها فيه أية كلمة من سجل او كتاب وما اليهما وهو يقول عن منير بك والي الحجاز « لقد جاء الحجاز متنمرا » واكتفى بهذا دون أن يزيد نعتا آخر ، فأعطاك به ، وبلفظة متنمرا ، وصفا يملك عليك خيالك ولو زاد به وانساق وراء النعوت لاضعف منه بقدر ما يزيد فيه ٠ ثم هو يصف نسف الخط الحديدي فيكتفي « وبعد مضي ساعات كان الخط الحديدي بين الشام والمدينة يخلع ويشلع » والقوة هنا في لفظة يشلع الصادقة المعبرة عما حدث أصدق تعبير ٠

سيدي جلالة الملك المعظم

وقسما بالتاج على فرقك ، لقد زاد كتابك في ذخيرة الادب ، كما زادت ذاتك في ذخيرة العرب ٠

واذا كان لي ما أقوله زيادة على ما تلطفتم جلالتكم فسمحتم به ، من عرض الكتاب من ناحية أدبية فهي أن أذكر جلالتكم الكريمة باخواني الادباء والشعراء ٠

فيا سيدي ،

ان في مملكتك ، ضفتها الشرقية ، والغربية أدباء وشعراء ، يدينون لجلالتكم بولائين ويقدمون لذاتكم طاعتين أولا طاعة الانسان لمليكه ، وثانيهما طاعة الاديب لعميده ٠ وهم لهذا يرجون منكم برين احدهما بر المليك برعيته ، وثانيهما بر سيد الادب ، بسدنة الادب وخدامه ٠

لقد اتصل الادب بجلال أسرتكم في قديمه ، وانه اليوم ليتصل بجلال ذاتكم في حديثه ٠ فما بالكثير يا سيدي ان ارجو لاخواني الادباء رعاية وحرمة وتقديرا وحرية موسعة ، وهذا كل ما نطلب لينضر الادب ويزدهر ٠

عمان　　　　　　　　　　　　　　　　　　عبد الحليم عباس

سجل عام

لاهم الاعمال التي تمت والاحداث التي وقعت في
عهد الملك عبدالله من ١٩٢١ حتى ١٩٥١

سنة ١٩٢١

بتاريخ ٢/٣/١٩٢١ وصل الفقيد الى عمان قادما من معان . وبوصوله انتهى عهد الحكومات المحلية ، وقد أعلن انه نائب ملك سورية (فيصل) .

وفي ٢٧ منه وصل السيد رشيد طليع الى عمان على رأس جماعة كبيرة من فرسان الدروز .

وفي ٢٩ منه قابل الفقيد المستر تشرشل الذي كان يشغل منصب وزير الخارجية في الحكومة البريطانية ، وجرت مباحثات بينهما أسفرت مبدئيا عن الاتفاق على وضع شرقي الاردن وانشاء حكومة عربية مستقلة اداريا برئاسة الفقيد وتنظيم علاقتها مع بريطانيا وبموجب هذا الاتفاق اعتبرت شرق الاردن منفصلة عن فلسطين ولا شأن لليهود بها .

وفي ١١/٤/١٩٢١ تألفت أول حكومة اردنية برئاسة السيد رشيد طليع باسم مجلس المشاورين قوامها : رشيد طليع والامير شاكر بن زيد وأحمد مريود وأمين التميمي ومظهر رسلان وعلي خلقي والشيخ محمد الخضر الشنقيطي وحسن الحكيم . وعين المستر براون معتمدا بريطانيا في عمان وانشأت الحكومة البريطانية قواعد جوية لها في عمان وزيزياء .

وفي ١٧ منه حضر الى عمان السير هربرت صموئيل المندوب السامي لفلسطين وشرقي الاردن وألقى خطابا في اجتماع عام عقد في الديوان الاميري أعلن فيه تقدير الحكومة البريطانية لنضال الجيوش العربية في الحرب العامة وتعيين مستشارين بريطانيين للحكومة الاردنية ، كما أعرب عن استعداد حكومته لتقديم المعونات المالية والعسكرية والفنية لامير البلاد .

وفي ٢٧ منه قرر مجلس المشاورين أن يكون اسمه (الهيئة المركزية) وأصدر قانونا يبين فيه اختصاص أعضائه ويجعل رئيسه مسؤولا أمام الامير ومرجعا للمشاورين .

وفي هذا الشهر بوشر بانشاء الجيش العربي الاردني وهو يتألف من اربع قوات : الدرك الثابت ، وقائده عارف الحسن ، وكتيبة الدرك الاحتياطي بقيادة فؤاد سليم ، والكتيبة النظامية بقيادة أحمد الاسطنبولي وتولى الفقيد منصب القائد ، وعهد الى القائمقام علي خلقي بمديرية الامن العام وعين الكابتن فردريك بيك مفتشا عاما للدرك ٠

وفي ١٩٢١/٦/٢٣ قدمت حكومة رشيد طليع استقالتها بسبب تبلبل الموقف وما أصاب خزانة الحكومة من عجز مالي واحتجاجا على عدم وفاء الحكومة المنتدبة بتعهدها بشأن تقديم المعونات اللازمة ٠

وفي ١٩٢١/٧/٥ أعيد تأليف مجلس المشاورين من رشيد طليع رئيسا ومن الشريف شاكر ومظهر رسلان ورشدي الصفدي واحمد مريود وغالب الشعلان والشيخ محمد الخضر الشنقيطي (أعضاء) ٠

وفي شهر آب استقالت حكومة رشيد طليع بسبب مماطلة الحكومة البريطانية في دفع المعونات واحتجاج السلطات الفرنسوية على تصرفات الحكومة الاردنية ازاء سورية وتشجيع الحركات العدائية ضد فرنسا مما حدا الانكليز الى مطالبة الفقيد بتغيير رئيس الحكومة الذي تعتبره فرنسا من أعدائها الالداء ٠

وفي منتصف آب تم تشكيل حكومة جديدة برئاسة السيد مظهر رسلان باسم (مجلس المستشارين) ومن اعضائها الامير شاكر والشيخ محمد الخضر والسادة رشدي الصفدي وغالب الشعلان وأحمد مريود وفي ٢٢ شباط من السنة التالية انضم الى الحكومة السيد أحمد حلمي ٠

وفي ٢٣ حزيران اعتدت احدى العصابات الوطنية على المندوب السامي الفرنسي في منطقة القنيطرة فأرسل الفرنسيون احتجاجا شديد اللهجة الى المندوب السامي البريطاني يتهمون فيها حكومة شرقي الاردن بتدبير هذا الحادث ويطالبون باتخاذ اجراءات فعالة ٠

وفي ١٩٢١/١٢/٢٨ وقع الفقيد على معاهدة (نائبا عن والده) مع لورانس (ممثلا للحكومة البريطانية) تتعلق بشؤون الحجاز ولكن الملك الحسين رفض ابرام المعاهدة ٠

وفي هذا العام وقعت مظاهرات في عمان احتجاجا على اعتقال المجاهد السوري ابراهيم هنانو في القدس بعد ان قابل الفقيد وحمله رسالة الى حكومة فلسطين فاحتج الفقيد رسميا الى حكومة الانتداب وطلب اطلاق سراح ضيفه ولكن الحكومة لم تأخذ طلب الفقيد بعين الاعتبار وارسلت الزعيم السوري الى سورية وسلمته الى السلطات الفرنسوية ٠

في ١٩٢١/١٢/١٥ عينت الحكومة الاردنية السيد جميل المدفعي متصرفا على الكرك على أثر اشتباك دموي وقع فيها بين بعض العشائر وزودته بقوة عسكرية فاستطاع اخماد الحركة ٠

سنة ١٩٢٢

في آذار ١٩٢٢ قدم السيد مظهر رسلان استقالة حكومته وتألفت حكومة جديدة برئاسة السيد علي رضا الركابي ومن أعضائها الامير شاكر ومظهر رسلان واحمد حلمي وأحمد مريود وابراهيم هاشم والشيخ سعيد الكرمي ٠

وفي ايار من السنة المذكورة رفض أهالي الكورة دفع الغرامة التي فرضت عليهم بسبب حركة التمرد فأرسلت قوة من الدرك السيار لاخضاع الاهلين وضربت منزل كليب الشريدة بالمدافع وتم استسلامه ورجاله الى الحكومة وقد حكمت عليه محكمة عسكرية بالاعدام ولكن العفو العام الذي أصدره الفقيد يوم ٢٥ ايار ١٩٢٣ بمناسبة الاعتراف باستقلال شرقي الاردن شملهم واطلق سراحهم ، وامر الفقيد باتخاذ تدابير ادارية حاسمة في مقاطعة الكورة لعدم تكرر مثل هذه الحوادث ٠

وفي ١٧ تموز اعتقل الفرنسيون المجاهد ادهم خنجر في منزل سلطان الاطرش بينما كان سلطان غائبا ، بتهمة اشتراكه في حادث الاعتداء على الجنرال غورو ثم ساقته الى بيروت حيث أعدموه بمحاكمة صورية بعد ان ساموه أنواع العذاب ، فثار سلطان احتجاجا على اعتقال ضيفه وهاجم قوة فرنسية وقتل رجالها والتجأ الى شرقي الاردن ثم عاد الى جبل الدروز وأخذ يقاتل الفرنسويين ، وقد أمر الفقيد المسؤولين بعدم التعرض له وتقديم ما يمكن تقديمه من المساعدات اليه وتسهيل اقامته ٠ فقامت السلطات البريطانية بمحاولات لاجل القبض عليه او ترحيله تنفيذا لطلب حليفتها

فرنسا فلم تجد الى ذلك سبيلا بسبب تدخل الفقيد حتى أصدرت السلطات الفرنسية العفو عنه فعاد الى بلاده عزيز الجانب موفور الكرامة ٠

وفي ٢٤ تموز قدمت بريطانيا الى مجلس جمعية الامم صك انتدابها على فلسطين وشرقي الاردن ٠

وفي ٢٢ آب وصلت قوة من الوهابيين الى منازل بني صخر وأخذت تفتك بكل من تجد في طريقها ونشب قتال مرير بين هذه القوة وأبناء العشائر الاردنية اشتركت فيه قوة من مشاة الجيش الاردني وقد أسفر القتال عن هزيمة الوهابيين فارتدوا على أعقابهم بعد ان اصيبوا بخسائر جسيمة ٠

وفي أيلول احتلت القوات الاردنية قلعة كاف في قريات الملح على رأس وادي السرحان لدفع أي اعتداء يقع على الاردن من تلك الجهات ٠

وفي ١ ايلول أصدر المندوب السامي البريطاني بلاغا عين بموجبه الحدود بين فلسطين وشرقي الاردن ٠

وفي ٣ تشرين الاول توجه الفقيد مع رئيس حكومته السيد الركابي الى لندن للاتفاق مع الحكومة البريطانية على تسوية جميع القضايا المعلقة ولا سيما قضايا الانتداب على الاقطار العربية ووعد بلفور ، وقد طلب الفقيد بأن تكون شرقي الاردن مستقلة استقلالا تاما وان تعطى منفذا بحريا كما قدم اقتراحات بشأن فلسطين وسورية ٠ ثم عاد الفقيد الى عمان في كانون الثاني ١٩٢٣ وبقي الركابي في لندن لاتمام المباحثات ٠

وفي ١٨ كانون الاول وجه السير جلبرت كلايتون ممثل الحكومة البريطانية مذكرة الى الركابي اقترح فيها المواد التي توافق عليها بريطانيا لتعد معاهدة مع شرقي الاردن ، فرد عليه الركابي بمذكرة جوابية وعد فيها أن يعرض المقترحات البريطانية على الفقيد ٠

سنة ١٩٢٤

وصل الى عمان في ١٨ كانون الثاني ١٩٢٤ المغفور له الحسين بن علي للوقوف على الاحوال في الاردن وفلسطين والاقطار العربية المجاورة ، وبحث هذه الامور مع نجله أمير الاردن ، وقد استقبلته وفود عديدة من الاردن وسورية ولبنان وفلسطين وقد أعلن في جميع المقابلات بأنه : لا يعاهد عهدا

ولا يبرم أمرا بشأن فلسطين ومصيرها قبل استطلاع رأي أبنائها كما اكد بأن لا يوافق بوجه من الوجوه على انشاء وطن قومي لليهود مهما كانت الدواعي والاسباب .

وفي ٢٧ كانون الثاني سلم سلطان العدوان وانجاله الذين كانوا فروا من الاردن انفسهم وزاروا جلالة الحسين والتمسوا منه أن يشملهم بعطفه الكريم ، فأوعز الى سمو نجله بأن لا تجرى محاكمتهم وفرضت عليهم الاقامة الجبرية في معان مدة قصيرة ثم صدر عنهم العفو وعن كل من اشترك في حادث العدوان .

وأصدر الحسين أمرا بتأليف لجنة للنظر في شؤون الخط الحديدي الحجازي والعمل على اصلاحه وتبرع لها بمبلغ من المال .

وفي أثناء وجود جلالته في شرقي الاردن أعلن كمال أتاتورك الغاء الخلافة وطرد أبناء سلاطين آل عثمان من البلاد فاستقر رأي بعض زعماء البلاد العربية والاسلامية على مبايعة جلالته بالخلافة ، وفي يوم الجمعة الموافق ٨ شعبان ١٩٤٢ وفق ١٤ آذار سنة ١٩٢٤ بدأت البيعة وأخذ رجالات العرب يتوافدون الى عمان لمبايعة جلالته ، وأثارت هذه البيعة حماس ابناء فلسطين فضاعفوا نشاطهم في مقاومة الاستعمار والصهيونية ، فأوجس الانكليز خيفة من نشوب اضطرابات في فلسطين وأشاروا بواسطة أحد ممثليهم الى جلالته بالعودة الى الحجاز فغادر عمان في ٢٠ آذار يصحبه نجلاه علي وعبدالله .

وفي ٣ ايار قدمت حكومة حسن خالد ابو الهدى استقالتها بعد ان تجلى ضعفها وتذمر الشعب من تصرفاتها فعهد الى السيد علي رضا الركابي بتأليف وزارته الثانية ومن أعضائها حسن خالد أبو الهدى والشيخ سعيد الكرمي وابراهيم هاشم والامير شاكر .

وفي تموز هاجم بعض الوهابيين بعض عمال سكة الحديد بين محطتي الزرقاء والسمراء وقتلوا اربعة منهم فتصدى لهم بعض رجال الامير شاكر وقتلوا اثنين منهم واسروا الباقين فنفذ فيهم حكم الاعدام في ساحة الملعب الروماني .

وفي آب هاجم عدد كبير من الوهابيين بعض القرى الواقعة جنوبي عمان واشتبكوا مع مختلف العشائر الاردنية التي تضافرت لصد هذا

الهجوم ، كما اشتركت في هذا الاشتباك بعض القوات العسكرية الاردنية وكانت النتيجة اندحار الوهابيين وارتدادهم الى بلادهم بعد ان تركوا مئات القتلى ٠

وكان هذا الهجوم هو آخر هجوم قام به الوهابيون على الاراضي الاردنية وتلقوا منه درسا حاسما ٠

وفي حزيران وقعت حوادث على الحدود السورية وهاجمت بعض العصابات المراكز الفرنسية في حوران اسفرت عن مقتل بعض الفرنسيين ٠

وفي ١٩ آب عاد الفقيد من الحجاز فقدمت له السلطات البريطانية في فلسطين انذارا بسبب هذه الحوادث وضمنه بعض المطالب وهددت باتخاذ اجراءات عسكرية عنيفة في حالة عدم قبولها فوافق الفقيد عليها بألم ومرارة وتم ابعاد عدد من احرار سورية اللاجئين الى الاردن بسبب هذه الحوادث ٠

وفي هذا العام أعلن ضم العقبة ومعان الى شرقي الاردن بناء على مباحثات جرت بين الفقيد ووالده وعين غالب الشعلان واليا وقائدا عسكريا لها وقد جرت مراسيم هذا الضم رسميا في عهد الملك علي ٠

وفي هذا العام نشبت الحرب بين الحجاز ونجد وكان النصر حليف السعوديين وتنازل المغفور له الحسين بن علي عن العرش لنجله الامير علي ، وغادر جدة في طريقه الى العقبة حيث بلغها في تشرين الاول من السنة المذكورة ٠

وفي ٢٨ ايار وجهت الحكومة البريطانية انذارا الى الحسين تطلب اليه مغادرة العقبة فرفض الانذار وأصر على البقاء وكادت تتأزم الامور ، وقد اضطر أخيرا الى الاذعان فنزل الى البارجة البريطانية التي ابحرت به الى قبرص وظل فيها منفيا حتى اشتد عليه المرض ونقل الى عمان ولقي حتفه فيها عام ١٩٣١ ٠

وبموجب معاهدة لوزان انفصلت شرقي الاردن من جهة دولية فنية عن الدولة العثمانية واعتبرت الصلح ساري المفعول بالنسبة لشرقي الاردن اعتبارا من يوم ٦ آب سنة ١٩٢٤ ٠

ونتيجة لذلك عقد مؤتمر في الاستانة للديون العمومية العثمانية في شهر تشرين الاول من العام المذكور وتقرر ان يكون نصيب الاردن من تلك الديون مليونا ونصف من الجنيهات ٠

وفي هذا العام طلبت الحكومة الانكليزية رسميا حق الاستئثار بمنح الامتيازات واستغلال الثروة الطبيعية في البلاد فرفض الفقيد ذلك باعتبار ان هذا حق الشعب يجب أن ينظر فيه المجلس النيابي ·

سنة ١٩٢٥

في ١١ شباط صدر قانون تسجيل النفوس على أن يبدأ التسجيل في اول نيسان ·

وفي آب ١٩٢٥ أعلن ان على جميع الاشخاص العثمانيين من غير الاردنيين ان يختاروا خلال سنتين (اعتبارا من تصديق معاهدة الصلح في ٦ آب ١٩٢٤) ـ التابعية الاردنية او يلتحقوا بأية بلاد اخرى من البلاد العثمانية السابقة التي كانوا يقيمون فيها ·

وفي تشرين الثاني عقدت اتفاقية بين الحكومة البريطانية بصفتها الدولة المنتدبة على شرقي الاردن وبين سلطان نجد عبد العزيز آل سعود تتعلق بتخطيط الحدود بين البلدين ·

سنة ١٩٢٦

في ٢٦ ك٢ اصدر الفقيد أمرا بتمرين اهل البلاد على خدمة الحكومة وترجيح ارباب الكفاءة والاقتدار على غيرهم ·

وفي شباط هجم اهالي قرية وادي موسى على مخفر الدرك ودار الحكومة ونهبوا خيول الجند والتجهيزات والذخائر واوراق الحكومة وطردوا الموظفين وهاجموا العمال الذين كانوا يعملون في شق الطريق بين معان ووادي موسى ، واسفرت عن وقوع بعض القتلى وقد بادرت حكومة الركابي الى قمع هذه الحركة وفرضت على ألاهالي المتمردين غرامة واعتقلت عددا من المتهمين ، وظهر ان سبب هذه الحركة انتشار بعض الشائعات المضللة عن تصرفات الحكومة ونواياها ·

وفي ٤ ايلول صدر العفو عن المسؤولين عن هذه الاضطرابات ·

وفي ١٢ حزيران قدم الركابي استقالته من رئاسة الحكومة بسبب حالته الصحية ·

وفي ٢٦ حزيران قام السيد حسن خالد بتأليف الحكومة التي أطلق عليها المجلس التنفيذي ومن أعضائها الشيخ حسام الدين جارالله والسادة

عارف العارف ورضا توفيق وعبد الرحمن غريب والمستر الن كركبرايد ، وبين اعضاء هذا المجلس اربعة من الموظفين المستشارين من حكومة فلسطين وهم الشيخ جار الله وعارف العارف وعبد الرحمن غريب وكركبرايد (الانكليزي) وقد تمكن الفقيد بمساعيه الخاصة من اخراج العضو البريطاني من المجلس التنفيذي وحل محله مدير المعارف السيد اديب وهبه ·

ويلاحظ أن دوائر الحكومة امتلأت في عهد حكومة حسن خالد بالموظفين المستشارين من عرب وانكليز ·

سنة ١٩٢٧

في ٥ اذار وافقت حكومة حسن خالد على منح شركة الكهرباء الفلسطينية المعروفة وهي شركة صهيونية يرأسها (روتمبرغ) حق استخدام مياه نهري الاردن واليرموك لتوريد وتوليد وتوزيع القوة الكهربائية داخل فلسطين وشرقي الاردن ·

وفي هذا الشهر تأسس اول حزب في البلاد ، وهو حزب الشعب الاردني برئاسة السيد هاشم خير ·

سنة ١٩٢٨

في ٢٠ شباط وقعت حكومة حسن خالد معاهدة مع بريطانيا ، وقد جعلت هذه المعاهدة مقدرات شرقي الاردن في قبضة بريطانيا ، وكان من نتائجها ضم منطقة الحمة الى فلسطين ·

وفي ١٦ نيسان نشرت الحكومة البريطانية القانون الاساسي (الدستور) لشرقي الاردن دون استشارة ابناء البلاد رغم محاولة الفقيد ادخال تعديلات عليه وهو ينص على تأليف مجلس تشريعي ضمن صلاحيات معينة ، وقد اعترض زعماء الاردن على هذا القانون في مذكرة رفعوها الى الفقيد فوافق عليها الفقيد ولكن المعتمد البريطاني أصر على رفضها ·

وفي ٦ حزيران قرر المجلس التنفيذي الموافقة على طلب شركة الكهرباء الفلسطينية المتضمن انشاء قرية في اراضينا الواقعة بالقرب من جسر المجامع وتكون تابعة في اعمالها للواء اربد ·

وفي ٢٥ تموز عقد مؤتمر شعبي عام في عمان حضره نحو ١٥٠ من الزعماء والشيوخ والمفكرين برئاسة حسين الطراونه ، ووضعوا ميثاقا اعلنوا

فيه اعتبار امارة شرقي الاردن دولة مستقلة تدار بحكومة دستورية برئاسة صاحب السمو الملكي الامير عبد الله ، ورفض الانتـــداب وتشجيـــب الوطن القومي اليهودي وغير ذلك من الامور الداخلية وانتخبوا لجنة تنفيذية لمتابعة قرارات المؤتمر والعمل على تنفيذها ورفع وفد من الاعضاء المقررات الى الفقيد فبادر الى استدعاء المعتمد البريطاني وسلمه نص المقررات فـرد عليها بكتاب وجهه الى الفقيد رفض فيه باسم حكومته اقرار هذه المقررات ، وقد أمر الفقيد باذاعة نص كتاب المعتمد ٠

وفي ١٦ آب أرسل رئيس المؤتمر كتابا الى المعتمد البريطاني شـرح فيه وجهة نظر المؤتمر وطلب مساعدته في تنفيذ المقررات ٠

وفي كانون ١ قدمت اللجنة التنفيذية للمؤتمر مذكرة الى المنـــدوب السامي بمناسبة زيارته لعمان بسطت فيه استنكار البلاد للمعاهدة وتدخل المعتمد البريطاني في شؤون الحكومة والاحتجاج عـلى قـانون الانتخاب واستنكار اعمال الحكومة القائمة ٠

سنة ١٩٢٩

في ٦ كانون الثاني وافقت الحكومة المعروفة باسم المجلس التنفيذي على شروط الامتياز لتعدين املاح البحر الميت وقد حصلت شركة البوتاس الفلسطينية ، وهي شركة يهودية على هذا الامتياز على أن يكون لشرقي الاردن حصة من الفوائد التي ستدفعها الشركة ٠

وفي ٢ نيسان انعقد المجلس التشريعي الاول بعد اجراء انتخابات اعضاء المجلس وعددهم ستة عشر عضوا وقد افتتحه الفقيد بخطاب نوه فيه بضرورة السير الوئيد لنكون بنجوة عن الغوائل والعثرات مخافة الصدمة وما ينجم عنها من آفات واعلن ان الاتفاق المعقود بين شرقي الاردن وبريطانيا سيوضع بين ايدي أعضاء المجلس وقال : ــ اننا كلما ارتقينا في معارج النجاح نجمت بواعث تحملنا على التنقيح كما ينص على ذلك الاتفاق نفسه ، وانه لمن الحزم ان نحكم الاساس توطيد للبناء فنستطيع اتقان تنظيمه كلما ارتفع صعـــدا ٠

وقد قدم عدد من اعضاء المجلس مذكرة الى رئيس المجلس وهو في الوقت نفسه رئيس الحكومة اعربوا عن استعدادهم لتصديق المعاهدة مع المطالبة بادخال بعض التعديلات فاعتبر الجانب البريطاني هي المذكـرة بمثابة تصديق المعاهدة ، وقد اعتبرت اللجنة التنفيذية للمؤتمر الوطنـــي حزبا سياسيا في ١٠ نيسان ٠

ومما يجدر ذكره ان الفقيد امر فتح ابواب البلاد لاستقبال رجال الثورة السورية وزعماء سورية السياسيين الذين يلجؤون اليها وتوفير اسباب الراحة لهم وعين المجاهد زيد الاطرش شقيق سلطان الاطرش قائد الثورة مرافقا فخريا لــه ٠

وفي ٧ آب استقال رئيس الحكومة السيد حسن خالد ابو الهدى ثم أعاد تشكيلها بعد ان أطلق على رئيس الحكومة اسم (رئيس الوزراء) بدلا من (رئيس النظار) ومن أعضاء وزارته ابراهيم هاشم وتوفيق ابو الهدى وعلاء الدين طوقان وعوده القسوس وسعيد المفتي ٠

سنة ١٩٣٠

في هذا العام وصل الكابتن غلوب الى عمان وعمل مساعدا للفريق بيك باشا قائد القوات الاردنية على أن تتناول مهمته تجنيد البدو للمحافظة على الامن في الصحـــراء ٠

سنة ١٩٣١

في ١١ كانون الثاني وقعت اتفاقية منحت بموجبهـا شركـة بترول العراق حق امتياز مد انابيب البترول في أراضي شرقي الاردن ٠

وفي ٩ شباط أمر الفقيد بحل المجلس التشريعي بسبب رفضه الموافقة على ملحق للموازنة قدمته حكومة حسن خالد ابي الهدى ٠

وفي ٢١ شباط قدم ابو الهدى استقالة حكومته بعد ان تبـــرم الشعب بتصرفات حكومته وتذمر من سياستها ، وفي ٢٢ شباط تألفـــت الوزارة الجديدة برئاسة الشيخ عبد الله سراج ومن اعضائها السادة توفيق ابو الهدى وعمر حكمت وشكري شعشاعة واديب الكايد وعوده القسوس ٠

وفي ٢٦ آذار عقدت معاهدة بين شرقي الاردن والعراق اعترفت بموجبها الحكومتان باستقلال كل منهما واتفقتا على أن تكون العلاقات بينهما قائمة على أساس التعاون الوثيق ٠

وفي اول حزيران جرت انتخابات المنتخبين الثانويين لاختيار أعضاء المجلس التشريعي الثاني وفي ١٠ حزيران عقد المجلس المذكور دورته الاولى ، وفي ١٢ آب رفع المجلس المذكور مذكرة الى الفقيد يطلب فيها السعي لتعديل المعاهدة البريطانية وقد ايد الفقيد الطلب وكتب بذلك الى المندوب السامي ٠

سنة ١٩٣٢

وفي ١٢ شباط رد المندوب السامي البريطاني على طلب الفقيد بتعديل المعاهدة بأن الوقت الحاضر لا يسمح بذلك ، وفي ٥ آذار كتب الفقيد مرة ثانية الى المندوب السامي بشأن ضرورة تعديل المعاهدة ، وفي ١٣ أيار أجاب المندوب السامي على مذكرة الفقيد بشأن تعديل المعاهدة بأنه لا يستطيع حاليا تلبية الطلب ٠

وفي ١٢ كانون الاول كتب الفقيد مرة اخرى الى المندوب السامي البريطاني بهذا الصدد وطلب اليه ان يرفع طلبات شرقي الاردن الى حكومته ومن ضمنها فصل السلطة التنفيذية عن السلطة التشريعية وان يشمل التعديل نصوص المعاهدة والقانون الاساسي ٠

سنة ١٩٣٣

في ٢٨ كانون الثاني اجاب المندوب السامي البريطاني على مذكرة الفقيد بشأن رفع طلبات شرقي الاردن الى حكومته بأنه سيرسلها الى وزير المستعمرات في القريب العاجل ٠

وفي اذار توسط المغفور له الملك فيصل الاول لاصلاح ذات البين بين حكومتي شرق الاردن والمملكة العربية السعودية ، واعترفت كل منهما بالاخرى ، وفي ١٩ حزيران وجه السكرتير العام للحكومة الاردنية السيد توفيق ابو الهدى كتابا الى المعتمد البريطاني لخص فيه مطالب ومقترحات المجلس التشريعي وطلب في كتابه من المعتمد المذاكرة مع المندوب السامي ووزارة المستعمرات حول هذه الشؤون ٠

وفي ٢٧ تموز تم توقيع معاهدة صداقة وحسن جوار بين الحكومتين وان يقوم بينهما سلم دائم ٠ وفي تشرين الاول بعث الفقيد الى المندوب السامي في فلسطين مذكرة احتج فيها على تدفق اليهود على فلسطين ومحاولتهم استغلال قضية طردهم من المانيا ، وفي ١٨ تشرين الاول أقيلت حكومة الشيخ عبدالله سراج وكلف السيد ابراهيم هاشم بتأليف الحكومة ومن اعضائها شكري شعشاعة وعودة القسوس وسعيد المفتي وهاشم خير وقاسم الهنداوي ٠

سنة ١٩٣٤

في ٢ حزيران توجه الفقيد الى لندن حيث تباحث مع كبار المسؤولين في وزارة المستعمرات بشأن تعديل المعاهدة وعاد الى البلاد في ٢٠ تموز بعد ان عقد اتفاق جديد مع بريطانيا اعتبر ملحقا للمعاهدة الموقعة في ٢٠ شباط ١٩٢٨ واشتمل على عدة تعديلات للمعاهدة ٠

وفي ٢٥ تموز وجه الفقيد مذكرة شديدة اللهجة الى المندوب السامي في فلسطين وشرق الاردن حمل فيها على الهجرة اليهودية وطريقة تطبيق وعد بلفور وأشار الى مخاوف العرب من استمرار السياسة القائمة ٠

وفي ١٦ تشرين الاول جرت انتخابات المجلس التشريعي الثالث وعقد دورته الاولى في ١ تشرين الثاني ٠

سنة ١٩٣٦

في أيار وجه الفقيد مذكرة الى الحكومة البريطانية طالب فيها بوقف الهجرة الاولى لتهدئة خواطر العرب وحملها على انصاف أهل البلاد ٠

وفي ١٠ تموز وجه الفقيد الى السير أرثور واكوب المندوب السامي البريطاني في فلسطين رسالة نوه فيها بالاخطار التي تهدد العرب في فلسطين من جراء طغيان اليهود واستفحال الحركة الصهيونية وهياج أبناء الاردن وتحفزهم لمساعدة اخوانهم في فلسطين ويطلب المبادرة الى حل هذه القضية وتحقيق اماني العرب ٠

وفي ٩ تشرين الاول اشترك الفقيد مع الملك عبد العزيز سعود والملك غازي في توجيه نداء الى عرب فلسطين يدعونهم فيه للاخلاد الى السكينة حقنا للدماء ٠

سنة ١٩٣٧

في ١٠ كانون الثاني ارسل الفقيد مذكرة الى اللجنة الملكية التي اوفدت للتحقيق في فلسطين عرض فيها أماني العرب وحقوقهم وفند مزاعم اليهود وادعاءاتهم ٠

وغادر الفقيد شرقي الاردن في نيسان الى لندن لحضور حفلات تتويج الملك جورج السادس وقد قدم المجلس التنفيذي الى الفقيد قبل سفره مذكرة تتضمن عدة مطالب هامة لتحقيق أماني البلاد ٠

وفي ايلول قررت الحكومة السماح بتأليف حزب الاخاء الاردني ٠

وفي ١٦ تشرين اول جرت الانتخابات للمجلس التشريعي الرابع ٠

سنة ١٩٣٨

في ٥ حزيران بعث الفقيد برسالة الى الدكتور عبد الحميد سعيد

رئيس جمعية الشباب المسلمين في مصر تناول فيها قضية فلسطين والحلول العملية التي يراها صالحة ٠

وفي ٢٧ ايلول قدمت وزارة ابراهيم هاشم استقالتها وفي اليوم التالي تم تأليف حكومة برئاسة السيد توفيق ابو الهدى وهي تحمل اسم (المجلس التنفيذي) ومن اعضائها احمد السقاف وعبدالله الحمود وخلف التل ونقولا غنما وهاشم خير ٠

وفي تشرين الثاني وجهت الحكومة البريطانية الدعوة الى الحكومة الاردنية وحكومات العراق ومصر واليمن والسعودية لعقد مؤتمر في لندن يجري فيه بحث قضية فلسطين وبعد انعقاد المؤتمر اصدر رئيس الحكومة البريطانية الكتاب الابيض الذي تضمن انشاء دولة مستقلة في فلسطين بعد عشر سنوات ٠

سنة ١٩٣٩

في كانون الثاني سافر رئيس الحكومة السيد توفيق ابو الهدى الى لندن بتكليف من الفقيد لتمثيل شرقي الاردن في المؤتمر الذي عقد من أجل قضية فلسطين بين الحكومة البريطانية والدول العربية ٠ وقد قام بمفاوضات مع كبار المسؤولين البريطانيين اسفرت عن تعديل المعاهدة الاردنية البريطانية والدول العربية ٠ وقد قام بمفاوضات مع كبار المسؤولين البريطانيين اسفرت عن تعديل المعاهدة الاردنية البريطانية والقانون الاساسي وتبديل المجلس التنفيذي الى مجلس وزراء وجعله مسؤولا أمام أمير البلاد ٠

وفي ١٦ ايار اصدرت الحكومة البريطانية بيانا رسميا اقرت فيه تلك التعديلات ، وفي حزيران تولى الزعيم غلوب قيادة الجيش الاردني بعد استقالة بيك ٠

وفي ٦ آب رفع السيد ابو الهدى استقالة حكومته نتيجة لتعديل القانون الاساسي ثم الف حكومة جديدة برئاسة السيد ابي الهدى من أعضائها السادة أحمد السقاف ورشيد المدفعي وعبد الله النمر ونقولا غنما وعلي الكايد ٠ وقد ضمت هذه الوزارة لاول مرة في تاريخ الاردن وزراء للداخلية والدفاع والمالية والتجارة والزراعة والمواصلات ، وأخذت تسعى للتخلص من الموظفين المعارين من حكومة فلسطين ٠

وفي ايلول اندلع اوار الحرب العالمية الثانية وقد وقف الفقيد موقف المؤيد للحكومة البريطانية في هذه الحرب وابرق الى ملك بريطانيا بهــذا الصدد وفي ١٦ ايلول تلقى الملك برقية شكـر وتقدير ، وقـد وجـه الفقيد بهذه المناسبة كلمة الى الامة العربية برر فيها موقفه هذا ودعاها الى الاطمئنان والثقة حتى تأزف ساعة الظفر وتحقيق الامنية القومية ٠ .

واتخذت الحكومة بعض التدابير للقيام بالتزاماتها نحو دولة الانتداب ولتأمين سلامة الدفاع وبموجب قانون الدفاع اصبح لرئيـس الوزراء صلاحيات واسعة ٠

وفي ١٦ ايلول اعلن رئيس الوزراء ان دولة المانيا تعتبر دولـــة معاديــة ٠

سنة ١٩٤٠

وفي ٩ آذار عدلت وزارة توفيق ابو الهدى بسبب وفاة عبد الله النمر وزير المالية وتم التعديل بتعيين نقولا غنما وزيرا للمالية وعبد المهــدي الشمايله وزيرا للتجارة والزراعة ، وفي ٢٤ ايلول رفع رئيس الوزراء توفيق أبو الهدى استقالة وزارته فعهد اليه باعادة تأليفها ومن أعضائها السقــاف وشعشاعة وحكمت وغنما والكايد ٠

سنة ١٩٤١

في شهر نيسان وقع انقلاب عسكري في العراق تزعمه السيد رشيد عالي الكيلاني وبعض الضباط فالتجأ الامير عبدالاله الوصي على عرش العراق وبعض كبار المسؤولين العراقيين الى عمان ٠

وفي ١٦ ايار اذاع الفقيد بيانا الى الشعب الاردني تحدث فيه عـن الانقلاب الذي وقع في العراق بواسطة السيد رشيد عالي الكيلاني ، وفي هذا الشهر نفسه تمكنت القوات البريطانية من اخمــاد ثـورة العراق بالاشتراك مع القوات الاردنية فعاد الامير عبد الله مع رجاله الى بغداد وارسل بتاريخ ٣ حزيران رسالة شكر الى عمه ٠

وفي حزيران اشتركت القوات الاردنية في الهجوم الذي قامت بــه القوات البريطانية على القوات الفرنسية الموالية لحكومة فيشي (المحورية) واحتلت القوات الاردنية عدة مواقع في سورية ٠

وفي ٢٧ تموز قدم السيد توفيق ابو الهدى استقالة وزارته فعهد اليه بتأليف الوزارة الجديدة ومن أعضائها أحمد السقاف وسمير الرفاعي ونقولا غنما وعبد المهدي الشمايله وعبدالله الكليب ٠

وفي حزيران ادلى المستر ايدن وزير الخارجية البريطانية بتصريح اشار فيه الى تأييد حكومة الاستقلال في سورية وانها (أي الحكومة البريطانية) تتمنى لو يجمع العرب كلمتهم وينشئوا رابطة اتحادية فيما بينهم ٠

وفي اول تموز استعرض مجلس الوزراء الاردني الموقف العام اثر هذا التصريح واتخذ قرارا ببذل المساعي للاتصال بالحكومات العربية لايجاد نوع من الوحدة العربية ٠

وفي شهر ايلول زار عمان المستر لتلتون عضو وزارة الحرب البريطاني بناء على دعوة وجهها اليه الفقيد للمداولة في الشؤون العربية وقد اجرى مباحثات مع الحكومة الاردنية صدر على أثرها بلاغ رسمي حول استعداد بريطانيا لمساعدة العرب في الحصول على أمانيهم القومية ٠

وفي ٢٣ تشرين الثاني كتب الفقيد رسالة للمستر لتلتون انتقد فيها سياسة الفرنسيين في سورية ، وطلب منه اعلامه عن نتائج زيارته لعمان ومباحثاته فيها وقد تلقى الفقيد جوابا غامضا ٠

سنة ١٩٤٢

في ٦ كانون الثاني قدمت الحكومة الاردنية مذكرة للمعتمد البريطاني طالبت فيها بمنح شرقي الاردن استقلالا والسعي مع فرنسا لمنح سورية ولبنان استقلالهما الكامل لكي تتمكن هذه الاجزاء الثلاثة من تحقيق وحدتها الطبيعية ٠

وفي ١٨ حزيران عدل قانون الانتخاب وجرت الاستعدادات لانتخاب أعضاء المجلس التشريعي الخامس ٠

وفي ٢٠ تشرين الاول تمت الانتخابات وعقد المجلس التشريعي جلسته الاولى ٠

سنة ١٩٤٣

في ٨ نيسان وجه الفقيد نداء الى الشعب السوري والعالم العربي

دعا فيه الى مشروع وحدة او اتحاد سوري شامل . وفي ١٨ آيار رفع السيد ابو الهدى استقالة وزارته فعهد اليه بتأليفها للمرة الخامسة ومن أعضائها السادة احمد السقاف وشكري شعشاعة وسمير الرفاعي وعبد الرحمن رشيدات والدكتور حنا القسوس ، وفي تموز بدأت المشاورات بين الحكومات العربية لانشاء جامعة الدول العربية .

وفي ٤ تشرين الثاني ارسلت الحكومة مذكرة الى الحكومة البريطانية تذكرها بضرورة الاعتراف باستقلال شرق الاردن اسوة بما حصلت عليه سوريه ولبنان .

سنة ١٩٤٤

في ٢ شباط قدمت الحكومة مذكرة الى الحكومة البريطانية أعربت فيها عن أسفها لعدم تلقيها ردا على المذكرات الكثيرة التي قدمتها بشأن الاعتراف باستقلال البلاد .

وفي ٣ آذار أبرق الفقيد لرئيس الولايات المتحدة الامريكية يلفت نظره الى موقف الكونغرس لموالاته لليهود وطلب عدم اتخاذ أي قرار بتغيير الوضع الاساسي في فلسطين ما لم تؤخذ مشورة العرب واليهود التامة .

وفي ١٦ حزيران تلقت الحكومة جوابا على هذه المذكرة ، وقد أعربت فيها الحكومة البريطانية عن ترحيبها بعقد معاهدة جديدة مع شرق الاردن ووجوب وضعه على قدم المساواة مع شعوب الاقطار العربية المجاورة .

وفي ١٣ أيلول وافقت الحكومة على تأليف حزب بأسم حزب اللجنة التنفيذية للمؤتمر الاردني .

وفي ١٤ تشرين الاول قدم توفيق ابو الهدى استقالة حكومته وصدرت الارادة السامية بتكليف السيد سمير الرفاعي بتأليف الوزارة الجديدة ومن أعضائها الشيخ فهمي هاشم والسادة سعيد المفتي ومسلم العطار وهاشم خير ونقولا غنما ، وقد اشترك رئيس هذه الوزارة في المباحثات العربية التي أدت الى توقيع ميثاق جامعة الدول العربية .

سنة ١٩٤٥

في ٢ نيسان أبرم الفقيد ميثاق جامعة الدول العربية التي تألفت

من مصر والعراق والسعودية وسورية ولبنان والعراق وشرقي الاردن ٠

وفي ١٨ أيار استقالة وزارة الرفاعي فعهد الى السيد ابراهيم هاشم بتأليف الوزارة الجديدة ومن أعضائها ، توفيق ابو الهدى والشيخ فهمي هاشم وسعيد المفتي ومسلم العطار ونقولا غنما ٠

وفي آب جرى تعديل في الوزارة ، اذ عين محمـــد الشريقي وزيرا للخارجية والمالية والاقتصاد وعمر مطر وزيرا للمواصلات اثر استقالـــة ابو الهدى وسعيد المفتي ٠

سنة ١٩٤٦

في ٢٠ شباط توجه الفقيد مع رئيس حكومته ابراهيم هاشم الى بريطانيا حيث أجرى مفاوضات مع الحكومة البريطانية أسفرت عن الغاء الانتداب على شرقي الاردن والاعتراف باستقلالها ، وعقدت معاهدة صداقة وتحالف بين الحكومتين وقعت في ٢٢ آذار ٠

وفي آذار وصلت الى عمان لجنة مشتركة للتحقيق في قضية فلسطين أوفدتها كل من بريطانيا والولايات المتحدة الامريكية وقدمت الحكومة الاردنية مذكرة لهذه اللجنة عرضت فيها حقوق العرب في فلسطين وفندت ادعاءات اليهــود ٠

وفي ١٥ أيار اتخذ مجلس الوزراء قرارا باعلان « رغبة البلاد الاردنية في أن تكون دولة مستقلة استقلالا تاما على أساس النظام الملكي النيابي ، مع بيعة سيد البلاد ومؤسس كيانها عبد الله بن الحسين المعظم ملكا دستوريا على رأس الدولة الاردنية » ٠

وفي ٢٢ أيار عقد المجلس التشريعي دورة فوق العادة وافق فيها بالاجماع على تعديل القانون الاساسي لشرقي الاردن بحيث تحل الكلمات صاحب الجلالة محل الكلمات (صاحب السمو الامير) والكلمات (المملكـــة الاردنية الهاشمية) محل كلمات امارة (امارة شرق الاردن) حيثما وردت في القانون الاساسي ٠

وفي الساعة الثامنة من صباح يوم السبت ٢٥ أيار عقد المجلس الاردني جلسته الثالثة لدورته فوق العادة الاولى وأصدر بالاجماع قراره التاريخي باعلان استقلال البلاد ومبايعة الملك عبد الله واقرار تعـــديل القانون الاساسي ورفع القرار الى الفقيد وقد وشحه جلالتـــه بالعبارة

التالية (متكلا على الله تعالى أوافق على هذا القرار شاكرا لشعبي واثقا بحكومتي) ثم جرت مراسيم تقديم البيعة بحضور أعضاء المجلس التشريعي وممثلي الدول وزعماء البلاد ووفود الاقطار العربية ٠

وتقرر اعتبار يوم ٢٥ أيار عيدا قوميا ٠

وفي حزيران عقد مجلس الجامعة العربيـــة اجتماعا فوق العادة في بلودان واتخذ مقررات سرية تتعلق بتدخل العرب مباشرة لتأييد حقوق عرب فلسطين ٠

وفي آب عينت الحكومة الاردنية الشريف عبد المجيد حيدر أول وزير مفوض لها في لندن ٠

وفي ٨ آب عقد اتفاق لتنظيم مرور الزيوت المعدنية بواسطة شركة خط الانابيب عبر البلاد العربية (التابلاين) ٠

وفي أيلول وتشرين الاول اشتركت الحكومة الاردنية في المؤتمـــر الذي عقد في لندن بطلب من الدول العربية للمفاوضـــة بشأن فلسطين وعرضت فيه بريطانيا مشروعها المعروف بأسم (مشروع موريسون) ورفض المندوبون العرب هذا المشروع وقدموا مشروعا مقابلا فرفضته بريطانيا ٠

سنة ١٩٤٧

في أول ك٢ توجه الفقيد الى تركيا تلبية لدعوة رئيس جمهوريتهـا عصمت اينونو يصحبه وزير الخارجية السيد محمد الشريقي وقد عقدت بهذه المناسبة معاهدة صداقة ومودة بين الحكومتين ٠

وفي ٨ كانون ثاني قدمت الحكومة البريطانية مشروعا للدول العربية عرف بأسم (مشروع بيفن) ولكن العرب رفضوه ٠

وفي ١٧ آذار صدرت الارادة الملكية بأن يلقب سمو الامير طلال بلقب « ولي العهد » وأن يمنح حق استعمال هذا اللقب ويتمتع بجميـع المزايا المتعلقة به ٠

وفي ٤ شباط استقالت وزارة ابراهيم هاشم لتفسح المجـــال لحكومة تتولى الانتخابات للمجلس النيابي بعد وضع الدستور الجديد ، فعهد للسيد سمير الرفاعي بتأليف الوزارة ومن أعضائها الشيخ محمـــد أمين الشنقيطي والسادة عباس ميرزا وعمر مطر وسليمان النابلسي وبشارة غصيب ٠

وفي ١٤ نيسان عقدت معاهدة أخوة وتحالف بين المملكتين الاردنية والعراقيـــة ٠

وفي ١٦ نيسان نشرت الحكومة قانون الانتخابات لمجلس النواب وعين يوم ٢٠ تشرين الاول موعدا للانتخابات ٠

وفي ٧ أيار رخص لحزبين سياسيين وهما حزب النهضة العربيـة وحزب الشعب الاردني ٠

وفي حزيران أوفدت هيئة الامم الى فلسطين لجنة تحقيق دولية وقد رفضت حكومة الاردن التقسيم وانشاء وطن قومي لليهود ودعت الى اقامة دولة فلسطينية يشترك بها العرب واليهود بنسبة عددهم ٠

وفي ٤ آب أذاع الفقيد بيانا عاما دعا فيه الى الاسراع في تحقيـق الوحدة في الديار الشامية والهلال الخصيب بالفعل لا بالقول ، وقد أعلنت سورية ولبنان والسعودية معارضتها لهذه الدعوة ٠

وفي ٨ كانون اول عقد مجلس الجامعة العربية في القاهرة اجتماعا حضره رؤساء الحكومات العربيـــة وبحثوا القضية الفلسطينية على ضوء التقرير الذي أصدرته هيئة الامم بتقسيم فلسطين فقرروا ان التقسيم باطل من أساسه ٠

وفي ١٤ كانون الاول اشتبكت احدى كتائب الجيش الاردني المرابطة في معسكر بيت نبالا (في فلسطين) بقافلة يهودية وقتلت ١٢ قتيلا يهوديا وجرحت عشرة منهم ٠

وفي ٢٧ كانون أول رفع السيد سمير الرفاعي استقالة وزارته فعهد الفقيد الى السيد توفيق ابي الهدى بتأليف الوزارة الجديدة ومن أعضائها السادة محمد أمين الشنقيطي وهاشم خير وسعيد المفتي وفلاح المدادحـة وفوزي الملقي وسليمان السكر ٠

سنة ١٩٤٨

في ٢٥ كانون الثاني سافر الى لندن وفد اردني مؤلف من السيدين توفيق ابي الهدى وفوزي الملقي والفريق غلوب مستشارا عسكريا والسيد حمد الفرحان سكرتيرا لعقد معاهدة جديدة مع الحكومة البريطانيه مع أن المعاهدة الاخيرة لم يمض على عقدها أكثر من عام ، وقد توصل الجانبان الى عقد معاهدة جديدة تحل محل المعاهدة السابقة ٠

وفي ١٥ آذار تم التوقيع على المعاهدة وصادق الفقيد عليها يوم ٢٨ آذار ٠٠

وفي ٢ كانون ثاني تم تأليف جيش الانقاذ في فلسطين من ثمانية أفواج وقد مر من اربد اول فوج من هذا الجيش في ٩ كانون ثاني ٠

وفي ٩ شباط مرت قافلة يهودية بجانب معسكر الجيش الاردني في حيفا وتحرشت بالجنود الاردنيين فهاجموا القافلة وقتلوا خمسة وجرحوا ٤ من رجال الهاغاناه ٠

وفي ٢٣ نيسان عقد في عمان مؤتمر حضره بعض وزراء الخارجية والمالية والدفاع في الحكومات العربية وحضر الفقيد هذا الاجتماع كما حضره الامير عبد الاله وعبد الرحمن عزام (الامين العام للجامعة العربية) وقرروا انه لا مناص من دخول الجيوش العربية فلسطين لانقاذها ٠

وفي ٢٥ نيسان سافر الوزراء الى القاهرة لاستكمال بحوثهم وتقرر تزويد الجيوش العربية بما تحتاج اليه كما تقرر منح الجيش الاردني مليونا ونصف مليون دينار ٠

وفي ٣٠ نيسان عقد رؤساء أركان الجيوش العربية مؤتمرا في عمان ترأسه الفقيد وحضره عبد الرحمن عزام وتقرر في هذا المؤتمر ان على الدول العربية اعداد ما لا يقل عن ست فرق كاملة التنظيم والسلاح وستة أسراب من الطائرات القاصفة والمقاتلة وتوحيد قيادة القوات العربية٠

وفي ٥ أيار وجه الفقيد نداءا لاهل فلسطين أعرب فيه عن رغبته في حقن الدماء والوصول الى حل سلمي ودعا الفريقين العرب واليهود الى الاشتراك في اقامة حكومة واحدة ، وفي بيان آخر دعا اليهود الى تأسيس حكومة فلسطينية يكون لهم فيها ما للعرب من حقوق وواجبات ، ثم ألقى التبعة عليهم اذا هم أصروا على القتال وقد قال في بيانه هذا مخاطبا اليهود (ان الشوط طويل ، والعرب كثير ، وقد بغيتم ولا نصر للباغي) ٠

وفي ١٤ أيار انسحب الانكليز من فلسطين فاغتنم اليهود هذه الفرصة فاحتلوا مناطق كثيرة ومساحات واسعة من الارض ٠

وفي ١٤ أيار هبطت القوات الاردنية غور الاردن وأصدر الفقيد أمرا يوميا الى جنوده قال فيه (أطلب اليكم جميعا أن تستعدوا الى الخدمة في عملية انقاذ فلسطين ، وأن تتأهبوا للكفاح المشرف ، وأن تربطوا حاضركم بماضي أجدادكم الذين احتفظوا بالكرامة القومية والشهامة العربية) ٠

وفي ١٥ أيار ، وهو اليوم الذي تقرر فيه دخول الجيوش العربية الى فلسطين كان الاردن قد أتم تعبئة قواه العسكرية لخوض المعركة ، واشتركت جماعات تمثل نادي الفضائل الاسلامية والاخوان المسلمين وعشائر الحويطات وبني صخر وعرب البلقاء والعدوان والحديد والجنود القدماء وعملت القيادة الاردنية على تنظيم هؤلاء المجاهدين في وحدات خاصة

وفي ليلة ١٥ أيار أخذت القوات الاردنية تعبر نهر الاردن عن طريق جسر اللنبي وجسر دامية وأخذت تحتل المناطق التي تجتازها في فلسطين ، واستولت على مستعمرات النبي يعقوب وقلندية وكالية اليهودية ·

وقد نشبت بين القوات الاردنية والقوات اليهودية معارك ضارية في الفترة الواقعة بين ١٥ أيار و ٣٠ منه في أحياء القدس واللطرون وباب الواد ومنطقة الخليل كان الظفر في أكثرها حليف الجانب الاردني ، وقد تكبد العدو خسائر فادحة في هذه المعارك واستطاعت القوات الاردنية ان تسيطر على مدينة القدس بعد ان دمرت الكنيس الذي كان يتحصن فيه اليهود وأسرت ١٢٤٩ شخصا ، وبنتيجة هذه المعارك استولت القوات الاردنية على مستعمرات كفار عصيون وريفاروموماسؤوت اسحق وعين تسوريم وتمركزت في اللطرون وباب الواد وأجبرت اليهود على شق طريق جديد الى تل ابيب ·

وفي ٣٠ أيار أمرت الحكومة البريطانية بسحب جميع ضباطها المعارين للجيش الاردني ·

وفي ١ حزيران قامت الطائرات اليهودية بغارة على عمان فألقت عليها ١٤ قنبلة سقط معظمها على مقربة من قصر رغدان والمطار وقتل من جرائها سبعة أشخاص وجرح عشرون ·

وفي ١١ حزيران توقف القتال في جميع الجبهات وبدأت الهدنة بين العرب واليهود بناء على قرار مجلس الامن ·

وفي ٢٢ حزيران توجه الفقيد الى مصر وقابل الملك فاروق ورئيس وزرائه حيث أجرى معهما محادثات حول الوضع العسكري في فلسطين وقد تم الاتفاق على تمديد الهدنة ·

وفي ٢٤ منه سافر الفقيد الى الرياض حيث زار الملك عبد العزيز لازالة سوء التفاهم والبحث في الوضع القائم ، وعرج على بغداد فاجتمع بالامير عبد الاله ورئيس الوزراء واتفقا على الخطة الواجب اتباعها ·

وفي أوائل تموز عقدت اللجنة السياسية للجامعة العربية اجتماعاتها وقررت استئناف القتال على أن تقف القوات العربية موقف الدفاع فلا تقاتل الا اذا هوجمت ·

وفي ١٢ تموز اقتحم اليهود قلعة اللد واحتلوا مدينتي الرملة واللد وقاموا بحملة ارهابية وأرغموا السكان على الفرار من منازلهم فالتجأوا الى الاردن تحت حرارة الشمس المحرقة وهلك كثيرون في الطريق ٠

وفي ١٥ تموز أقر مجلس الامن الاقتراح الامريكي بوقف القتـال ، وفي ١٧ منه توقف القتال في القدس وفي ١٨ تموز بدأت الهدنة في جميع الميادين ٠

وفي اليوم التالي لاعلان الهدنة أذاع الفقيد بيانا خاطب فيـه الشعب الاردني قائلا ما خلاصته : ـ لقد تقررت الهدنة الثانية بضغط من مجلس الامن ولست انت ولا حكومتك ولا ملكك بالمسؤول عنها ، لقد قذفت أيها الشعب الكريم بكل قواتك ومناضليك الى ميدان الشرف فقمت بالواجب ورفعت الاذى عن أهم بقع البلاد المقدسة ٠ واننا لنأمل انه اذا استؤنفت الحرب أن تخوض الامم الشقيقة غمارها بأن تقدم جميع أسبابها الفعالة وقواتها المعدة ٠

وفي ١٧ أيلول اغتال اليهود الـكونت برنادوت الوسيط الدولي بسبب موقفه من القدس ومن صحراء النقب ٠

وفي ١ تشرين الاول تألفت في غزة حكومة (عموم فلسطين) دون موافقة الحكومة الاردنية ٠ وفي ٢٢ تشرين الاول استولى اليهود على بئر السبع ومنطقة النقب ٠

وفي تشرين الاول عقـد اجتماع في عمـان حضره بعض رؤسـاء الحكومات العربية وقادة جيوشها وجرى البحث في امكان تعاون القوات العربية بصورة أكثر فعالية ٠

وفي تشرين أول عقد مؤتمر فلسطيني في عمان وقرر تفويض الفقيد تفويضا تاما في أن يتحدث بأسم عرب فلسطين ٠

وفي كانون الاول عقـد مؤتمر آخر في أريحا ضـم زعماء فلسطين واتخذوا عدة قرارات هامة تتعلق بالوحدة الفلسطينية الاردنية ومبايعة الفقيد ملكا على فلسطين ٠

وقد قررت الحكومة الاردنية على الفور الموافقة على توحيد البلدين الشقيقين واتخاذ الاجراءات الدستورية اللازمة ٠

وفي ١٣ كانون أول اجتمع مجلس النواب الاردني وقرر بالاجماع الموافقة على قرار الحكومة بشأن التوحيد ٠

سنة ١٩٤٩

في ١٣ كانون الثاني بدأت المباحثات المباشرة في رودس باشـــراف الدكتور بانش واستمرت أربعين يوما وانتهت بتوقيع هدنة دائمة بتاريخ ٢٨ شباط .

وفي ٣ ايار قدم السيد توفيق ابو الهدى استقالة وزارته تمهيـــدا لتشكيل حكومة من ابناء البلدين فعهد اليه بتأليف الوزارة الجديدة ومن أعضائها الشيخ محمد امين الشنقيطي وسعيد المفتي وفوزي الملقي وفلاح المدادحة وسليمان سكر (عن الضفة الشرقية) وروحي عبد الهادي وخلوصي الخيري وموسى ناصر (عن الضفة الغربية) ، وفي ٢٥ تموز سافر الفقيد الى ايران وبريطانيا واسبانيا ٠

وفي ١١ آب احدثت وزارة جديدة باسم (وزارة اللاجئين) وعين راغب النشاشيبي وزيرا لها ٠

وفي شهر كانون الاول اعلن حـل مجلس النـواب اعتبـارا مـن ١٩٥٠/١/١ بقصد اجراء انتخابات جديدة تشمل الضفتين وعدل قانون الانتخـــاب ٠

سنة ١٩٥٠

في ١٢ نيسان قدمت حكومة أبي الهـدى استقالتها وكلف السيد سعيد المفتي بتأليف الحكومة الجديدة ومن أعضائها السادة الشيخ امـين الشنقيطي وفلاح المدادحة ومحمد انشريقي وروحي عبد الهادي وفوزي الملقي وسليمان السكر وأحمد طوقان وراغب النشاشيبي وانسطاس حنانيا وسعيد علاء الدين ، وفي ٢٠ نيسان تألف مجلس النواب المنتخب وهـــو يمثل جميع المناطق في الضفتين الشرقية والغربية ، وفي اليوم نفسه صدرت ارادة ملكية بحل مجلس الاعيان وتعيين ٢٠ عضوا نصفهم يمثل الضفـــة الشرقية والنصف الاخر يمثل الضفة الغربية ٠

وفي ٢٤ نيسان عقد مجلس الامة الاردني جلسة افتتحها الفقيد والقى فيها رئيس الوزراء خطاب العرش الذي عبر فيه جلالته عن غبطته لافتتاح مجلس يجمع بين ضفتي الاردن ، وقد قرر المجلس في هذه الجلسة تأييـد الوحدة التامة بين الضفتين واجتماعهما في دولة واحدة هي المملكة الاردنية الهاشمية وعلى رأسها حضرة صاحب الجلالة الملك عبدالله بـن الحسـين

وتأكيد المحافظة على كامل الحقوق العربية في فلسطين ، وفي ٢٧ نيسان اعترفت الحكومة البريطانية بهذه الوحدة ، وفي ١١ تشرين الاول اعاد السيد سعيد المفتي تأليف وزارته بعد اجراء تعديل عليها ومن أعضائها الشيخ عبد الله غوشه والسادة محمد الشريقي وروحي عبد الهادي وفوزي الملقي وسليمان السكر وأحمد طوقان وأنسطاس حنانيا وعبد الرحمن خليفه وهاشم الجيوسي واحمد الطراونه ٠

وفي ٤ كانون الاول قدم السيد سعيد المفتي استقالة وزارته فعهد الى السيد سمير الرفاعي بتأليف الوزارة ومن أعضائها الشيخ عبدالله غوشه والسادة عباس ميرزا وعمر مطر وسليمان النابلسي وراغب النشاشيبي وأحمد طوقان وأنسطاس حنانيا والدكتور جميل التوتنجي وانور الخطيب وهزاع المجالي ٠

سنة ١٩٥١

في ٢٧ شباط وقعت الحكومة اتفاقا مع حكومة الولايات المتحدة يتعلق ببرنامج النقطة الرابعة للتعاون الفني ، وفي ١ آيار وقعت الحكومة اتفاقا مع الحكومة البريطانية لتسوية الشؤون المالية المعلقة نتيجة انتهاء الانتداب على فلسطين ، وفي ٣ أيار صدرت ارادة ملكية بحل مجلس الامة وعين يوم ٢٩ آب موعدا لاجراء الانتخابات ٠

وفي ١٦ تموز اعتدى بعض القوميين السوريين على رياض الصلح فأردوه قتيلا ٠

وفي صباح يوم الجمعة ٢٠ تموز ١٩٥١ استشهد الملك عبد الله في المسجد الاقصى اثناء دخوله المسجد لتأدية فريضة صلاة الجمعة ، تغمده الله برحمته ورضوانه واسكنه فسيح جنانه ٠

اتمام الرسالة

وقد أتممت هذه الرسالة خالصة لله وللحق ، وهي نتاج التجارب والحوادث والايام ، وثمار معالجة السياسة ومقارعة الحرب ، فان وفقت من أدائها فذلك جل ما أبتغي ٠

«عبد الله بن الحسين»

صفحات مطوية

كتبها الملك الراحل وقد افصح فيها عن بعض الاسرار السياسية

راينا ان نختتم الكتاب بهذه الصفحات المطوية من حياة الملك الفقيد كتبها بقلمه في كتاب عرف باسم (الامالي السياسية) عام ١٩٣٩ (اي قبل ان ينشر رحمه الله مذكراته ببضع سنوات) ولكن الكتاب لم ينشر ولا يعرف احد عن مصيره شيئا ، وكان الفقيد قد تلطف بتسليم المؤلف نسخة من هذا الكتاب لينشر بعض فصوله في جريدة الجزيرة فنشر جزءا منها . وها نحن اولا : ننشر بعض محتويات هذا الكتاب وهي كما يرى القراء تشتمل على اسرار سياسية دقيقة ومعلومات تاريخية هامة يجهلها الكثيرون ووثائق جديرة بالنشر .

الحمد لله ذي المن والطول ، والقدرة والحول ، ولي الحق ونصيره ، وما حق الباطل ومبيره ، الصادق وعده ، الغالب جنده ، مانح الرغائب ، وكاشف المصاعب ، قامع كل معاند ، وكل كلف ببث المكايد ، مبتلي الاخيار والابرار ، وعالم نجوى الليل وجهر النهار ، معلي الدرجات ورافعها ، ومزيل البأساء ودافعها ، متبع سالف المنن بنظائرها وأشكالها ، والمجازي على الحسنة بعشر أمثالها ، السابق في الامور علمه ، النافذ فيها حكمه ، ما شاء قدر ودبر ، وخلق وصور ، ناصر الصدق ومديله ، وخاذل المين ومذيله ، العلي مكانه ، الساطع برهانه ، مجزل أجر الصابرين ، وموهن كيد المارقين ، هو الذي الهم أولياءه الرشد ولم يخلف موعده ، وضمن الفوز لمن توكل عليه يومه وغده ، جل عن ادراك صفاته بعد او حد ، ودل بباهر آياته على أنه الولي بكل ثناء وحمد ، شمل البرية فضله ، وعمها عدله ، واليه يرجع الامر كله .

ثم الصلاة والسلام على رسوله الامين ، الذي بعثه رحمة للعالمين ، فبلغ الرسالة ، وأوضح الدلالة ، قد اصطفاه من أشرف الانساب والقبائل ، فقذف بالحق على الباطل ، فكان بشيرا ونذيرا ، وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ، حتى استوسق أمر الهدى واستتب ، ووتبت يدا مناوئه وتب .

نسأله أن يلهمنا انتهاج الطريقة المثلى ، والتمسك بالعروة الوثقى ، وان يوفقنا الى اقوم المسالك ، وأن يجنبنا مرديات المهالك ، فنعمل بأوامره المحكمة ، ونقف عند نواهيه المبرمة ، ونستشعر التقوى فيما نسر ونعلن ،

ونظهر ونبطن ، فنقدع النفس عما تدعو اليه الشهوات ، وتشرئب اليه النزوات ، فنكفها كف الحليم ، ونضبطها ضبط الحكيم ، فان التقوى هي الجنة الواقية ، والذخيرة الباقية ٠

اللهم فاجعلنا من الهادين المهتدين ، التابعين لسنة سيد المرسلين ٠ باحسان الى يوم الدين ، اياك نعبد واياك نستعين ، وعليك فليتوكل المتوكلون وفي مرضاتك سبحانك فليتنافس المتنافسون ٠

ثم أيتها الامة التي أنا منها ، وليس لي حول عنها ، وكل أملي أن أراها تتبوأ أرفع مكان بين الامم ، وأن تكون المصباح الساطع في حنادس الظلم ، انني أتقدم اليك بهذا الكتاب الذي يجمع بين دفتيه بعض ما أديت لك من خدمة ، وما صرفته من مجهود لدفع كل نقمة ، ولست بالذي يمن عليك فيما فعل أو قال ، ولكن لبيان الحقيقة ودحض باطل الاقوال ، وها أنذا أقص عليك صادق الحديث ، من قديم التاريخ الى عهده الحديث :

الخلاف بين العرب والترك

نعم لقد شاء الله أن ابر بوعدي في خطابي الذي ألقيته بدار البلدية وما دمنا على قيد الحياة فقد أحببنا ذكر ما شهدناه وما هو في علمنا من حقائق الوقائع كي لا تكون عرضة للتشويه ، لقد أشار التاريخ الى الوقائع التي حدثت فأدت الى ظهور المسألة الشرقية وذلك لفقدان العالم الاسلامي رئاسة الامة العربية له ، ومبدأ الانحطاط الاسلامي على ما يعرفه المنقبون في التاريخ قد نشأ من غلطة السلطان سليم الاول الملقب بياوز بهجومه على دولتي الشرق ـ ايران ، ومصر ، وضمه مصر الى ممالك الدولة العثمانية وابقائه الحجاز في حالة اهمال وضعف ادى به الى درجة متناهية من حيث النظام والامن والثقافة لقاء صرة سنوية كانت ترسل الى تلك البلاد وتوزع على اشرار الاعراب كي يؤمنوا سبل الحج وبهذا تضمن الخلافة للعثمانيين ٠ أما سيرتهم في اليمن فهي معلومة لما كان من طمع الولاة والقواد وحرصهم على جباية الاموال وتخريب الديار ، وكذلك الحال في مصر يوم كانت ولاية عثمانية فلو بقي سلطانها لكان المصريون شعبا يقوم بما يقتضي لحفظ كيانه واستقلاله تمشيا مع العصر في رقيه واعتلائه ، ولما كانت الدولة العثمانية تضخمت الى ذلك الحد الذي جعل المركز التركي أضعف من أن يقوم بادارة هذه المملكة المترامية الاطراف فوق ان تركيا اوجدت لها خصوما من المسلمين يترقبون الفرص لاعادة مجدهم

المندثر ، ثم كان بعد ذلك ان جاء دور الاستقرار العثماني بزمن السلطان سليمان القانوني وقد طالت مدته وتخطى في حركاتـــه العسكرية تارة بغزوات في تخومه الاوربية وطورا في جزائر البحر الابيض وبدأ بعد وفاة هذا السلطان العظيم دور الانحطاط والتراجع ثم فتن البلقان وانتباه اوربا وبالاخص روسيا ، فما كانت تفوت فترة من الزمن الا وقد نكبت فيهـا الدولة العثمانية بضربة جديدة من هذه الامبراطورية حتى زمن السلطان محمود الثاني الذي أحب أن يحدث نظاما جديدا في الجيش فقضى بضربته المعلومة على « الينشريين » وهو الجيش العثماني القديم وأحدث بدلـــه الجيش العثماني النظامي وفي تلك الاثناء كان ظهور محمد علي الكبير بمصر وفتنة داود باشا ببغداد وظهور الوهابيين بنجد واستيلاؤهم على الحجاز وكادت حينذاك ان تلفظ الدولة العثمانية أنفاسها فأجلها الله الى هذا الزمن الاخير ٠ أما السبب في اضطرار العرب الى الانفصال عـن هـــذه الدولة فمبدأه على ما ارى هو تاريخ اصدار التنظيمات الخيريـــة بزمن السلطان عبد المجيد الاول وتشكيل نظام الولايات ثم بعد ذلك حدث ان كان مدحت باشا ان أعلن الدستور العثماني وهو يقضي باسناد الحاكمية الى الامة ونزعها من سلطة الخلافة واذا قلنا الامة فلا ينبغي ان يفهم القارىء اننا نعني الامة الحاكمة التي ينتمي اليها السلطان ، ومن هذا يرى القارىء كيف ان الجامعة الاسلامية التي كانت تضم الى سلطة السلطان كل العناصر الاسلامية تصدعت بهذا التخصيص فأصبح العرب يرون انهم سلب منهم بعد سلطة الخلافة سلطة الثقافة الاسلامية وأصبحوا رعايا اتراك بـكل معنى الكلمة عدا الفروق المرئية في تفضيل الولايات التركيـة على سائر المملكة بالتعليم والتربية والتوظيف والطرق وسائر ما الى ذلك من فروق ثم تكرر هذا الامر المخيف عند اعلان الدستور أخيرا وفي زمن السلطان عبد الحميد الثاني للمرة الثانية بصورة أفظع ومالوا الى تتريك العناصر وسلب العـرب حتى لسانهـــم ، هنا ابتدأ الشباب العربي يبث الدعوة للانفصال في كل محل ، وكانت الفتن في البلاد العربية عامة شاملة ما عدا البلاد الحجازية فقد قيدت الوقائع حركات حوران والكرك وعسير أيــام الادريسي واليمن في زمن الامام الحالي وكذلك قيد التاريخ كيف أن الملك ابن سعود انتزع الاحساء من يد هذه السلطنة العثمانية ، كل هـــذه الظروف دعت الى الانفصال بعد ان شعر الترك بأنهم هم العنصر الاقل بعد العرب في الجسم العثماني ، فاذا هم تمشوا على الشرائط الدستورية بصورة كاملة عادلة فقدوا الاكثرية في الانتخابات وبذلك عرضوا دولتهم الى انقلاب سلمي قد يعود بسيادة العرب شيئا فشيئا أولا عن طريـق

اللسان وثانيا عن أكثرية برلمانية يحصل لهم منها التغلب في الوازارة وفي سائر الفروع ، فهم أيضا من جانبهم شعروا بهذا الخطر وأخذوا يضغطون في الانتخابات ثم ابتدأوا يلهجون بتتريك العناصر ، وكلا الشعبين في عذر ان هو حرص على حفظ كيانه ، لذلك كان الانقلاب الاخير ضرورة لازمة للشعبين ، وانني لاتمنى من صميم فؤادي أن أرى الامة العربيـــة في قريب من الزمن كالامة الجارة التركية قوة ونظاما واتحادا ثم أود من صميم قلبي للشعبين الشرقيين العظيمين الاخاء والولاء ليثبتا للعالم كلـــه ان الشرق قوة لا تضعف ونور لا يخبو والله الموفق .

أما معلومات الانفصال الفعلي فقد بدأت تظهر بالخلاف الجـدي بين مرامي الاتراك في البلاد العربية وبين حب العرب للتخلص وقد شعرنا بذلك في الحجاز أيضا حيث كان الخصام وكان العـداء المستتر يبدوان بين كل وال يأتي الى الحجاز والامير واضطرت الحالة حينذاك الى ايجاد التفاهم المبدئي بين انجلترا وبين الامة العربية بواسطة أمير مكة وعـــن استخدامي فعلا في هذه المهمة الدقيقة أما ما حدث بعد ذلك فلا يحتاج الى بيان ـ كانت الحرب العامة هي الفرصة المناسبة لاظهار ما تضمره الامة العربية ، ولما تم الاتفاق بين رجالات العرب بسورية على الحـدود والطريقة التي ينبغي المطالبة بها عاد الاخ فيصل الى الحجاز ومعه أختام رجالات سورية بأجمعهم وكانت تتجاوز المئتي ختم موضوعة في كيس ، ومن جملة الاختام التي رأيتها ختم الفريق علي رضا باشا الركابي وختم ياسين باشا الهاشمي الى غير ذلك ، وتلك الحدود هي التي يعبر عنها الانجليز بالحدود التي طلبها شريف مكة ، وعليها بنت الجمهورية التركية نظريتها الاخيرة في قضية السنجق وطالبوا بتحقيق تحفظ بريطانيا في ساحل سورية الغربي والاسكندرونة ، وكان بعد هذا أن تعـين للثورة قوادها وخطتها ، فعاد الامير فيصل من الشام الى المدينة بقصد ظاهري وهو استصحاب المجاهدين الى جبهة القتال فانضم الى أخيه الامير علي بالمدينة وقد طلب العثمانيون مبارحة الامير علي للمدينة الى مكة فخرج معه أخوه فيصل كالمودع لـه فعسكرا في « بئـر الماشي » ومن هناك أرسلا بلاغهما الى القائد فخرى الدين باشا بالمطالب العربية فكانت الثورة في ٩ شعبان المبارك ١٣٣٤ فابتدأت في مكة المكرمـة وجـدة والليث ورابغ والمدينة المنورة ، وأما في الطائف فكانت ان قطعت الاسلاك التلغرافية بين مكة والطائف فقط ، وأما الهجوم فبوشر به بقيادتي يوم ١١ من شعبان حيث اتممت الاستعداد المبدئي ، وحيث كان الطائف مركزا للفرقـــة الحجازية العثمانية ، وكان النصر حليف الجيوش العربية بمكة المكرمـــة

حيث قبض على ناصية الحال في ساعات يسيرة ، أما ما كان من أمر قلعة جياد والجنود الذين تحصنوا في ثكنة « جرول » فقد صابروا اسبوعين ، وأما جدة فقد سقطت بأيدي العرب في اليوم الثالث للثورة ، وقد استمرت الفرقة تدافع في الطائف الى شهر ذي القعدة فاضطرت الى القاء السلاح وعومل والى الحجاز وقائده الفريق غالب باشا وقائد الفرقة القائمقام أحمد بك وقواد التوابير الضباط والافراد بما يجب من الكرامة وحسن المعاملة ، فوق ما طبق نحوهم من حقوق اسرى الحرب أما ما كان في المدينة المنورة فقد هاجم الاميران علي وفيصل الخط الحديدي بين المدينة ومحطة « مخيط » وابتدأت المناوشات بينهما وبين فخر الدين باشا قائد القوات العمثانيـة السفرية ، وكانا يقودان خـيرة الجيوش الهاشمية وأفضــل العشائر الحجازية وانفرد أهل مكة وبعض العشائر باستيلائهم على الجنود التي بهـا ، واستولت عشائر ثقيف وعتيبة وبنو سعد على الطائف معي ، ثم لما ظن فخري باشا انه قد استعد وان الشريف الجديد الذي عين لامارة مكة ووصل الى المدينة وهو المرحوم الشريف علي حيدر باشا بن جابر باشا بن عبد المطلب بن غالب ابتدأ فهاجم الاميرين علي وفيصل في الاحساء وكانت له الغلبة عليهما فتراجع الامير علي (جلالة الملك علــي) الى الجهة الجنوبية من طريق مكة فعسكر في « بئر الماشي » وتراجع الامير فيصل (جلالة الملك فيصل) الى الطريق الساحلية وعسكر في بئر درويش ثم ان فخري الدين باشا لم يمهلهما كي يستجما فهاجمهما مرة أخرى فدفع بالامير علي (جلالة الملك علي) الى « سطح الغاير » وكانت ميمنتــه ترتكز على جبلي برام وعبود ، ودفع الامير فيصل (جلالة الملك فيصل) الى وادي الصفراء ، ثم في الحملة الثالثة دفع الملك علي الى رابغ واضطر الامير فيصل (الملك فيصل) بعد قتال يسير في « نخل ينبع » ا لىالتراجع الى « ينبع البحر » نفسها ، وكاد الامير زيد الذي كان تحرك من مكة مع الامير شاكر بقوات أفرزتها لهما من جيش حصار الطائف أن يؤسر ببئر سعيد ولكن نجا والتحق بأخيه في ينبع ، وكانت تلك الاوقات هي أحرج وقت على الثورة العربية ٠

وكادت تذهب بالسرور الذي حصل من الموفقيات في مكة والطائف وجدة ، هنالك كان شيء من الخوف وكان علينا ان لا نتوانى في التقدم من الناحية السياسية والعسكرية وقد أجمع الرأي على اعلان الاستقلال العربي وعلى مبايعة المنقذ الاعظم ملكا على كافة العرب بقرار والحاح مني انضم الي فيه عزيز علي باشا المصري الذي كان رأسا للاركان حربيـــة ثم اخواننا في الجهاد وهم الشيخ فؤاد الخطيب والشيخ كامل القصاب

والشيخ محب الـدين الخطيب والسيد عارف الداعوق والسيد عـارف الدرويش وقد جرى عرض الامر على المنقذ الاعظم فتأبى وامتنع فدخلـت على جلالته وقلت مع الاحترام العظيم لجلالته ان قرارنا حتم وانه ان لم يقبل سنترك العمل بأجمعنا ، فقبل رحمه الله وكان ما كان من أمر البيعة وعدم ارتياح ممثلي الحلفاء بهذا الشكل ثم كان ان جاءت موافقة الحكومـة الامبراطورية الروسية واعترافها بالامر ببرقية تلقيتها من الموسيو ستورمر وزير خارجية روسية ومن وزير خارجية سيام فبلغت ذلك بصفتي وزيرا للخارجية الهاشمية فأوجب ذلك بين ممثلي الحلفاء شيئا من الاستغراب الدال على الاضطراب ثم اعترف الحلفاء بالاستقلال العربي وبالمملكة العربية في الحجاز فقط بدعوى ان البلاد العربية الاخرى لا تزال تحت يد الاعداء وكنـا نصـر على خطتنـا هـذه تلـك هـي الحالـة السياسية أما حالة الجيوش العربية في الشمال آنذاك فقد وصلت الى منتهى الضعف ولجأ الامير علي الى رابغ كما أسلفت محتميا بالاسلاك الشائكة وكذلك الحالة في ينبع مع الامير فيصل وقد أطلت طلائع الاتراك على نفس ينبع البحر ونزلت جيوش فخري الدين باشا الى جهة الامير علي الى « بئـر قيضي » في تهامة ٠

وكان الطريق ـ خلص ـ عسفان مفتوحا لهم ، وكان الشيخ حسين بن مبيريك شيخ رابغ الموالي للعثمانيين متحصنا في « حجر » وهي بلدة ذات نخل شرقي رابغ بين « الحرة » وبين جبال السراة ، ففي مثل تلـك الاونة كانت القيادة العليا العربية برابغ تصر على لزوم التحاقي بها في رابـغ مع القوات التي افتتحت بها « الطائف » وكنت لا ارى هذا الرأي فرفضت هذه الخطة واكتفيت بما كنت قد بعثت من قواتي وانا لا ازال في حصار الطائف مع الاميرين الاخ زيد بن الحسين والمرحوم شاكر بن زيد عـلى شريطة رجوع الاخير للالتحاق بالقوات الاصلية للجيش العربي الشرقـي الذي كنت أقوده ، وعندما كان الجيش يأخذ اهبته للسفر الشاق الطويل أمرت بالنزول الى جدة لمقابلة السير رونالد ستورس الذي جاء خصيصـا لامور هامة فقابلته هناك وليس هذا الكتاب هو المحل للبحث عما دار بيننا لعلاقته بصدد القضية الكبرى ورأيت معه الكولونيل لورنس لاول مرة وكانت رتبته من درجة كابتن فقدم الي كضابط مهندس يستطيـع تعويق الامدادات العثمانية بتخريب يقوم به على الخط الحديدي الحجازي وطلب مني أن أرفقه بمن يسافر به برا الى رابغ مركز القيادة العربيـة العليا فرفضت قائلا يجب عليك السفر من البحر فامتعض ولم يرق هذا القول لرفقائه الاخرين ثم سافر الى رابغ وبعد وصوله اليها طلب من سمو

الامير علي (جلالة الملك علي) ان يرفقه بمن يوصله الى ينبع البحر حيث الامير فيصل (جلالة الملك فيصل) فلم يوافقه ايضا واشار اليه بالسفر بحرا ولكن كان ان الكابتن لورنس فر وتخطى مناطق الجيش زاعما انه يريد الوصول الى ينبع فوقع بيد الحرس الخارجي واعيد الى رابغ ومنها سافر بحرا الى ينبع واعتقد ان السبب في عدم رضى الكولونيل لورنس عني وعن المرحوم اخي الملك علي مبدأه هذا الامر ٠

بعد أن أتممت مهمتي بجدة عدت الى مكة المكرمة وتوجهت بالجيش الشرقي قاصدا الى الحناكية وهي ماء كائن شرقي شمال المدينة المنورة لجمع كافة عشائر نجد القريبة ، والنزول على الخط الحديدي في محل مناسب بين الشام والمدينة ونقل وتوسيع مجال الثورة الى ذلك المكان بغية توسيع الخرق على الجيوش العثمانية فكانت الخطة ناجحة بفضل الله ولما وصلت في طريقي الى « صفينة » قبل ان اصل الى الحناكية كان تضييق فخري باشا على جيشي الجنوب والشمال اللذين يقودهما الامراء علي وفيصل وزيد قد بلغ أشده تلقيت أمرا من جلالة الملك علي يلح علي فيه بالرجوع الى مكة للدفاع عنها وبالطبع كنت لا أرى الفائدة من هذه الخطة ولكن بعثت قوة كافية من الجيش تحت أمرة الشريف فوزان الحارث ليضرب الشيخ حسين بن مبيريك « بحجر » ويحمي طريق خلص ـ المدينة المنورة من شرقيها والاستيلاء ان امكن ذلك على المواقع المحصنة العثمانية بخشم وعيرة وجبل أحد ٠

وقد تلقيت بشارة استئصال الشيخ حسين بن مبيريك بعد يومين من حركتي وضرب حامية المدينة ايضا في وقت واحد كان لهاتين الحركتين التأثير الفعال فقد ارتبك أمير اللواء بصري باشا محافظ المدينة وانذر فخري باشا بامكان دخول الجيوش العربية الشرقية الى المدينة كما انهم جزعوا لسقوط حجر وهزيمة ابن مبيريك فتراجع الجناح الايسر العثماني من « بئر قيضي » الى « سطح الغاير » والى غدير مجز ومجزان اعني مسافة تفوق الستين كيلومترا ، وترك ايضا جناحه الايمن نخل ينبع وبئر سعيد فرجع عن طريق وادي الصفراء فبئر درويش واستعد للحصار بخط يمتد من مخيط على خط السكة الحجازية فالجفر فبئر درويش فغديري مجز ومجزان وبئر الماشي وحينذاك كنت قد وصلت الى الحناكية وبعد ان جهزت العشائر التي التحقت بي من عربان حرب وهتيم ومطير على من معي من عتيبه تركت الحناكية وتوجهت بسرعة عن طريق الجنبلة في الحرة كي اعبر خطة السكة الحديدية بين محطتي ابي النعم (وهديه) وفي أثناء الطريق

التقينا فجأة بقوة عثمانية يقودها الامير الاي أشرف بك المعروف بابن باشا الطيور (وقشجي باشي زاده) وكانت معه أموال وهدايا بقصد اعطائها للامير ابن رشيد وايصال الاخر الى اليمن والسعي لاثارة العشائر ضد الحركة العربية فكانت مناوشة امتدت كلا ولا فسقط أسيرا بأيدينا واستولينا على جميع ما كان معه من هدايا وكتب ومهمات وعلى ستة مدافع رشاشة وبنادق من قاذفات قنابل اليد ثم سرنا وعبرنا الخط الحديدي بدون اي اشكال وارتكز الجيش الشرقي بوادي العيص بعد ان خرب الخط اثناء مروره خرابا شل الحركة في النقل فانتقلت الثورة مما بين الحرمين الى ما بين الشام والمدينة وبهذا نال الامير فيصل وجيشه الحرية فتوجه يتبع الساحل من ينبع البحر الى أملج فالوجه ومنها أقام مركزا بمحل اسمه جيدة على جناحنا الايسر وكذلك توجه جلالة الملك علي من رابغ بعد ان استكملت قواته فاستولى على بئر درويش عنوة وكانت للخطة العسكرية التي رسمها الزعيم نوري السعيد (فخامة نوري باشا السعيد) والتي طبقت كما ينبغي من الاحكام من لدن القسم النظامي للجيش الجنوبي الهاشمي وجيوش العشائر الاثر العاجل في الاستيلاء على ذلك المركز الحصين وكان للحنكة والسكينة التي أظهرهما الامير علي (جلالة الملك علي) ما ساق الجيش الى الظفر بدون توان وكانت حرب بئر درويش هي الحادثة الحربية الفريدة في جميع تلك المحاربات من ابتدائها الى انتهائها تغلبت فيها الصناعة الحربية على مثيلها فأوجبت الاعجاب وقد احب جلالته رحمه الله (الملك علي) ان يعمل ذلك بالجناح العثماني الايسر في مجز ومجزان ولكن كانت القوات العثمانية الفائقة التي عرفت المكيدة الحربية المطبقة في بئر درويش تمكنت من صد الهجوم العربي وبقيت هناك حتى نهاية الحرب فالتسليم وبهذا بدأ حصار المدينة المنورة واخذ نجم العثمانيين بالافول هذه هي الحركات العسكرية وضعت بايجاز .

تصرفات لورنس

ولا ينبغي لي ان انسى انني حينما نزلت بوادي العيص لم يرعني الا اني رأيت ركبا عدده الثلاثون من الهجانة ينيخ واذا بالكابتن لورنس معهم مرسل الي من الاخ فيصل للمهمة التي ذكرها بجدة وهو القيام بالمساعدة على تخريب الخط فلم أسر بقدومه لعلمي بالتأثير السيء المزدوج الاساءة الذي سيكون لقدومه أولا لاشمئزاز عشائر الحجاز ونجد من وجوده هناك وفيهم أمثال خالد بن لؤي وابن حميد والذويبي الذين ترأسوا الحركة الوهابية الاخيرة بنجد .

ثانيا لامكان اتصاله بالغزاة وابتداؤه العمل بجيشي لاكتساب لقب ملك العرب غير المتوج وهو معي كما تم له هذا وهو بالجيش الشمالي وبعد مقابلة قصيرة بنيت له خيمة وخصص لـه من الضباط العرب من يرافقه ومنع عن الاختلاط بالناس فلم ترضه الحالة فادعى انه أصيب بدمامل وانه يحتاج الى الرجوع فأعيد مكرما الى حيث اتى فمن هذه كانت حملاته ضد الاميرين الحجازيين علي وعبد الله ، وان أسر بشيء فلا أسر بمثل فرحي لعدم تمكينه من تهكماته بحق العرب وهو عندي كما كتب متفكها في كتابه من انه بينما كان الجيش الذي يقوده الامير فيصل يسير بين املج والوجه سمع لغطا وصياحا فاهتم له واذا بالرجال يتسابقون ويتدافعون يطلبون يربوعا او يرابيع رأوها فاصطادوها وانه رأى فيصلا كما يقول مشرق الوجه لان جنده وجد لحما يأكله ـ ذلك اللحم الذي هم في قرم له وحاجة اليه ، هذا شيء من تهكماته وهي في حالتها غريبة ، وهذا هو ملك العرب غير المتوج ، لست الان في قصص الوقائع الحربية ولكن حيث ان الاساس هو هناك ساقني اتباع الحقائق لذكر الواقع وبينما كنت بالعيص عام ١٩١٦ واذا بي ابلغ ان السير سيكس والموسيو بيكو قد وصلا الى الوجه واستصحبا معهما الامير فيصل (جلالة الملك فيصل) الى جدة لمقابلة جلالة الملك وبصفتي وزيرا للخارجية ولسابق مسؤولياتي عن الثورة سألت مستوضحا عن الاجتماع فلم اتلق التفصيل الكافي غير برقية مقتضبة من الوالد المرحوم قال فيها انهم « اتوا وتحدثوا عن سورية والعراق ومستقبلهما فأجبناهما بما الهمنا الله اياه » ولم يحدث أي تغيير في المبدأ الاول .

خديعة الحلفاء

ثم كان سقوط بغداد فبدا على شيء من التأثر وكان بحضرتي الكابتن (رحو) المغربي الفرنسي ضابط الارتباط فنقل هذا نبأ ما شاهده من اسى علي الى مركزه بجدة ومركزه أبلغ الخبر الى المعتمدية البريطانية حيث احتجت مغتاظة فتلقيت برقية من الوالد المرحوم فيها التأكيد باعتقاد جلالته بصدق حلفائه وطيب نياتهم وانه لا ينبغي ظهور ما يكدر علائق المودة والاطمئنان بين الجهتين وكان في هذا التوبيخ الصريح فعرضت مجيبا بأنه يجب علي كوزير للخارجية السؤال عن التقدم البريطاني في العراق الى أي حد يكون وما القصد منه وانه يجب عليهم ان يرفعوا الراية العربية في كل بلد عربي يفتتح واشرت بلزوم استصحابهم قوات عربية اثباتا للحق ، فكان بعد زمن ان طلب ارفاق قسم من القوات العربية في فلسطين وتعيين الشريف عبد الله بن حمزه لهذه المهمة وصد على الفور قبول هذا القرار لصدور وعد بلفور فكررت الاحتجاج وبقي الامر على سابق حاله في

العراق وفي فلسطين ، أما ما عقب هذا الحادث الذي ذكرناه من الزمن فلم يحدث فيه ما يستحق الذكر كحادث سياسي سوى تلك الرسالة التي أرسلها جمال باشا لي وللملك فيصل وللجيشين العربين يذكرهما بأنهما يعملان على ضياع فلسطين التي دافع عنها صلاح الدين الايوبي وتفصيل ذلك في المذكرة المرسلة للمندوب السامي ارثور ويكوب في الرد على السير هنري مكماهون .

تقدم القوات العربية

نعود الان الى متابعة الحوادث ونقول ان جيش الملك فيصل لما أطلق من عقاله في ينبع استمر على التقدم متتبعا الساحل حتى وصل العقبة وكان له قسم في « جيدة » كما ذكرنا أنفا وقد زارني في « وادي العيص وكان معه من العرب المرحوم جعفر باشا العسكري والمرحوم الشيخ عوده ابي تايه ومن الانكليز الكولونيل كورنواليس والمعتمد الانجليزي بجده الكولونيل ولسون واخبرني حينذاك انه عازم على ارسال قوة الى العقبة بمعية الشريف ناصر المعروف بأبي سيف والشيخ عوده ابي تايه ، وبعد عودته رحمه الله نفذ ما ذكر وبعدها تقدم فوصل الى ابي اللسن واتصلت الجيوش الى الطفيلة من طريق الشراه ، أما الخط الحديدي فبقي مصونا وتوقف التقدم العربي في هذه الاماكن الى أن ضرب اللورد اللنبي ضربته المعروفة للجيش العثماني في الناصرة وكانت قواه قد وهنت وابتدأ التقهقر العثماني وعلى أثر ذلك تقدمت الجيوش العربية الى الازرق فدرعا والى النهاية التي يعرفها كل انسان وبقيت المدينة المنورة والحامية التركية على الخط تدافع الى أن استسلمت هي في النهاية ايضا ، وكان عدد الذين ركبوا البحر الى مصر من ينبع والوجه تسعة عشر الفا ما بين ضابط وجندي وهذا بعد نضال ثلاث سنوات ، ولقد كانوا يقاربون الثلاثين الفا قبل ذلك أعني انه كان عددهم يفوق عدد الجيش الذي ضربه اللورد اللنبي في الناصرة .

واذكر من قبيل الامور التي صادفتها فاستغربتها برقية وردتني من الاخ المرحوم الملك فيصل من دمشق يبلغني فيها ارادة سنية بلزوم سفري الى دمشق لاحل محله حيث قد تقرر ايفاده الى اوربا وعين لي الباخرة التي يجب السفر فيها بدون تأخير فعرضت ذلك على والدي بمكة واسترحمت ان يبعث الي بالشيخ فؤاد الخطيب فأجابني موبخا بما نصه « من ابلغك ارادتنا بالسفر ؟ الا تستحي من النبي صلى الله عليه وسلم فتسافر الى جنان الشام قبل ان تدخل المدينة » وظننت بعد ذلك ان الاخ المرحوم قدم هذا الطلب ولم يدر بخلده انه يرفض فكان نصيبه السفر الى اوربا وحظي اني وبخت بينهما ولكن نجاني الله من تبعة الوجود في

مؤتمر الصلح الذي قضى بالعقم على الآمال العربية بأجمعها وبهذه المناسبة اذكر الاخوان الذين قدموا للحركة في الحجاز بكل خير ولا انسى تلك القصيدة التي ساقت الامة العربية الى الطريق ونبهتهم الى واجبها وهي قصيدة التحية للبيت والحرم الشريف والامة التي قالها الشيخ فؤاد الخطيب ، أما الشيخ كامل القصاب فكان هو المشجع للناس على قبول المسؤولية الدينية في اعلان الثورة على العثمانيين ولقد سألته عما يمكن أن يلحقنا نحن الثائرين دينا فقال لي ما نصه « أشهد بالله أن جهادهم قد أصبح فرضا على كل عربي دينا ودنيا » وكان له أشد التأثير على الوالد والاخوة .

أحداث سورية

والان فلنعد الى ما تعقب هذا من أمر الهدنة وتأسيس الادارة العربية بدمشق وسفر الامير فيصل الى اوربا وعودته اليها ثم رجوعه بمشروع الاتفاقية المعروفة باتفاقية كليمنصو فيصل وقيام الناس ضدها وحوادثها واعتقال ياسين باشا الهاشمي في الشام واخذه الى الرملة ثم جزع الناس عندما أخلى الجيش الانكليزي سورية واستيلاء الكثيرين من أهل العروبة الذين كانوا ينتمون الى حزب الاتحاد والترقي التركي واستيلاؤهم على فروع الادارة والتأثير في الرأي العام واقعاد قواد النهضة وضباطها وحل اللواء الهاشمي ـ كل ذلك مما يحز في النفس ويجعل الانسان يقف محتسبا ويترك التفسير للتاريخ العادل ، وكان ما كان من تعقيب سياسة العصابات التي كانت الارشادات الصادرة من المنقذ الاعظم بالبرقيات والكتب والرسائل تنهي عنها أشد النهي كما انه لم يكن البتة يعد من الرشد في مكة اظهار حركات سلبية عنيفة في وقت حرج كذلك الزمن وبالاخص عندما صرح رجال بريطانيون مسئولون بأن انجلترا لا تزج بنفسها في حرب مع حليفتها فرنسا من أجل بلد لا يبلغ عدد نفوسه بأسرها قدر نصف نفوس لندن او باريس ولا ادري كيف أن العقيدة في امكان تجلي الانصاف والعدل من الدول الطامعة عد عند عرب سورية في ذلك الوقت من الممكنات فخاطروا واتبعوا ما كانت بنتيجته ضياع الجهود في شتى بلاد العرب فوق انهم لم يكونوا قد قاموا بايجاد قوة عسكرية تعضد تلك الحركات في وقت الخطر وكان في الامكان ايجاد جيش عربي من الجيش الخامس العثماني السابق كما كان حيث ان عناصر ذلك الجيش وبلاده بمجموعته كانت في اليد العربية ما عدا فلسطين ولبنان والسواحل السورية فغياب الامير في اوربا وانصراف الراغبين في الرئاسات السورية الى المنافع الحزبية وتبلبل الاراء

جعل الامير الذي عاد من اوروبا بين عاملين وهما تقديره للخطر في حالة وقوع حرب مع فرنسا وعدم اقتداره على افهام الناس حقيقة الحال ، والامر لله ٠

على انه لما اشتدت الحالة وتحقق الخطر وعرض على مسامع المنقذ الاعظم اشهار حرب التي لا يد للحجاز فيها امر ان تنتقل خزانة الدولة واوراقها ومدافعها الضخمة التي لا يوجد مرتبات لاستعمالها لي درعا ، فاذا رؤي التراجع عن دمشق بعد الدفاع المشرف فيكون مركز الدولة بالبلقاء ، والحجاز من ورائها ويتراجع القسم الشمالي من الجيش عن طريق حمص حماه الى فيطول على فرنسا خط الحركة ويسعى حينذاك الى التفاهم وبالطبع سيكون انتداب فرنسا امرا لا بد منه حيث كان الانذار الفرنساوي قد قبل من جلالة الملك فيصل وحكومته قبل القتال ، هذا ما قالته الوقائع ، ولا ادري هل كانت هذه البرقيات قد وصلت الى يد جلالة الملك فيصل ام أخفيت عنه ، هذا شيء لا حق لي في الخوض فيه وانا اقول انه قد سألني الكثير من رجال السياسة العرب وغيرهم من أمر لا أزال أعلن عجزي عن الدفاع عنه وهو لم لم يرتكز الملك فيصل ورجاله في البلقاء كما اشير اليه من مكة ولم يطالبوا بفلسطين من حليفة العرب ولم غض النظر عن ذلك وقد قال لي أحد رجال السياسة الاجانب لما قلت له أن الحكمة تسوق رجال العرب الذين ضربتهم في وجههم يد صديق وخذلتهم يد صديق أخر لم يكن في وسعهم ايجاد اي خلاف حاد بين العرب وفرنسا وانجلترا في وقت واحد فقال لي بل عهد سيكس بيكو وبعض ما كانوا اقروه لقاء منافع طلبوها في تشكيل الامبراطورية العربية من ترحيب بالصهيونيين هذا هو الذي جعلهم يسلكون تلك الخطة ، فعلى من بقي من رجال العرب بسورية في ذلك الوقت وعلى المسئولين منهم في الاخص الجواب حتى يتحقق التاريخ بجلاء عن صورة الواقع انما المهم الان هو النظر فيما نحن فيه :

وصلت على أثر ذلك بطلب ملح ممن قام بالحركة الثورية بخربة الغزالة والتي ادت الى قتل بعض الوزراء السوريين وبطلب من عمان ومعان ورجالاتها موجهة الى والدي بالاذن لاحد ابنائه بترؤس الحركة ، قدمت لا لكوني أفضل القوم بل لانني كنت ولا مسؤولية علي في الحجاز حينذاك ، وكان الاخ علي رحمه الله عليه مسئولية ولاية العهد وامارة المدينة ، والاخ زيد كان بمعية الاخ فيصل في اوربا بعد خروجهما من الشام فوصلت الى معان بعد مشقات هائلة في الطريق الذي كان غير صالح لسير القطارات وبوصولي أعلنت نفسي نائبا لملك سورية ودعوت اعضاء المؤتمر السوري للاجتماع بمعان واعتزمت جعل معان مركزا للحكومة السورية ثم دعوت

كل ضابط وجندي من الجيش العربي السوري بأن يحضر الى معان بأسرع وقت مع ما يمكن احضاره معه من السلاح للجندي والضابط واستدعيت رؤساء العشائر ، وعلى ما ظهر لي أن ضربة ميسلون كانت حادة الى درجة من القنوط جعلتني لم اظفر بجواب من اعضاء المؤتمر المحترمين ، أما الضباط فمنهم من أجاب طلبي واشترط علي تقديم كفالة من الحكومة الهاشمية بالحجاز تضمن تقاعدياتهم في حالة عدم الموفقية ، واما افراد الجيش فعذرهم واضح ، ورؤساء العشائر قالوا انه اذا كان لدينا ما كان يصرف لهم وقت الحرب ، وكانت معي دولة تقاتل فرنسا فسيحضرون والا فينبغي تركهم يسايرون الوقت .

هذه كانت الحالة وانني لا أعلم كيف مالوا الى العقيدة بأنه كان القصد من الحضور هو الحرب مع ان القصد كان الترؤس لحل المشكلة على وجه الصداقة واحقاق ما لفرنسا من مصالح والسعي لاعادة الحالة الى ما كانت عليه غير انني اذكر حدوث غريبة ربما كانتالسبب في تطور الحالةالى ما كانت عليه والاستعداد لقبول الملك أخي فيصل في لندن وطلبه من « كوما » بعد ان اعتذر رئيس الوزارة الانجليزية عن قبوله وهي انه كنا نريد الاتصال بلاسلكي جدة من لاسلكي معان فاذا بلاسلكي معان يتصل بلاسلكي ديار بكر ويحصل التفاهم بين المركزين في طول الموجات ودقة المخابرة ثم تلقيت بعد ليلة برقية واردة من احد زملائي السابقين بالمجلس النيابي العثماني وهو يسمى عبد الله بك لعله كان مبعوثا من الموصل او ديار بكر فأجبته بمثلها ثم جاءني الامير الاي غالب بك الشعلان وقال لي انه يعرف مصطفى كمال باشا يوم كانا ضابطين بيافا وطلب مني أن يحييه باسم الثوار العرب بمعان بالمساعدة ويطلب اليه المعونة فأذنته فأبرق برقية بهذا المعنى لمصطفى كمال باشا حينذاك وجاء الرد منه فوق المأمول من ان التعليمات اعطيت لكاظم قره بيكر باشا الذي هو ينحدر في حركاته عن جبهة الفرات وان شيفرا للمخابرة مرسلة عن طريق البر وعلى أثر هذا استدعى الملك فيصل بعجلة الى لندن وتلقيت منه تلك البرقية المشهورة التي يطلب الي فيها توقيف كل حركة ضد الحلفاء وبالاخص فرنسا لان القضية العربية ستوضع على بساط البحث من جديد وان أي حركة تحدث ستكون ضارة بمستقبل العرب .

ثم حضر الى معان السيد صبحي الخضرا والسيد فؤاد سليم ليعملا على تهدئة اخوانهم من رجال العرب ثم وردتني برقية بهذا المعنى مؤيدة لبرقية الملك فيصل من مكة وقد أخذت برقية من الوالد بعد هذا ايضا

يشير فيها جلالته انه بلغه عن طريق المعتمدية البريطانية بجدة ان أهل البلقاء رفضوا دفع الضرائب للحكومة الوطنية بأمر منا وانه لا ينبغي علينا ايجاد مشاكل في طريق الحكومات المحلية وبالطبع كان الاهمال نصيب هذه الارشادات كلها سواء كانت من لندن او مكة وكان ذلك من عملي لانني جئت على مسؤولية نفسي ولانني عرفت ان الامر يقتضي اقرانه بالفعل ثم تلقيت مذكرة من السيد مظهر رسلان الذي كان متصرفا بالسلط يقول فيها أنه بلغه عزمنا على القدوم الى عمان ولذلك فهو يسأل عن سبب القدوم حتى يقوم بواجب الرعاية والضيافة اذا كان القدوم لمجرد السياحة وان كان لامر غيره فالحكومة المحلية تتخذ الاسباب اللازمة لصدنا عن الدخول ولما أجبناه بأنه كان قد تعين بأمر من الحكومة العربية السورية وان حكومة سورية الان مركزها بمعان فعليه أن يأتمر هذا المركز الجديد لتلك الحكومة العربية والا فسينصب على السلط من فيه الحمية او ما كان في معناه ، فما كان منه الا انه ركب الى معان والتحق بالحركة وبالحكومة وأدى واجبه ، ثم تلقيت الدعوة من كافة رجالات شرق الاردن وقد حضر أغلبهم الى معان فقر القرار على التقدم الى عمان واشغال شرق الاردن وتوحيدها فحدث ما عرفه الناس ·

الوصول الى عمان

وكان وصولنا الى عمان تحت عاصفة من السرور وبالرغم من تحذير السيد يوسف ياسين لنا بزيزياء عن دخول عمان قائلا أن المعتمدين الانجليز انسحبوا الى فلسطين ليفسحوا الطريق للجيش الافرنسي ليدخل فلقد شكرته وهو ملتزم شباك المركبة في القطار وقلت نحن جئنا لهذا الغرض نفسه ، وبعد أن تأسست الامارة في شرق الاردن باسم نائب ملك سورية وحكومة سورية تلقيت برقية من الوالد المرحوم يبلغني فيها بأن المستر ونستون تشرشل وزير المستعمرات البريطانية هو في مصر وانه سيزور فلسطين وانه ربما طلب الوصول الى وادي موسى فاذا كان ذلك سهلوا له امر السياحة واحترموه وان دعاك الى القدس فأجب الدعوة وانظر ماذا سيكون وقد لحقتني الدعوة بعد ذلك بأيام من المندوب السامي للاقامة بالقدس بضع ليال وعين يوم الدعوة فقبلت ·

السفر للقدس

وكان يوم سفري من عمان الى القدس يوم وصول السيد رشيد طليع من جبل الدروز الى عمان فاستصحبته وكان معي كذلك عوني بك عبد الهادي رئيس ديواني انذاك والكثير من رجالات الاستقلاليين واستقبلنا في

السلط باسم المندوب السامي الارل مرشال سلمون والكولونيل لورنس •

وعندما سافرت من عمان قضينا الليلة في السلط في دار الوجيه يوسف السكر ولما كنا على العشاء ومعنا الضيوف الانجليز ورؤساء العرب قال « لورنس » في مداعبة له أنت يا سمو الامير الان في بلد افتتحها الجيش آكل السمك كما كنتم تقولون عنا نحن أهل الجيش الشمالي اذ كنا نسير من الساحل ينبع ـ أملج ـ الوجه ـ العقبة ـ فقلت له في مداعبة ايضا ان الارض التي دخلتموها متعلقين بجناح اللورد اللنبي جئت الان لاستردادها لانكم بعد جلاء جيش اللورد اللنبي لم تتمكنوا من البقاء فيها أما البلاد التي تأخرنا عن اخراج الاعداء منها فهي لا تزال عربية والحمد لله أعني بذلك الحجاز ولعل الاخوان الذين كانوا على مائدة العشاء لم ينسوا هذه النكتة •

واخبرني لورنس ليلا عن موضوع المقابلة التي ترمي الى لزوم مساعدة انجلترا على أخذ الملك فيصل ملكا على العراق لان فرنسا لا ترضى برجوعه الى سوريا ولا برجوع الامير زيد لانها تعد الاخير أشد عداء لها من الاول وطلب الي أن أظل في شرق الاردن اعمل على ايجاد ادارة مدنية سالمة من أي عنف في مراميها السياسية مع العمل على احباط حركات العصابات وقال ان المعروف عنك انك تضحي بشخصيتك من أجل وطنك فابق واذا توقفت ستظفر بعد ستة اشهر بوحدة سورية وسنزورك في دمشق مهنئين ان شاء الله بتوفيقك لاصلاح ما خرب ، ولما كان الامر له خطورته لم أجبه بشيء فتذاكرت ليلا مع السيد رشيد طليع والسيد عوني عبد الهادي والسيد غالب الشعلان فقالوا اذا تأكدنا من هذه النتيجة بصورة جازمة فلا بأس من هذه الخطة ثم سافرنا في اليوم الثاني الى القدس وكانت المذاكرة صبيحة يوم وصولنا اليها وكان المجلس يحوي من الانجليز وزير المستعمرات ونستون تشرشل والمندوب السامي السر هربرت صموئيل والسكرتير العام السير وندهام ديدس والكولونيل لورنس والمستر رتشموند واربعة من الكتاب اما العرب فكنت انا وعوني بك عبد الهادي وكان يترجم هو حينا وحينا كان الترجمان لورنس واضاف علي ان الذين يطلبون عرش العراق اربعة ابن النقيب وخزعل خان وابن سعود والسيد طالب نقيب البصرة وان انجلترا لا تستطيع ان ترى على عرش العراق الا الذي تأتمنه ثم قال اذا بقيت انت هنا وعملت على السلام وارضيت فرنسا فستعود الحالة الى ما كانت عليه وسنهنئك بعد ستة شهور بهذا التوفيق أقول هذا بصفتي وزيرا بريطانيا •

فخرجت وبلغت رفاقي أنا وعوني عبد الهادي ما حصل فأقروا بما اشترط علينا وتحددت المدة ستة أشهر ورجعنا الى عمان وتعهد السيد رشيد طليع برئاسة الادارة فكان كاتبا اداريا ورفقاؤه سموا بالمشاورين وكان لسوء الحظ أن وقع الاعتداء على الجنرال غورو المندوب السامي لسورية في جوار « الشجرة » أثناء رجوعه من القنيطرة في الشهر الثالث لهذه الادارة اثناء متصرفية السيد نبيه العظمة على اربد فاعتبرت الجهات الاجنبية هذه الحركة نقضا للقرار لسوء الحظ وتزلزلت قدما السيد رشيد طليع للهجمات التي وجهت الى الادارة وكان رحمه الله شهما غيورا وقد اسف لهذا الحادث أشد الاسف أما المهاجمون للجنرال غورو فقيل انهم بقيادة خال السيد أحمد مريود المسمى أحمد الخطيب وشريف البعلبكي وابو ذياب البرازي فتبعة ما حصل هي ليست على عاتقي بل على عاتق الذين يدبون الخمر ويتبعون الغش في اعمال ليست لاشخاصهم وعند انتهاء المدة بالتمام زارني المندوب السامي السير هربرت صموئيل بخيمتي بحسبان وقال لي ان المدة المقررة على وشك الانتهاء وان حركة الشجرة حالت دون ما كنا نرجوه ولا بد انك قررت العودة الى الحجاز فقلت كلا بل قررت العودة الى أساس المبدأ الذي جئت أجله وهو الثورة فقال كلا انني اتشرف بالمعاونة معك وكذلك حكومتي على الدوام وسيزورك بعد ثلاثة أيام الكولونيل لورنس العائد من جدة ومعه حداد باشا فاذا توفقتم لاتمام المعاهدة الانجليزيةالحجازية فسيكون المجال واسعا لاعمال تعود بالخير عليكم وعلينا فكان ان جاء لورنس وحداد وكان رئيس الديوان الامير عادل ارسلان فتمت المعاهدة الحجازية الانجليزية بعد ان فوضني المرحوم الوالد للمذاكرة بما يجعل الامل ملؤه التوفيق وكانت ان اثرت الجهات العربية الفلسطينية على جلالة الوالد فرفض ابرامها قبل أن يلغى وعد بلفور فكانت هذه أيضا ان ادت الى العقم في ايجاد تفاهم حقيقي بين بريطانيا وصاحب الثورة بعد الحرب حتى جرت الامور الى الانقلاب الحجازي الذي نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعله خاتمة المكدرات وان يوفق الرجال المسؤولين في كل بقعة من بلاد العرب الى وحدة العرب وخيرهم . فحصل ذلك أن بذلت جهدي بالاحتفاظ بهذهالبلاد العزيزة فكانت الاتفاقية الاردنية الانجليزية وكانت مجهوداتي نحو فلسطين الشقيقة هي هذه الوثائق التي أثبتها في هذا الكتاب وقد قال اناس انني أحقد على الحاج أمين والامر بالعكس فكانت لي اليد الطولى في تنصيبه

للافتاء وكانت لي اليد الكبرى في ابقائه بهذا المنصب ايام كان السير تشانسلور مندوبا ساميا وكان قد تقرر تقريبا عزل سماحته فبعثت اليه تلك الرسالة التي قلت فيها ان عزل المفتي لا يرضي الاسلام لان الحاج امين أصبح رجلا اسلاميا ولا سبب للحق عليه الا ان كنا نقول ان عليا بن أبي طالب رضي الله عنه كان حقد على أبي موسى الاشعري رضي الله عنه . اما عوني بك عبد الهادي فهو اعرف من ان نعرف ، لقد رضيت عنه واحببت ان يبقى في رئاسة الديوان ولكن كان المرغوب من السيد رشيد طليع نصب الامير عادل ارسلان لهذا المحل فلم يبذل أي جهد لسحب الاستقالة التي قدمها عوني بك وكان سببها خلافا صوريا لا أهمية له وعلى كل حال فانني احتفظ بمحبتي للسيد عوني وللسيد عادل .

ولقد جاء في ذهني لزوم ذكر المرحوم السيد موسى كاظم الحسيني الذي هو عندي الشخصية المعتدلة التي كانت تعمل للوطنية المحضة غير ملتفت الى شخصه او اقربائه اما السيد نبيه العظمة فقد يظن الناس انني ابغضه لحركاته ضدي فوالله لم يخطر لي ببال يوما من الايام ان اظن انه عدو لي وان اختلاف الاجتهاد والمذاهب لا تعد عندي انها هفوات وان انسى لا انسى اضطرابه عندما قابلني بـ (ماركه) عند دخولي الى عمان وانا قادم من معان وهو يقول لي يجب أن تدفع سموك مئة وكسور الف من الجنيهات لنؤسس مراكز دعايات ومراكز حزبية حتى نؤثر على الشعب وننهض به للمهمات وبدون هذا فان الامر قد يصعب وقد ذكر لي مثل هذا ايضا المرحوم السيد كامل بديري ولو علم الانسان انني كنت مدينا للكثير بما ينبغي لمن معي من أهل الحجاز ولمن التحق بي من ضباط العرب من سورية والعراق لما طلب مني نبيه بك هذا الطلب وكم تمنيت حينئذ لو كان لي حظ روكفلر او غيره من ارباب الملايين حتى انفح الثورة بما تطلبه مني ـ هذا ما لاح لي من حقائق اثبتها هنا راجيا من الله سبحانه وتعالى الهداية والتوفيق لانني غاض نظري عن كل ما قيل عني مسامح كل من قال او كتب عني ، ما يخالف الحقيقة وانني أعتبر كل شخص منهم لي أخا وزميلا . ومن الذوات الذين سبقت لهم خدمات جليلة للقضية العربية والذي أحب على ما يظهر ان يتوارى لتكون خدمته خالصة لا لغرض ذاتي فهو الرفيق المحترم السيد محب الدين الخطيب الذي تركته بمكة ١٣٣٤ ولم اره الى اليوم والذي كان الوالد له في منتهي الوفاء ، وبقيت جريدة القبلة تحمل اسم صاحب الامتيازمحب الدين الخطيب الى آخر عدد منها .

الضباط الوافدون

وهنا نذكر اسماء الضباط الذين التحقوا بي بمعان وعمان فأما الذين قابلوني بمعان من الضباط العرب فهم الميرالاي غالب بك الشعلان ، خلف بك التل ، القائد عبد القادر بك الجندي ، القائد محمد علي بك العجلوني ، الملازمون أحمد التل ، بهجت طباره ، المرحوم خليل ظاظه ، نور الدين البرزنجي ، المرحوم منيب الطرابلسي ، المرحومان عمر بك المغربي ، والملازم الثاني مبروك المغربي وكان معي ممن قدم من الحجاز الاميرالاي حامد بك الوادي ، القائمقام داود بك المدفعي ، ومحمود بك الشهواني ، وسعيد أفندي الطلال وغيرهم ٠

الاشراف والشيوخ

ومن الاشراف الشريف شاكر بن زيد ، والشريف علي بن الحسين والشريف محمد علي بن بديوي ، والشريف عبد الرحيم اللهميق ، والشريف حسين الشقراني ، ومن العلماء العلامة محمد الخضر الشنقيطي ومن مشايخ عتيبة الشيخ فيحان بن محيه ، والشيخ صنهات الخراص ، ومن مشايخ حرب عبد الله أبو ربعه ، وعبد الله بن هويمل ، والكثير الصالح منهم ٠

أما الملتحقون بنا من مشايخ البلاد الاردنية فهم شيوخ الحويطات حمد بن جازي ، وعوده ابي تاهية ، ومن بني صخر مثقال بن فايز ومشهور بن فايز وحديثه الخريشه ومن الكرك الشيخ حسين الطرواني والشيخ عطوي المجالي وغيرهما ومن رؤساء البلديات سعيد باشا خير الذي كانت له اليد الطولى في الحركة الجارفة ومن هذه احرار العرب الذين لجأوا الى عمان بعد الكارثة السورية رحمه الله رحمه واسعة ٠

بنينا وأنشأنا

ولقد دخلنا شرق الاردن فوجدنا فيها اربع حكومات منفصل بعضها عن بعض فراعنا شملها المتمزق ولذلك كان هدفنا الاول ان نلم الشعب فيتم للبلاد ما كانت في حاجة اليه من « الوحدة » ٠

وها هي اليوم ولله الحمد متمتعة بتلك الوحدة الاردنية الشاملة التي لا تزال تسعى في سبيل تحقيقها شقيقاتها المجاورة لها والتي نسأل الله أن يمن عليها بما تصبو اليه من وحدة ٠

ثم أن البلاد كانت عرضة لسريان وعد بلفور اليها واتصاله بها فوقفنا حائلا دون ذلك الخطر فلم يجد اليها من سبيل وها هي حرة منه طليقة من قيوده ٠

ولقد كانت شرق الاردن فيما يعلم الناس جزءا من أجزاء ممزقة اعني بها سورية وفلسطين وشرق الاردن غير معترف لها بكيان فما مضت فترة طويلة حتى حققنا لهذه البلاد من تلك المجموعة بعون الله كيانها السياسي واصبحت للبلاد شخصية دولية بين الامم ، واكدت ذلك باتفاقيتها المعقودة مع الحكومة البريطانية الجليلة ٠

ولعمري ان الذي يعرف بلادنا هذه العزيزة يوم قدومنا اليها ثم يقارن بين حالها في ذلك الوقت وبين ما وصلت اليه من تقدم باهر في زيـــادة النفوس وفي العمران والثقافة العمومية والطرق والصحة والادارة والبرق والبريد ووسائل الزراعة ومسح الارض والبعثات العلمية الى الخارج وما الى ذلك من اسباب الرفاهية والفلاح فلم يسعه الا ان يعجب من ذلك الفرق الهائل ويطرب لتلك الخطوة المباركة في اشادة المنازل الحديثة ،والمخـــازن العامرة ، والمتاجر الرابحة ، واستتباب الامن ويقظة الامة ٠

واذا رجعنا الطرف الى حالة الاهلين يوم مست الحاجة الى تأليف حكومة وطنية وجدنا انه لم يكن في الطاقة ايجاد العدد اللازم من ابناء البلاد لشتى الاعمال والوظائف ولقد تغيرت الحال وتبوأ الاكفاء منهم ارقى المناصب واصبح منهم الاعضاء في المجلس التنفيذي وامتلأت بهم دوائر القضـــاء والمالية والادارة ومن المتصرفيات والقائمقاميات وغيرها من المناصب على اختلاف درجاتها وان في ذلك لدليلا على الشوط الذي قطعته الامة منــــذ تأسيسنا للحكومة فيها حتى اليوم ولقد برهن ابناؤها البررة على انهم أهل واكفاء لبلوغ ما بلغوا من ادارة شؤون البلاد بأنفسهم وانه لم يبق خارج ذلك النطاق الا عدد يسير من ابناء الاقطار الشقيقة الذين انتسبوا الى هذا الوطن العربي العزيز واستقروا فيه وليس العربي عن العربي بغريب وانا اذكر هذا لاقول أن في هذا الاشتراك الدليل الساطع على أن مبدأ النهضـــة الكبرى من وحدة الامة لا يزال قائما في هذه البلاد ومحسوسا فيها وانهـــا جديرة ان تتبوأ مكانها اللائق بين المجموعة العربية ٠

ثم اني جعلت نصب عيني أن تنهض الامة بمجموعها فتشرف على أعمالها بنفسها فأنشأت لها المجلس التشريعي الذي قام بأعمال جليلة دلت على أن ما اضمره للبلاد من التوسع في الحقوق النيابية آتٍ زمنه وفي أمـــد قريب ان شاء الله ٠

وبالرغم عما تعاقب على البلاد من سنوات الجدب والجفاف التي لـــم تمن بها الاقطار المجاورة فانها استطاعت ان تجتاز تلك العقبات وان تحتفظ

بثروتها وكيانها الاقتصادي ومن غير ما انتقاص او استعانة برأس مال اجنبي .

على أن الحالة الادارية في بلادي قبل دخولنا كانت أقرب الى الفوضى لما كان في العشائر من ثارات وما كانت عليه الحكومات المحلية من ضعف وتفكك حتى لم يكن في طاقة اكثر الزعماء المعروفين ان ينتقلوا من مناطقهم العشائرية الا ما يجاورها فما انقضت فترة حتى زال ذلك كله وائتلفت القلوب وهنئت الخواطر .

فالخروج بالبلاد من آفة التمزق الى الوحدة ، ومن الخمول الى الكيان الاساسي ، ومن التقهقر الى العمران ، ثم تمهيد الطريق امام السواد الاعظم من أبناء الامة حتى بلغوا ما بلغوا من الاستيلاء على مقدراتهم ، والتدرج بهم الى النظام النيابي مبتدئين بالمجلس التشريعي عملا بالاناة وتجنبا لآفات الطفرة ، ما يبشر بالمستقبل الباهر الذي تؤكده المقارنة بين ما كانت عليه البلاد بالامس وما وصلت اليه اليوم من غير ضجة ولا رجة بل بالتؤدة والسكينة .

تلك هي السياسة الحكيمة التي تمشى عليها ابناء هذا الوطن فلم يقعوا في أزمات اخفها عدم الاستقرار وان لفتة منهم الى من حولهم تدلهم على مقدار ما من الله به عليهم من فضله ورزقهم اياه من نعمه وانه سبحانه ذو الفضل العظيم .

وذلك ما احببت أن أختص به هذا البلد الامين الذي أسأل الله له المضي في ادراك الغرض الاسمى من المطامح القومية آملا ان يعلم اخواننا في الاقطار العربية الشقيقة مبلغ ما وصل اليه اخوانهم في القطر الاردني الشقيق حتى اذا ازف زمان الوحدة كانت شرق الاردن دعامة فيها راسخة ولها مكانها المعروف ومنزلتها المرعية .

والله ولي التوفيق والحمد لله رب العالمين

المذكرات الرسمية عن فلسطين (١)

الدفاع عن البراق

وقد اثبت الملك في اماليه السياسية بعض المذكرات التي وجهها الى الحكومات الاجنبية واللجان الدولية والهيئات السياسية للدفاع عن حقوق العرب في فلسطين وفيما يلي نص المذكرة التي بعث بها الى المندوب السامي في فلسطين حول موضوع الدفاع عن البراق :

صاحب المقام الجليل فخامة المندوب السامي لشرق الاردن

عزيزي السير تشانسلور

لقد وقف في الصحف العربية على نبأ اللجنة الموفدة من عصبة الامم الى فلسطين للنظر في أمر الجدار الغربي للمسجد الاقصى المشهور امره وعلمت من تلك الصحف كذلك ان اللجنة تدأب في عملها اليوم ماضية فيه ولما كانت هذه المسئلة الخطيرة اسلامية بحتة وليست لقطر اسلامي دون غيره فقد رأيت من الحتم علي أن أقول كلمة في ذلك الموضوع الجلل وان ادلي برأي تمحصه الروية وتوحي به المصلحة العامة غير مستسلم فيه الى عصبية أو عاطفة . خصوصا وانني أقرب الامراء جوارا لهذا المسجد المقدس .

١ ــ واول ما يجدر بي أن استلفت النظر اليه ان المسئلة دينية لها صلتها بالقرآن الكريم والشريعة السمحاء والاحاديث النبوية حتى ان الخليفة الثاني للمسلمين عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان اول من شرع في اقامة المسجد الاقصى يوم دخل بيت المقدس فاتحا فقد اكب بنفسه الشريفة على موضع المسجد وحثا من التراب الذي كان يطمره في ذيل قبائه وامر الالوف من المسلمين الملتفين حوله من الصحابة والمهاجرين والانصار ان يحذوا حذوه ففعلوا فكان لتلك المشاركة القدسية معناها واثرها الديني الخالد في حين ان ذلك الخليفة الجليل ابى ان يؤدي الصلاة في غير ذلك الموضع عندما دعاه اليها القوم وحان اوانها او انها مخافة ان يخرج ذلك الموضع من يدهم وهم أهله الى يد المسلمين لمجرد صلاته فيه لانه خليفتهم يعلم حكم شريعتهم في الامر .

---

(١) أشير الى هذه المذكرات في فصل (النضال في سبيل فلسطين) صفحة ١٦٥ .

ان حكم الشريعة جلي غير مستتر فان كل مسجد لله وكذلك كل ما يتعلق بالمسجد من حيز وممتلكات وسائر ما ينسب اليه فهو مجموعة قدسية لا تتفرق في ذلك ولا تتجزأ بصورة من الصور ولا تكتب بالمساجد صكوك وانما صكها وجودها وبناؤها ـ فلو ان رجلا شيد مسجدا واذن فيه وقامت فيه الصلاة لخرج ذلك المسجد عن كونه لبانيه وأصبح لا رأي له فيه وبات لله وحده وللمسلمين ـ فكيف بالمسجد الاقصى الذي له صبغته الاسلامية المحضة من جميع اطرافه ونواحيه ساحة وسورا وجدارا ولبنة وانه لاولى القبلتين وثالث المسجدين اليه كان الاسراء ومنه كان المعراج ٠

ولقد عزز الخليفة الثاني ذلك الحق الديني الصراح للكنائس كافة فقال في عهده المدون عنها انها « لا تهدم ولا ينتقص منها ولا من حيزها » ثم صرح في ذلك العهد عن القوم في فلسطين بأنه « لا يسكن بايلياء أحد معهم من اليهود » وفي هذا التصريح نفي بات للزيارة المدعى بها ولما كانت الحكومات الاسلامية كافة مرتبطة بذلك العهد السرمد فقد حذت ذلك الحذو وكائن من عمل وقع فشذا خيرا عن تلك الخطة فقد انكره الفلسطينيون وسعوا لتبديله بأنفسهم لانهم سدنة المسجد وحماته ولقد طالما نشبت بينهم وبين اليهود مشاجرات جمة من اجل الزيارة المجردة فأبناء البلاد المسلمون لم يترخصوا في حقهم الاسلامي لا قديما ولا حديثا وفي زمن كل حكومة حتى في المدة البريطانية كما تعلمون فخامتكم ـ تشهد بذلك الحوادث المتتالية مما حمل حكومة جلالة الملك على التصريح في الكتاب الابيض الانجليزي بأن الممر المتصل بالمسجد وقف اسلامي لا مناقشة فيه ٠ ثم انها أبت على اليهود ان يخلوا (بالعادة المرعية) فرفعت ما وضع اليهود في الممر من ادوات متنوعة في حادثتين خطيرتين سنة ١٩٢٥ وسنة ١٩٢٨ . ان ذلك المجاز المتصل بالجدار الغربي للمسجد الاقصى الشريف وقف اسلامي تجاوره منازل اسلامية يرمي اهلها في الاكثر الى الامعان في حراسة المسجد والسهر عليه ٠ وقد حدث ذلك الوقف يوم بدرت للمسلمين بوادر التخوف من مرامي المتربصين شرا بمقدساتهم الدينية في حين انه لم يكن هنالك وعد بلفور ولا الوطن القومي الصهيوني في فلسطين ٠

٢ ـ اما العادة الواقعة من الزيارة المجردة فليست قديمة بالمعنى المأثور ولا ترجع الى عهد قريب وذلك أمر معروف متواتر بين العرب كافة من مسلمين وغير مسلمين يؤيده القرار الصادر في القدس نفسها من مجلس ادارة اللواء العثماني سنة ١٣٢٧ فقد قال ذلك القرار بأن اليهود (قد بدأت خلافا للعادة بجلب كراسي ليقعدوا عليها اثناء الزيارة) ثم حظر ذلك القرار

على اليهود مخالفة العادة القديمة (بمنع هذه الحالات لئلا تكون وسيلة الى ادعاء التملك في المستقبل) وجاء في ختام القرار (وقد رؤي من الضروري عدم ترك المجال لاحد ما في وضع مثل هذه الاشياء والمحافظة على العادة القديمة) ٠

ولقد صدرت قبل هذه الوثيقة وثيقة أخرى مثلها من حكومة غير عثمانية وذلك في غضون الفتح المصري فقد أصدرت الحكومة المصرية في رجب سنة ١٢٥٦ الى (متسلم القدس) أمرا تقول فيه ان ما ينويه اليهود (غير جائز شرعا) ثم قالت في نفس ذلك الامر (وان تحذروا اليهود من رفع الاصوات واظهار المقالات ويمنعوا عنها) وانه (فقط تعطى لهم الرخصة بزياراتهم على الوجه القديم) ولم يفتأ اليهود فيما أعلم يتحينون الفرص اثناء كل انقلاب حكومي جديد للفوز بمغنم جديد يصلون اليه عن طريق انهماك الحكومات الجديدة بمشاغل الانتقال من دور الى دور ولقد طالما حاولوا التوسع في الاعتداء على حقوق المسلمين الدينية ولكن الحجة كانت تقمعهم في كل مرة وكانت كل حكومة من تلك الحكومات الجديدة لا تتورط معهم فيما يجرونها اليه علما منها بما ينجم عن ذلك التورط من مخاطر محققة محلية في فلسطين خاصة وفي العالم الاسلامي قاطبة ٠

٣ ـ اني لاصرح بأن اللجنة المحترمة الموفدة من عصبة الامم انما تعالج في مسألة الجدار الغربي للمسجد الاقصى أخطر موضوع يهيج الشعور الديني في كل مكان اسلامي ولست بمشتط اذا قلت ان العالم الاسلامي الذي ينتظر ما تعمله لجنة جمعية الامم في هذه المسئلة المهمة انما يقف منها اليوم موقف الترقب ، وليست اللجنة فيما اثق الا على علم بما ينتاب ذلك العالم الاسلامي من عوامل وما يغمره من حالات شتى نفسية وان عصبة الامم انما تلمس اليوم بيد لجنتها العرق الحساس من ذلك العالم الاسلامي وتضع بنانها على موقع الالم منه ٠ وشأنها في صيانة السلام شأنها ولا ازيد على ذلك الا تقديري لما يكتنف حكومة جلالة الملك في موقفها من مشقة وصعوبة في الاضطلاع بعبء المحافظة على حقوق الطوائف كافة في فلسطين سواء اكانت من ناحية مقدساتها ومعابدها ام غير ذلك ٠

اني لامل ان يصل صدى صوتي هذا عن طريق فخامتكم الى اللجنة والى عصبة الامم والى حكومة جلالة الملك ومن يهمه الامر من ذوي المقامات الرسمية خدمة مني للجميع باحقاق الحق وتأييد المصلحة العامة وتوطيد الالفة والسلام ٠

فانه لمقام لا ينفع فيه الا الصراحة ٠

وتفضلوا يا صاحب الفخامة بقبول فائق التحية والاحترام ٠

عمان ـ ٢ ـ ٧ ـ ١٩٣٠ صديق فخامتكم المخلص

احتجاج على تدفق اليهود

وهذه مذكرة ثانية وجهها الى المندوب المذكور احتجاجا على الهجـرة اليهوديـــة :

حضرة صاحب المقام الجليل المندوب السامي لشرق الاردن

عزيزي صاحب الفخامة ،

بلغني نبأ عودتكم الى القدس بما آمل لفخامتكم من سلامة وخير ، فأهنئكم مرة أخرى وأشكركم على كتابكم الي قبل سفركم وأطمئنكم بأن شقيقي جلالة الملك علي الذي سألتم عنه بصورة خاصة متمتع بالصحة والعافية ولله الحمد ، وقد كلفني ان اشكر لفخامتكم عنايتكم ومودتكم ٠

اني لا أقدر ان اكتم اغتباطي بما حصل من حكمة في تصريف الامور في فلسطين خلال الاضراب الاخير الناجم عن تدفق المهاجرين اليهود اليها من المانيا في الاخص وتسللهم من شتى ألاقطار في الاعم وبهذه المناسبة اجد من المحتم ان اشرح لكم بعض ما يجول في نفوس العرب فأقول :

ان العرب في فلسطين يعتقدون بأن اليهود ارادوا ان يستغلوا مصيبة طردهم من المانيا للاسراع في انفاذ رغبتهم المعلومة في تهويد فلسطين وقد كشفوا عن نياتهم المكنونة بنزق استنفد صبر العرب ، فوق أن العــرب في فلسطين يرون انفسهم يغزون في كل يوم وان هؤلاء الغزاة المنبوذين من بلادهم الاخرى يجب على فلسطين ان تقبلهم وان ترحب بهم وان ترضى بما يحملون اليها من عادات واخلاق لا تشاكل قدسيتها فاذا قام فيانفسهم العرب المسلم منهم والمسيحي انهم في خطر الزوال وعلى شفا الانحلال من هؤلاء الدخلاء الذين ينصبون عليهم من كل صوب فلا أخالهم ملومين ولا سيما بعد ان رأوا شعبا عظيما كالالمان في دقة نظامهم وعلو كعبهم في الحضارة وشؤون الحياة يخشون على كيانهم واوطانهم من هؤلاء اليهود الذين لبثوا

غرباء عنهم على الرغم من اتصالهم بهم احقابا طوالا في الوطن واللغة والدم والمصلحة فكيف بالعرب في فلسطين وقد ورثوا مصائب الاجيال السابقة ومتاعبها وما كادو يستبشرون بأن فجرا من الدعة جديدا انبثق لهمعلى أثر الهدنة بعد الحرب العامة حتى فوجئوا بما فوجئوا به من الهجرة اليهودية الساحقة ولقد صرح لي كثير من عقلاء العرب بـأن خوفهـم من المستقبل يتفاقم كل يوم بعد ما فعل الالمان في اليهود ما فعلوا ويرون ان دولا أخرى قد تحذوا حذوهم فكيف يكون موقف العرب في بلادهـم الفلسطينية عند ذلك وكيف يدرأون عن انفسهم تلك الطامة الكبرى وهم يشهدون بلادا تقذف اليهم باليهود مثقفين ثقافة اوروبية كاملة في العلـم والحرف وفي الامور الميكانيكية والعسكرية كيهود المانيا الذين لا مشاحة في انهم حذقوا هذه الامور كلها وعرفوا سائر مقتضياتها ثم ان العرب يرون فضلا عن ذلك أن تقارير الخبراء الموفدين الى فلسطين من الحكومـة الفخيمة البريطانية تتفق واراءهم وشكاويهم في كثير من النقاط ويبقى مع ذلك كل شيء على حاله على الدوام من غير تغيير ٠

لقد صرحت في كتاب لي سابق لدار المندوب السامي مؤرخ في غرة جمادي الاول ١٣٤٨ الموافق ٥ اكتوبر ١٩٢٩ بأن فلسطين عرضةلمباغتات شتى وان اليهود غير مقصرين في تحديهم للعرب وانهم اضافوا الى مشكلة الوطن القومي مشاكل فوق مشاكل واني بدافع التعاون النزيه وقياما بما يوجبه الجوار المرتبط بالمصلحة المشتركة لا أجد عن المصارحة من مندوحة وها اني أعيد اليوم ما قلته بالامس وازيد عليه بأن الوطنية المتأججة في صدور الشعوب بعد الحرب هي التي تدفعهم الى المظاهرات والاضرابات وما تجر من عواقب وان تلك الروح هي نفسها التي تحمل عرب فلسطين على مثل ذلك مضاف اليه الخوف من الانقراض الذي أخذت بوادره تظهر بصورة مزعجة في انحاء البلاد وتهدد ما يجاورها من أقطار عربية تنظر الى تلك المأساة بحزن عميق قد يستحيل غدا الى حماس يخل بالامن ويعكر صفو السلام ويكلف الحكومة ما يكلف من جهد ونفقة ، اني غير يائس من استنباط الوسائل الناجعة لدفع تلك المحاذير واقول ان الوقت قد حان لايجاد المعقول من حلول حثيثة ان تقبل بحذافيرها فلا أقل من أنها تبث الطمأنينة في النفوس وتعدها للوئام ، وارجو ان يقع كلامي لدى الحكومـة الجليلـة

البريطانية عن طريق فخامتكم الموقع الذي أردته منه حبا في الخير والراحة لفلسطين وبلادي المجاورة التي أخذت تساورها افكار ومخاوف فلسطين ولما يتاخمهما من أقطار عربية وللحكومة البريطانية التي تربطني بها اواصـر

الصداقة الخالصة وذكريات غابرة من جهاد مشترك لا ينسى ، وتفضلوا بقبول فائق التحية والاحترام ٠

عمان ٢٩ جمادي الاخر ١٣٥٢ صديق فخامتكم المخلص

و ١٨ تشرين اول سنة ١٩٣٣

بيان مخاوف العرب فى فلسطين

وهذه مذكرة ثالثة تشجب السياسة البريطانية في فلسطين :

حضرة صاحب المقام الجليل المندوب السامي لشرق الاردن

عزيزي صاحب الفخامة

اني لاجد من المحتم علي أن أطلق لساني بالبيان التالي حرا غير مقيد بصفة كوني صديقا شخصيا لفخامتكم يعلم ما تعانون من اعباء ، وكنجل لحليفكم في الحرب العظمى العالمية كانت لجيوشه (المعونة الفعالة في ميدان فلسطين) كما صرح بذاك فخامة وزير المستعمرات في خطابه الذي القاه في مأدبة العشاء المقامة لي في لندن في ٢٦ حزيران ١٩٣٤ ، وكحاكم لقطر عربي مجاور لفلسطين وكمسلم شريف على مقربة من مقدساتها وفي الاخص من مسجدها الاقصى وكزعيم يحمل من مسؤولية الثورة العربية قسطا غير قليل وكمطلع على ما وصلت اليه حالة ابناء قومه العرب في فلسطين ٠ ولذلك أقول :

١ ـ لقد علمت من حضرة صاحب الفخامة وزير المستعمرات ان حكومة جلالة الملك وضعت ثقتها كلها في شخص فخامتكم وانكم لديها المرجع الوحيد الذي يعول على رأيه في قضية فلسطين ٠ اني مع شعوري هذه المسئولية لم استطع كتمان سروري من ذلك النبأ لثقتي بما بين شخصكم الكريم وبيني من التفاهم الحسن وصلات الود الاكيدة ولاني أعرف في نفسكم الكريمة حب العدل المطلق والتمييز لصحيح لما يربط مصالح حكومتكم وأمتكم النبيلتين بالعرب دون سواهم في الشرق الادنى ٠

ثم اني فهمت من فخامة الوزير كذلك بأن ما كان شائعا بيننا نحن العرب من ان لليهود في بريطانيا العظمى المقام الارفع لوجود بعض زعمائهم

في مناصب حكومية عليا وفي مجلس العموم البريطاني وانهم قادرون على تصريف السياسة البريطانية فيما يعود على جنسهم بالمنفعة التامة دون سواهم لم يكن بالامر الواقع ولا هو بالاعتقاد الصحيح وان الحكومة البريطانية على العكس من ذلك تمضي في خطتها العادلة وعلى تقاليدها القومية غير متأثرة بمثل ما ذكر ٠

وبناء على ذلك وعلاوة على ما بينته فيما سبق من اسباب رأيت ان اكتب لفخامتكم عن قضية العرب في فلسطين لان الوقت قد حان ولان الصبر اكثر من ذلك يعد تقصيرا فاضحا في حق قومي العرب وحق اصدقائهم البريطانيين ٠

٢ ـ ان العرب يحملون الاما مبرحة لانهم لم يروا نتيجة فعالة لتقارير البعثات البريطانية التي اوفدت الى فلسطين للبحث عن حقيقة الحال فيها في السنوات الماضية فضلا عن الكتاب الابيض الذي أصدره وزير المستعمرات السابق اللورد باسفيلد على خطورة تلك المستندات وبالرغم عما اشتملت عليه من حقائق ٠

٣ ـ ان الوعود التي قطعت للعرب أثناء الحرب العالمية كانت سابقة لوعد بلفور واعظم وضوحا منه وتلك الوعود هي التي حملت عددا عظيما من أبناء فلسطين جنودا وضباطا واهلين على الفرار من الجيوش التركية للانضواء تحت لواء والدي الملك في الثورة العربية التي قاتل ابطالها جنبا الى جنب مع القوات البريطانية ولم يكن للصهيونيين في تلك البلاد وجود سياسي البتة في ذلك العهد ولا كانوا فريق من أهلها بوجه من الوجوه ٠

٤ ـ ان التصريح المشترك الذي صدر في نوفمبر ١٩١٨ من الدولتين الحليفتين بريطانيا وفرنسا للعرب خاصة بأنهم لا يرغمون على قبول أي شكل حكومي يأبونه وانما يشجعون على انشاء حكوماتهم الوطنية وتبذل لهم المساعدة اللازمة لتوطيدها ونجاحها يجب ان ينظر اليه بالاهمية التي يستحقها وتجدر به عند النظر في تطبيق وعد بلفور في فلسطين ٠

٥ ـ ان وعد بلفور ينص على أن يكون لليهود وطن قومي في فلسطين ولكن ظواهر الحال تدل على أن اليهود استطاعوا بمختلف الاساليب ـ ولم يعارضوا في ذلك ـ ان يضعوا خطة اخرى تجعل من

فلسطين كلها وطنا قوميا لليهود وانه اذا نظر اي منصف الى ما كانوا عليه في اوائل الهجرة الى البلاد والشوط البعيد الذي قطعوه في استعمارهـا الى الان رأى ان نجاحهم يكاد يكون تاما وانهم بالغون ما اردوا في بضع سنين .

٦ ـ ان وعد بلفور يشترط عدم الضرر بمصالح السكان العرب وبعبارة أخرى انه يطلب ان تصان مصالح العرب كأمة ، غير ان العرب يرون في دوام الهجرة اليهودية الى فلسطين وفي تدفقهم غير الرسمي اليها تهديدا صريحا لكيانهم ، ونقضا فاضحا لذلك الوعد على علاته وفوق ذلك لا تزال مخاوف الساسة العرب قائمة من كون باب البيع للاراضي لا يزال مفتوحا على مصراعيه وفي كل يوم تنزع من أيدي العرب أرض بعد أخرى . اني أعلم ان ذلك لا يوقف بالاكراه ولكن الفت نظر فخامتكم الى الظروف القاسية التي وقع فيها العرب والى التنظيم الصهيوني المحكم ازاء ذلك والى ان الحكومات في مثل هذه الظروف هي التي تقف دون ضياع الشعب والقائه بنفسه في التهلكة وانه لو كان له ممثلون في مجالس نيابية او تشريعية لاستطاع هؤلاء الممثلون ان يقوموا بنصيبهم في الدفاع عنه ودرء الخطر الداهم .

٧ ـ لقد كانت حماية الضعيف أجل الاغراض السامية التي قامت من أجلها الحرب العالمية السابقة وما أجدر هذا المبدأ الشريف أن يذكر في أوان السلم عند النظر في حالة العرب في فلسطين بعد أن ضحوا ما ضحوا أثناء الكفاح وفي الوقت الذي لم تكن بلادهم فيه ملكا لغيرهم أو فيها مزاحم لهم .

٨ ـ ان الهجرة اليهودية قد نقلت الى فلسطين اجناسا متباينين من الخلق يحملون مباديء شتى ونزعات مختلفة جعلت هذه البلاد الهادئة المقدسة في قلق دائم وتعب مستمر فوق انها اصبحت بؤرة لمخاطر اجتماعية مقبلة تظهر بفظاعتها الشنيعة عند اول اختلال عالمي ويعم فسادا البلاد العربية في الاخص والشرق الادنى في الاعم ولا اخال حكومة فلسطين اذا تعمقت في البحث الا منتهية الى ما انتهت اليه من هذه النتيجة وبعض جمعياتهم السرية التي انكشف امرها امام المحاكم يؤيد ذلك .

٩ ـ ان اليهود قد حاولوا ولا يزالون يحاولون مجاوزة ما ذكر لهم في الوعد وبهذا قد تسببوا لايجاد فكرة ثابتة في الاذهان العربية من ان

مملكة يهودية في فلسطين تستتر تحت اسم الوطن القومي وفي هذا ما فيه مما يجعل المخاوف تتسرب الى ما وراء فلسطين من البلاد العربية وحتى الى الاشخاص الذين يتقلدون فيها مسئوليات كبرى ولم يقم اليهود دليلا واحدا على امكان امتزاجهم بالسكان العرب الاصليين وكنت اود من صميم فوآدي لو استطاعوا أن يكونوا غير ما هم عليه ٠

١٠ – لقد دلني الاختبار ان بقاء الحالة الراهنة كما هي من الهجرة غير المحددة وما سوى ذلك مما يشكو منه العرب ستظهر نتائجه السيئة المخيفة في المستقبل القريب ٠ اني اشعر ان ذلك المستقبل لا ينظر اليه اليوم بما يستحق من تفكير وانما يداوي الحاضر بالحاضر ولذلك لا يزال يقال ان هناك مجالا يستوعب مهاجرين جدد وان هنالك ارضا يستطاع بيعها ، ولكن ارجو أن تفكروا معي يا صاحب الفخامة بذلك المستقبل وان تنظروا معي الى ما يخبئه من مشاكل يستعصى حلها اذا استمرت الحـال على هذا المنوال من دوام البيع والهجرة واصبحنا من ذلك المستقبل وجهـا لوجــــــه ٠

يا صاحب الفخامة

اني اضع بين يدي فخامتكم هذه المسائل التي أقضت مضاجع العرب في فلسطين وخارج فلسطين واذا قلت لفخامتكم ان العالم الاسلامي كذلك في قلق منها لم أكن الا على ثقة مما اقول وعلى صواب مؤكد ولذلك رأيت ان الفت نظر فخامتكم الى هذه الامور المعقدة التي اؤمل ان يكون تفريجها على يدكم باذن الله ٠

اني لا أنكر مصالح بريطانيا العظمى قد اتسع نطاقها في فلسطين وغيرها من بلاد العرب بعد الحرب ، افلا تشعرون معي بعد هذا كله أن استبقاء المودة الصادقة التي يشعر بها العرب نحو امتكم النبيلة من الامور الجوهرية الواجبة العناية والجديرة بالرعاية ٠

اني ساع واسعى بكل ما رزقت من قوة لتأييد تلك الروبط بـــين الامتين لاعتقادي الجازم بأن توطيدها في مصلحة العرب كما هو في مصلحة الانكليز واني لا أجحد ان قومي العرب في فلسطين قد وقعوا في خطيئــــات سياسية عديدة وانما مرد ذلك كله عندي الى ما ساورهم من خوف على كيانهم المهدد وانه لمن الطبيعي ان لا ينتظر من شعب هذه حاله أن يظل عـلى رويته المعروفة عنه او في تفكيره الهادىء الواجب منه ولذلك فهم لا يستحقون اغضاء النظر عنهم لما فرط منهم فعذرهم في ذلك واضح بين ٠

يا صاحب الفخامــة

اني انقل اليكم مخاوف قومي العرب في فلسطين صريحة كل الصراحة ومجموعة على قدر الامكان في هذه المذكرة وارجو ان تعدوا ذلك مني مساعدة لفخامتكم في واجبكم الشاقالذي تضطلعون به واخلاصا مني لقومي العرب واصدقائي البريطانيين على السواء ·

وتفضلوا يا صاحب الفخامة بقبول فائق الاجلال والتحية ·

عمان في ٢٥ تموز ١٩٣٤ صديق فخامتكم المخلص

قدوم اللجنة الملكية

وهذه مذكرة رابعة حول مهمة اللجنة الملكية التي تقرر ايفادها الى فلسطين وتحديد مطالب العرب في بلادهم :

صاحب المقام الجليل السير آرثر ويكوب المندوب السامي لشــرق الاردن الافخــم

عزيزي صاحب الفخامة

لقد تلقيت كتاب فخامتكم السامي المؤرخ ١٩ـ٥ـ١٩٣٦ وانني شاكر ما احتواه من دلائل المحبة الاكيدة والولاء الصحيح والثقة الوطيدة ·

انه كما بلغ فخامتكم من دولة الكولونيل كوكس لقد كتب الى لجنــة العشرة العربية محبذا اللجنة الملكية الذي شاع نبأ العزم على ايفادها الى فلسطين مظهرا ميلي الى الترحيب بها ولقد قرىء كتابي في اللجنة اولا ثم استدعت اللجنة بعض رجالاتها من غير القدس وتلي عليهم الكتاب مرة أخرى وانعموا النظر فيه وعلى أثر ذلك زارني أمس عوني بك عبد الهادي وجمال بك الحسيني عن اللجنة المنوه بها وابلغاني شكرها واخبراني بأن الذين وراءهم يسرون بحل الازمة الفلسطينية ويحبون ان يتعاونوا مــع الحكومة على الوصول الى نتيجة مرضية دائمة · وان دليلهم على ذلك قبولهم اقتراح الحكومة بتأليف وفد منهم يسافر الى لندن وانهم بينمــا كانــوا

مشغولين بانتخاب اعضاء الوفد وقع الاعتداء من بعض قطاع الطرق الذين لا يمثلون أحدا ولا يمتون الى أية فئة بصلة فما كان من اليهود الا انهم هاجموا بعض العرب الابرياء فقتلوهم أخذا بالثأر وقامت مظاهرات يهودية في تل ابيب مثيرة فهاج ذلك نفوس العرب واستفزها واصبح في اعتقاد العرب ان السفر العاجل غير ممكن ، اما من ناحية اللجنة فقد ذكر الزائران لي أن العقيدة الفاشية بين الاهلين هي أن هذه اللجنة سبقتها لجان اتــت وامعنت في البحث ثم عادت وقدمت تقارير صادقة نزيهة فلم يقترن ذلك بنتيجة فالرأي العام في فلسطين وهو الدافع لهم في ما يبدونه من مطالب غير مطمئن ما لم يشهد مقدمة تسبق وصول اللجنة تحمله على الاعتقاد بأن المشكلة في طريق الحل النهائي ثم قال الزائران اما أعضاء اللجنة فــــلا يجرأون على عرض ترك الاضراب من غير برهان فعلي يقدمونه للرأي العام وقد نوهوا بذلك لفخامتكم ٠

لقد تأكد لي يا صاحب الفخامة ان الوفد مملوك غير مالك متصرف به غير متصرف بقيادة البلاد كما كانت الحالة قبلا وتصل بعضهم كتب تهديد فيما اذا ضعفوا ولم يقوموا بما عليهم من خدمة الشعب وبعض تلك الكتب يذيل بامضاء (عزرائيل وجبرائيل الامة) وقد اطلعاني على بعض تلك الكتب وعندما نصحتهم بعدم استعمال العنف انكروه بتاتا وقالوا انه لا يخطر لهم ببال فانهم يعرفون بأس بريطانيا العظمى وقوتها وليس فيما فعلوه شيء من ذلك وان حركتهم سلمية شاملة أرادوا بها اظهار شعورهم المكبوت منذ ثماني عشرة سنة ٠ أما الاعتداءات الفردية فهم يقولون عنها انها ليست من العرب وحدهم وانها من أشخاص غير معروفين وانهـــم ينكرونها ويبرأون منها ولقد فهمت من الزائرين أن في عزم الاعضاء متى تحققوا عدم الوصول الى ما يطلبون فانهم عازمون على التخلي عن العمل كلجنة كي يتركوا للرأي العام الاقدام على ما يراه محتفظين لانفسهم بما قدموا للحكومة وللرأي العام من نصائح كتقدمة خيرية قاموا بها وعجزوا عن أن يجعلوها مقبولة لدى الطرفين الشعب والحكومة ٠

اني لعلى ثقة يا صاحب الفخامة ان ما قالوه هو أمر غير مصطنع وان اعادة الحال الى ما كانت عليه من الهدوء والسكينة واستقبال اللجنة الملكية في جو هادىء هو بيدكم اذا اعلنتم توقيف الهجرة بالنسبة للظروف الحاضرة كما فعل السير هربرت صموئيل أولا ثم السير تشانسلر ثانيا واني لا أرى في عمل كهذا الا الاحسان والاصابة اللتين هما من جملة ما تتحلون به من الخصال الحميدة ٠

يا صاحب الفخامة

فكروا معي في شعب متخوف على وطنه من شعب آخر غمره في دخوله عليه وكاد ينتزع منه ذلك الوطن الذي عاش فيه وحماه واختصه لنفسه منذ فجر الاسلام الى الحروب الصليبية الى الاستيلاء العثماني الى عهد الثورة العربية الهاشمية ثم هو يرى ان ذلك الوطن ينتزع منه قطعة قطعة وشبرا شبرا ، اذا وزنتم فخامتكم معي هذا كله وجدتم ان أهل فلسطين وهم منذ ثماني عشرة سنة كانوا ينتظرون خلالها حل هذه المشكلة قد عيل صبرهم ووصلوا الى حالة اليأس وانني اتقدم الى فخامتكم راجيا منكم حل هذه المشكلة على الوجه الذي ذكرته وهو رعاية شعور الامة العربية المشارك لاهل فلسطين في مطلبهم المسبوق قبول مثله من أسلافكم وان هذا يعد من أجل الاعمال العظيمة الصادرة من كبار الرجال واني لا أضيف على ذلك الا قولي بأنه من المناسب استدعاءكم القائمقامين العرب وحكام المقاطعات وسوءالهم عما يعرفونه والاصغاء اليهم في ما يعرضونه كي تقفوا على تفاصيل هذه الحركة النفسية في مجموع الشعب واذا سمحتم لي أن أتوسع قلت ان أخوف ما أخافه هو ما رأيت من انتشار عقيدة جديدة بين أهل فلسطين العرب وهو ان لليهود التأثير المطلق على تصريف الامور في الحكومة البريطانية ويستشهد بعضهم على صحة ذلك بما ظهر في البرلمان البريطاني من وابل الاسئلة الحديثة ذوات المغزى الواضح على أثر وصول وايزمن من فلسطين عائدا الى لندن ، ان هذه النقطة دقيقة وحساسة جدا ، واستأذنكم كذلك في القول بكل صراحة ان عرض اللجنة الملكية على العرب قد جاء مشفوعا باعطاء شهادات جديدة بمهاجرين جدد من اليهود وان ذلك وفي الاخص في الظرف الاستثنائي الحاضر لم يكن من الخطوات المشجعة . ذلك ما رأيت أن أبينه لفخامتكم مقدما جزيل تحياتي واحترامي .

عمان في ٢٢_٥_١٩٣٦

صديق فخامتكم المخلص

الانذار بخطورة الوضع

وهذه مذكرة خامسة يشير فيها الى خطورة الوضع في فلسطين :

عمان في ١٠ تموز ١٩٣٦

عزيزي السير ارثور ويكوب

لقد غبر زمن لم أبعث اليكم فيه بأية رسالة ـ تخفيفا من ناحية وترقبا للحوادث من جهة أخرى ـ ولقد سمعت خطابكم بالراديو منذ ليال ولمست فيه حسن النية والرغبة في الخير ، ويسوءني ان يخطيء ادراك تلك الغاية المتوخاة منه وفهمها كما يجب غيري من الناس الاخرين كما دل على ذلك ما كتبوه في الصحف وما وصل الي من أخبارهم عنه ثم انه من المعلوم ان رسائلي الاولى كانت ودية وفي الوقت نفسه رسمية وقد احتوت آرائي بشأن ما تعالجون من مشكلة في فلسطين وقصاراي من ذلك كله انما هو توفيقكم وسلامة العرب في وطنهم وعدم حرمان اليهود من مكتسبهم أما رسالتي هذه فشخصية محضة سالمة من أية صفة رسمية مجردة من كل ما توحيه العاطفة وتدعو اليه ٠

يجب علي قبل كل شيء أن أؤكد لفخامتكم بأن الموقف يزداد خطورة في كل يوم وان العرب الذين يدافعون في فلسطين عن وطنهم وعنصرهم قد وطنوا النفس على الاستمرار فيما هم فيه حتى يبيدوا أو يسلموا والله وحده أعلم بالصعوبات التي أكابدها في سبيل السلام في شرق الاردن بينما الصراخات من فلسطين تشق مسامع الامة كل يوم ورسائل الاستفزاز تتطاير بينها والمتحمسون يستقتلون في تحريك عواطفها عن شتى الطرق من دينية وعنصرية ، ولا بد انكم سمعتم بالمؤتمر الذي عقد في قرية أم العمد برئاسة مثقال بن فايز وتم تدبيره قبل علمي به ولقد كاد ان يضم اليه مشايخ البلاد كافة فحلت بين مدبريه وبين حشد المشايخ اليه لئلا يخرجوا بالتشويق الى غير ما أرغب فيه لهم من سلامة وأملا مني بأن الحكمة في معالجة قضية فلسطين ستغلب في أخر الامر ومن حركة هذا المؤتمر الاردني ترون فخامتكم ما وصل اليه صبر الناس وما بدأ يتغلغل في النفوس بعد ان مر على المشكلة ما يقارب ثلاثة أشهر والعرب في موقفهم والحكومة في موقفها ٠

اني لاود أن أبين لفخامتكم شيئا من طبيعة العرب وحالتهم النفسية فأقول انه كل ما اشتدت الوطأة العسكرية ازدادت معها الاستماتة القومية ولا شك عندي ــ من استقراء الاحوال ــ انكم تظنون وتعتقدون نفع الحركات العسكرية ، وما الحركات العسكرية الا للفتح وطرد الاعداء كما هو معلوم وأما المشاكل التي تحدث بين العناصر فأنجع حل لها اتقاء سورة النفوس بما يحملها على القناعة بأنها تعامل بالعدل والانصاف وبالطرق الواضحة التي يرى الناس فيها عيانا رغبة الحكومة مجسمة في دفع البلوى وازالة الشكوى ، واني أؤكد لكم بعد هذا كله ولا تخامرني في ما أقول ريبة البتة بأنه ليس معنى التسامح من الحلم عند العرب أي ضعف بل هو بالعكس دليل عندهم على العدل والحكمة والمقدرة السياسية في ادارة الشؤون ، ان فلسطين تشكو الهجرة اليهودية وطغيانها ولم تقل انها تريد اخراج من دخل اليها حتى الآن من اليهود وان تكن هجرتهم على غير رضى العرب وبدون استشارتهم بصفة كونهم أصحاب البلاد الاصليين فلا عليك يا عزيزي اذا استقدمت اللجنة الملكية بدون أي شرط ، وأحب بهذه المناسبة ان الفت نظركم الى الفرق في العقيدة بهذه اللجنة الملكية بين أمس واليوم عند العرب فان الدعاية ضدها تتفاقم باستطالة الوقت وأخشى ان يزول كل أمل بها وتكون النتيجة الحتمية لذلك سفك الدماء وتخريب الديار وفظائع وأهوال يمكن الاستغناء عنها بالمبادرة وسعة الصدر ومعاملة المذعور المهتاج بما يخفف ذعره وهياجه أو ان تقوموا فخامتكم بأعباء وظيفة اللجنة نفسها كما قام اللورد اللنبي في مصر فأنقذ الديار المصرية والحكومة البريطانية من مشكلة كان من المؤكد انها تزداد تعقدا لولا سعيه الجريء فحل الازمة المصرية في أحرج أوقاتها ولم يغض ذلك من مقام بريطانيا العظمى وما رميت بالضعف أمام العنف وها هي ثمرات ذلك المجهود تقتطف اليوم ٠

ان الاراء العامة في فلسطين وشرق الاردن على وتيرة واحدة وانني ساهر يقظ على استمرار السياسة السلمية في شرق الاردن والحئول دون ما أحس بقربه من انفجار فيها ان دامت البلوى في فلسطين أو كان علاجها السيف الباتر وحده وقولي هذا عن علم ويقين ، واني اذا ذكرت ما المعت اليه من قبل في كتابي هذا من الوان الاستفزاز فلست لانسى قرار محكمة العدل في فلسطين وانه زاد الناس في كل جهة ايمانا بعدل قضيتهم وان ما يدافعون عنه هو الحق وانه كله بجانبهم ولقد تجلت آراء الموظفين العرب

لفخامتكم بما انطوت عليه مذكرتهم اليكم وعدواها تجد سبيلا الى الموظفين هنا في شرق الاردن والميول تتقارب وتنمو كلما طال الوقت ٠

عزيزي

أرجوك أن تقرأ كتابي هذا مرارا وأن تتلقاه كنصيحة أخ لاخيه ٠ ولا أقول الا شيئا واحدا وهو انكم اذا نظرتم الى الخرابات المنتشرة في هذه البلاد المنكودة الحظ انبأتكم بلسان الحال انها وليدة القمع والحركات العسكرية من مختلف الدول وان آباء العرب وأجدادهم ورثوهم ذلك من قبل فدرجوا عليه وأصبح عندهم مألوفا ، وأما الذي توقعوه من الحكومة البريطانية فغير ذلك جميعه ، فلم تكن بريطانيا عندهم كتلك الحكومات السابقة بل يرون ان عندها وسيلة أخرى في حل المشكلات وهي الطريقة المأثورة عن البريطانيين في الشرق قاطبة من عدل وسعة صدر وأخذ الامور بالاناة وبالجملة ان عند بريطانيا علاجا لذلك بأسره غير الحديد والنار ـ وانه العلاج الذي لم يكن في يوم من أيام تاريخهم بالناجع المفيد ـ ذلك هو الامل الشائع بينهم حتى الساعة على الرغم من كل ما هو حاصل من تدابير القمع ، وانحرصي على هذه العقيدة هو الذي يدفعني الى أن أحملكم فوق متاعبكم مؤونة كتبي ورسائلي على أن الدافع اليها في كل حال وايثار الخير وحده لمن عندي ولمن عندكم وعملا بما اضمر لكم عن حب التوفيق والمودة الشخصية والله يحفظكم عزيزي ٠

صديق فخامتكم المخلص

التنديد بالسياسة البريطانية

وهذه مذكرة سادسة يرد فيها على المندوب السامي حول سياسة بريطانيا في فلسطين :

عزيزي الجنرال ويكهوب

لقد ارتحت جدا مما أبديتم من سرور لما أتيح لكم من مشاهدتي مرة أخرى في عمان وتلك عاطفتي نحوكم وأشكركم كل الشكر على تقديركم كالعادة ترحابنا الحار بفخامتكم ٠

انه كما بلغ فخامتكم بصورة غير مباشرة وعملا باقتراحكم قد أوضحت جليا للزعماء العرب انكم أخبرتموني بأن حكومة جلالة الملك قررت بأنه لا يستطاع توقيف الهجرة كما انني أخبرتهم بأنه اذا أوقفت حركات العنف ستأتي اللجنة الملكية وتنظر في شكوى سكان فلسطين ، فكان من جوابهم ما لا بد أن أخبركم به الكولونيل كوكس ٠

أما من ناحية أسفكم لكون الزعماء العرب في غضون بضعة الايام الاخيرة لم يتفوهوا ويبدو شدة ضد أعمال القتل والعنف ، فانني ألفت نظركم الى أنه لم يمض الوقت الكافي على كلامنا مع الزعماء ونفي عوني بك عبد الهادي الى عوجة الحفير مما حملهم فيما اعتقد على الظن بتغيير مـــا أوجب حديثا اليهم ، واني لواثق بصدق ما أشرتم اليه فخامتكم من أن مسألة عوني بك كانت على بساط البحث منـــذ مدة غـــير يسيرة ولكن ملحوظتي هي ان التنفيذ جاء لسوء الحظ على أثر مقابلته لنا في عمـــان مباشرة مع اخوانه وحبذا لو ان ذلك التنفيذ سبق تلك المقابلة أو تأخـــر عنها ولو مدة لنرى ما يكون من خطته الاخيرة هو واخوانه وفي الاخص لان عوني بك من أقدر الجموع وأقربهم الى المساعدة على اعادة المياه الى مجراها العادي ، أما من حيث ما ذكرتم فخامتكم أن عوني بك غير مغتم من أبعاده الى الحفير فذلك مما لا أرتاب فيه ٠

اني على اتفاق مطلق معكم بأن اعمال القتل والعنف ممقوتة وانها لا جرم تؤثر في الرأي العام بانكلترا كما قلتم ، وكنت اود لو استطعت ان أخطو بالسياسة خطوة الى الامام فأقرب مسافة الوفاق من ناحية ، وازيل من الاخرى ولو بعض مخاوف العرب التي اخرجتهم عن الصواب ووصلت بهم الى ما نكرهه كلنا ، ولا مشاحة انهم يكرهونه هم انفسهم كذلك ولولا انهم تحت تأثير الخطر اليهودي الذي يتفاقم كل يوم بتدفق الهجـــرة

اليهودية ، وخطب اليهود النارية ، وتصريحاتهم المثيرة ، من غير ان تقابل من أي جانب آخر ولو بتطمين بسيط لكانوا أهدأ بالا واقرب منالا ٠

ولذلك فالعرب يعتقدون انهم يدافعون عن كيانهم المهدد بالزوال يوما بعد يوم فوق انهم يريدون ان يعلنوا بما فعلوا ـ وان كانوا ربما قد أخطأوا الطريق ـ بأنه لم يبق في ايديهم من وسيلة غير ما هم مكبون عليه لتفهيم بريطانيا العظمى خطر موقفهم وما يعانون من جزع وهلع ، امـــا اغتباط فخامتكم بالسكون الحاصل في شرق الاردن فانه ليسرني كـــل السرور وأعمـل له وادأب فيـه ، وبالاضافة الى الاماثل الذين نوهتـم بمساعدتهم لنا على استبقاء النظام سائدا في شرق الاردن فاني احب ان اضيف اليهم اخرين وهم ابناء شرق الاردن كلهم الذين وفد علي شيوخهم وزعماؤهم ووجهاؤهم والمشتغلون منهم بالقضايا الوطنية فأكدوا لي بعد محاورات شتى معهم طاعتهم المطلقة لنصائحي ووضع ثقتهم بشخصي وان سعيي في سبيل السلام لاخوانهم العرب في فلسطين يعدونه وان كان فرديا مقصورا علي ممثلا لمجموع جهودهم في الوقت عينه ، وعلى هذا الاساس لجأوا الى السكينة برغم كل الاستفزازات التي تحيط بهم سواء كان ذلك في البلاد المجاور لهم او فيما تذيعه الصحف العربية في العالم العربي كلـه ولقد تحقق لي صدق ذلك في مقابلاتي الخاصة اثناء جولتي الاخيرة في الشمال والجنوب من بلاد الامارة على اني اخاف كما قلت لكم من قبل انه اذا طال امد الاضطرابات في فلسطين وما يصحبها في العادة من التطورات المتتالية ان يعقب ذلك كله ما اسعى لصده من تغير موقف البلاد الحاضر ، واني أعد هذا الموقف اليوم بأنه موقف انتظار وحسن ظن ٠

لقد أحسنتم فخامتكم في وصف هذه الايام وانها عصيبة مفعمـــة بالاسف لي كما هي لكم وانه كلما أسرعت اللجنة الملكية في القدوم الى فلسطين كان ذلك أفضل للجميع وانه لكما ذكرتم فخامتكم ان ذلك كله لا يكون حتى تنتهي أعمال العنف في فلسطين ولقد شرحت هذه النقطـة للزعماء وأكدتها لهم تصريحات وزير المستعمرات الجديد وانـنـــي بهـــذه المناسبة أحب أن أبين لفخامتكم الشعور العام بين عرب فلسطين عن هذه اللجان وهو ان عدد المهاجرين الذين دخلوا البلاد في خلال اربع عشرة سنة كان ماية الف مهاجر أو أكثر قليلا وكانت البلاد تئن من هذه الكثرة وكان القائمون بالسلطة يشعرون بما تحمل فلسطين من ضغط هذا العدد الثقيل ، فلما رفع العرب صوتهم بالشكوى وجاءت على أثر ذلك لجان ثلاث للبحث في بعض الاسباب التي حملت العرب على ما فعلوا وعادت الى انكلترا وقدمت

تقاريرها في مصلحة العرب أنفسهم لم يرع فلسطين الا وقد تدفق عليها في خلال اربع سنوات فقط ثلاثماية الف يهودي اخر فوق الماية الف السابقة ، وهنا اترك لفخامتكم ان تتصوروا مقدار خوف العرب على كيانهم وشكوكهم من اللجان الموفدة وما يعقبها من نتائج دل على حاضرها ما مضى منها ٠

لقدصدقتم فخامتكم فيما قلتم ولا يخالفكم احد في ان العاقبة لا يمكن ان يكون فيها شك وان المسألة فقط هي كم يلزم من الوقت لانكلترا لكي تعيد النظام الى نصابه في فلسطين ، وقد زدتم على ذلك انكم اتيتم بثلاث كتائب اخرى من الجندي البريطاني الى فلسطين ـ ان العرب يا صاحب الفخامة لا يكاثرون بريطانيا بعددهم ـ ولا يفاخرونها بقوتهم وعددهم وهم يعرفون بأسها وضعفهم ولكن اؤكد لكم انهم لا يرمون من وراء ما فعلوه الا الى غاية واحدة وهي الحرص على وطنهم ولفت انظار بريطانيا الى ما يشكون منه من تدفق الهجرة اليهودية وهم هم العرب الذين قاتلوا جنبا الى جنب مع بريطانيا حتى ضد دولة كانت تحمل رئاستهم الدينية ، وهم هم العرب الذين يرون مصلحتهم مشتركة مع مصلحة بريطانيا في مختلف اقطارهم لا في فلسطين وحدها ولا يزالون برغم ما هو حاصل يميلون الى الاعتقاد بأن حكمة بريطانيا امضى من سيفها وان سعة صدرها ارحب من بحارها وان الضمير البريطاني اشد مراسا من اية سياسة اخرى ، وان وراء هذا القسم من الشعب العربي في فلسطين العالم العربي كله ثم العالم الاسلامي بأسره وكلا العالمين مرتبط مع بريطانيا بصلات ما اخالها تخل بها وتنفض يدها منها اكراما لليهود ٠

ان اكبر همي ان اعمل على ابقاء الصداقة العربية الاسلامية مع بريطانيا كما احب وكما يجب ان تكون مكانة وقوة وخلوصا من كل شائبة ، اني ادعو العرب الى الحرص عليها اليوم وغدا وفي المستقبل ولا اخلي اصدقاءهم البريطانيين من دعوتي هذه ٠

واني اكرر لفخامتكم استعدادي لمساعدتكم اذا تمكنت من ذلك وكان بيدي ما يشجعني على تلك المساعدة من برهان له أثره الفعال ، واذا ساور اليأس غيري فاني لا أزال على ثقة هي ان شاء الله متينة قوية ، واشكركم مرة اخرى على ما تلطفتم فأعربتم عنه في كتابكم من اغتباط اجتماعكم بي واود لو ان هذه الزيارة تتاح مرات اخرى ٠

واقبلوا فائق تحياتي واحترامي ٠

عمان ١٦ـ٦ـ١٩٣٦ صديق فخامتكم المخلص

محاورة هامة بين الملك والمندوب البريطاني

وهذه محاورة سياسية هامة دارت بين الملك والمندوب السامـــــي دارت في عمان بين الملك والمندوب السامي في فلسطين وقد ادلى فيها جلالته باقتراحات هامة حول الحلول العملية لمشكلة فلسطين وقد نقلت من الامالي بالحـــــرف :

حضر المندوب السامي اليوم (السبت ٥ سبتمبر ١٩٣٦) وبعد المجاملة المعتادة ذكر لسمو الامير ان الوزارة البريطانية قررت قمع الاضطراب في فلسطين بالقوة وانها اعدت لذلك فيلقا جديدا سيأتي الى البلاد ومعه قائده الذي يقوم بتلك المهمة من غير ان تتدخل الحكومة المدنية في ذلك القمع – ثم قال المندوب ان الوزارة كانت مستاءة من بلاغ مجلس العشرة الاخيرة (اللجنة العليا) فقال سموه لا ينبغي ان تلجأ بريطانيا الى هذه الخطة لانها خطرة جدا ومن المؤكد ان توغر صدور العرب في جميع الاقطار على الانكليز وتوجد ضدهم عداوة دينية قومية وهذا ما لا يريده امثالنا من مؤسسي الصداقة البريطانية العربية ، ثم قال سموه اني لا أجد فوق ذلك مـــــن الانصاف ان يؤخذ الشعب العربي في فلسطين بجريرة عشرة اشخاص وها اني اتقدم بواسطتكم للحكومة البريطانية شفيعا بامتي العربية في فلسطين لانها بريئة واصر على أن تبرقوا فخامتكم للوزارة البريطانية بأني اكـــــرر طلبي الاول بالعفو عن حملة السلاح وكف التعقيبات عن الحوادث الناجمة عن الاضطراب ومنع الهجرة اثناء وجود البعثة الملكية ، فقال المندوب اني سأفعل ولكنني أعرف النتيجة من الآن فان الوزارة اتخذت قرارها بقمع الاضطراب بالقوة وستمضي فيه ثم قال المندوب ولا اضيف على ذلك الا قولي بأن الذي كان بيني وبينكم من تفاهم سري شخصي على اجابة بعض المطالب قد الغاه قرار الوزارة وعدم قبول العرب لنصائحكم ، ثم قـــــال فخامته ماذا تظن سموك أن يكون رأي الناس في شرق الاردن اذا ابتدأت الحركات العسكرية فقال سموه ان الفكرة القائمة بين العرب صغيرهـــــم وكبيرهم من نساء ورجال ان الحركات العسكرية ترمي الى اخضاع العرب بالسيف اكراما لخاطر اليهود ، ثم قال سموه مبتدئا ان اقتراحاتي مبنية على ثلاثة أمور هامة (١) موقع فلسطين بين الملل (٢) ثم موقعها من الحكومة البريطانية (٣) ثم موقف الحكومة مع اليهود • والان فالعرب في حاجة الى مساعدتي واليهود لا يعترضون عليها فها هم اليهود قد بعثوا الي برسول يقولون معه انهم لا يعترضون على ايقاف الهجرة موقتا واني اؤمل ان يرضى العرب بما ارسم لهم من خطة ولم يبق في صف المعارضة فيما يلوح لـــــي

غير الحكومة البريطانية فقال المندوب ان اليهود اتوني منذ يومين او ثلاثة واعترضوا بشدة على اشاعة وقف الهجرة فقال سموه اني مستعد أن أؤيد قولي باستدعاء شرتوك ورسوله الذي حمل الي ذلك الخبر وأجمعه بفخامتكم واحمله على التصريح امامكم بما ذكرت ثم قال سموه اني اكرر طلبي السابق واصر على أن ترسلوه فخامتكم الى الوزارة وازيد على قولي ان لدي رسالتين من اليهود يقولون فيهما انهم في سرور اذ انا تدخلت في الامر واصلحت الشأن وان الرسالتين قد عرضتا على المعتمد ، وهنا تكلم المعتمد فقال ان اليهود قالوا في الرسالتين انهم لا يرضون بمنع الهجرة ولكن اذا اضطرت بريطانيا العظمى الى ذلك فانه خير عمل يعمل لوقف الحركات الحاضرة ، ثم استأنف سموه الحديث فقال انني بالنظر لما ابديته من معاضدة لكم في اعادة الحالة الى ما كانت عليه من تفاهم حسن وبالنظر لتأييد الاردنيين لهذه الخطة فعلا فانني أتقدم بأسم الاردن وبأسم كل شخص فيه طالبا عدم اجراء الحركات العسكرية تفاديا من ازدياد سوء الحالة ثم اني أؤكد لفخامتكم بأن العرب لا يعادونكم وان حركاتهم هذه ليست بأمر من لجنة العشرة ولكنها يا فخامة المندوب الهجرة اليهودية ـ نعم هي الهجرة اليهودية والخوف من ضياع الوطن بطغيانها هذا هو الذي دفعهم بأجمعهم الى اتباع خطة الدفاع الحاضرة فقال المندوب نعم ثم قال سموه لا شك انكم تعلمون بأنني في وضعي الحاضر لا أقاس بأي ملك او امير عربي اخر فأن بين العراق وفلسطين والحجاز وفلسطين رمال وقفار ومسافات شاسعة وان بلادي هذه تتصل بفلسطين اتصالا فعليا من حيث التجارة والموانيء وسائر المرافق الحيوية فبأسم هذه المنافع العالية الحيوية لي الحق ان اتوسل بكل ما يدفع الحيف عن فلسطين فقال المندوب نعم ونحن نشكرك وشرق الاردن على الجهود التي بذلتموها للتسوية بين ألعرب والحكومة ·

ثم ذكر سموه خبر الكتاب الذي ارسله وزير المستعمرات الى الدكتور وايزمن المنشور في البالستين بوست معترضا عليه وقال ان السير كانليف لستر وزير المستعمرات الاسبق كان لا يقبل مني أي محادثة بشأن فلسطين ما لم تكن بواسطتكم فلماذا الوزير الحاضر يقبل مخابرة وايزمن وتجيبه اليس هذا من الوزير تحيزا لليهود ، فقال المندوب اني اوافق على انه لم يكن من المناسب نشر ذلك الكتاب ولا ارساله ·

ملحوظـــة :

كان المترجم بين سمو الامير وفخامة المندوب السامي المستر كركبرايد معاون المعتمد البريطاني في عمان ·

الدفاع عن فلسطين امام اللجنة الملكية

وهذه مذكرة اخرى خطيرة ، وجهها جلالته الى اللجنة الملكية منافحا عن حقوق العرب في فلسطين :

الى اللجنة الملكية الموقرة في فلسطين

فخامة الرئيس

حضرات الاعضاء الكرام

اني لاشعر بفادح التبعة التي تتحملونها ، وبالعقبات الكؤود التي تعالجونها وقد رأيت أن أجمع بين يديكم ما تفرق من آراء العرب وما تختلج به صدورهم ويدور في مجالسهم حول القضية الفلسطينية واذا قلت العرب وخصصت ابناء فلسطين منهم فلست لانسى اخوانهم الاخرين في جوارهم الى أقصى ما تمتد اليه ممالكهم واماراتهم فهؤلاء قاطبة يرقبون الحالة في فلسطين بدقة ويقظة لما بين العرب من وحدة الشعوب والصلات القومية والدينية ورابطة المصير فيما يعتقدون ٠

اني لارجو ان اكون اصدق ناقل عن العرب واصرح معبر عن امانيهم اما ما يخصني من رأي فأني ارجيء الافصاح عنه الى فرصة اخرى على اني اود قبل كل شيء ان الفت نظر اللجنة الملكية الموقرة الى تعريف العرب لبلادهم وان اقول ان ذلك التعريف يرجع الى ما قبل الف وثلاثماية سنة ونيف ولست اخال امة تحت الشمس ورثت مثل ذلك التخطيط المدون لامصارها وبيان شتى أقطارها من عهد يبلغ من القدم والايغال فيه ما يبلغ ذلك التحديد وانصع ما يقدمه العرب من دليل على صدق قولهم ما ذكره عبدالله بن عباس عن بلاد العرب وابن عباس رضي الله عنه من صحابة الرسول صلوات الله عليه وابن عمه لحا وحبر الامة الاسلامية ، قال ابن عباس :

« انما سميت بلاد العرب جزيرة لاحاطة الانهار والبحار بها من جميع أقطارها واطرافها فصاروا فيها في مثل الجزيرة من جزائر البحر وذلك ان الفرات اقبل من بلاد الروم فظهر من ناحية قنسرين ثم انحط على أطراف الجزيرة وسواد العراق حتى وقع بناحية البصرة والابله وامتد الى عبادان واخذ البحر في ذلك الموضع مغربا مطيفا ببلاد العرب منعطفا عليها فاتى منها

على صفوان على قدر مرحلة من باب المربد بالبصرة وكاظمة الى القطيف وهجر واسياف البحرين وعمان والشحر ومال عنق منه الى حضرموت وناحية ابين وانعطف مغربا منصبا الى دهلك واستطال ذلك العنق فطعن في تهائم اليمن بلاد حكم والاشعريين وعك الى جدة ساحل مكة والجار ساحل المدينة ثم ساحل الطور وخليج ايله وساحل رايه حتى بلغ قلزم مصر وخالط بلادها واقبل النيل في غربي هذا العنق من اعلى بلاد السودان مستطيلا معارضا للبحر حتى دفع في بحر مصر والشام ثم أقبل ذلك البحر من مصر حتى بلغ بلاد فلسطين في عسقلان وسواحلها واتى صور وسواحل الاردن وعلى بيروت وذواتها من سواحل دمشق ثم نفذ الى سواحل حمص وسواحل قنسرين حتى خالط الناحية التي أقبل منها الفرات منحطا على أطراف قنسرين والجزيرة » •

ثم اني لا اريد ان اتجاوز هذا التحديد الى ما يرويه العرب عن فلسطين قبل ذلك وانها كانت مأوى العمالقة من قبائلهم وحتى الملوك الرعاة (الهكسوس) الذين اغاروا على مصر واستولوا عليها مدة من الزمن وانما أقول انه منذ تأسيس المملكة العربية بمعناها الصحيح الذي حدده ابن عباس قد سكن العرب في بلادهم هذه فلسطين فلم يتحولوا عنها ولم تقدر الحروب التي طالت مئات من السنين ان تنزعها منهم أو تطمس أثرهم فيها وما برحوا محكمة بها اسبابهم مشتبكة انسابهم من غير فترة ولا انقطاع •

ان أمة هذه عقيدتها في بلادها وتلك سيرتهم فيها ومدة حفظهم لها لا يمكن ان تعترف بما يزعمه اي دخيل من حق له فيها كائنا من كان •

ان اليهود لم ينبتوا في فلسطين ولا كانت مهدا لهم ولكنهم طرأوا عليها من الخارج كغيرهم من الشعوب الاخرى الغريبة عنها ـ غزاة فاتحين ـ ولقد قاتلوا الفلسطينيين في حروب طاحنة فاغتصبوا قسما منها نزلوا فيه مدة محدودة ثم خرجوا كما دخلوا بقوة السيف وتداولت الامم تلك البلاد حتى استرجع الحق اهله ولذلك فالعرب لا يجدون لليهود أي مسوغ من ناحية التاريخ للمطالبة بالاقامة في فلسطين كأنه حق لهم دائم ، فان العرب قد استرجعوا البلاد من الرومان وظلوا فيها حتى اليوم في اقامة متصلة غير منقطعة ولم يتزحزحوا عنها قيد انملة ثم ان العرب لا يفهمون كيف تصح المطالبة ببلاد كان فيها اليهود على الشكل الذي ذكرته ثم خرجوا منها قبل الفي سنة تقريبا ثم تأتي السياسة الاخيرة فتقول ان تلك

المطالبة قانونية ، وليت شعري اي قانون من قوانين العالم يعترف بشرعية مثل هذه المدة السحيقة وكيف تكون حالة امم الارض لو أخذت بهذه النظرية حتى الامبراطورية البريطانية نفسها وحتى الشعوب التي تتألف منها عصبة الامم .

واذا انتقل العرب من ناحية التاريخ الى الحالة الاجتماعية لم يسع فريقا من عقلائهم الا ان يعرب عن الاسف الشديد لما كان من تصرف اليهود الذي جر عليهم البلاء في كل زمن من الازمنة فلم يعظهم ذلك ولم ينتفعوا به قلامة وأقرب شاهد عندهم على ذلك ما وقع لليهود في هذه الايام في المانيا وفي بولندا وما تتحفز لمثله أمم أخرى عظيمة ، فاذا كان اليهود قد عجزوا عن الامتزاج بالامم المتمدنة المثقفة التي عاشروها منذ مئات السنين وتكلموا بلسانها وسكنوا معها واختلط حتى دمهم بدمها فظلوا على الرغم من هذا كله جزءا منفصلا عن جسم الوطن حتى وقع عليهم الاضطهاد والجأهم اخوانهم في ذلك الوطن أن يبحثوا عن ملجأ لهم آخر ، فما هو ذنب العرب حتى يرضوا هم بما رفضه غيرهم ويحملوا ما عجز سواهم عن حمله ويضحوا بوطنهم وأنفسهم اكراما لليهود ، ثم كيف يمكن لليهود أن يخالطوا العرب ويمازجوهم بعد أن ثبت لكل أمة سكن اليهود معها ان الاتصال بهم باطل وان التآخي معهم مستحيل .

ان اليهود يحتجون بتصريح بلفور وان لهم بمقتضاه وطنا قوميا في فلسطين وقد كان ذلك يجوز شرعا وعقلا لو كانت فلسطين قفرا بلقعا خاليا من الناس : ولكن فلسطين كانت مأهولة يوم صدر ذلك التصريح ولها سكانها الاصليون ، فبأي حق تستبد أمة بحق وطن آخر فتعطيه لآخرين وأهله أحياء يرزقون . لقد قامت الحرب العامة العالمية على أساس أن القوة للحق وليس الحق للقوة وما أدري كيف تتلقى الشعوب فيما يقبل من الزمن تصريحات الدول العظمى عن أغراضها من أية حرب أخرى قادمة يمكن أن تنشب وكيف يكون موقف تلك الشعوب من تلك التصريحات بعد هذه التجربة القاسية .

ان بلفور لم يجعل لتصريحه حدا البتة بل جعله طليقا من كل مدة ينتهي اليها وكأنه يريد أن يبقى الى أن تقوم الساعة أو حتى لا يبقى عربي واحد في فلسطين كما يقول اليهود ويتم لهم طرد العرب من وطنهم وانشاء مملكة يهودية على أنقاضه وذلك بفضل بلفور الذي تصدق من مال غيره وعلى غير علم منه أو رأي له في الموضوع .

ان عقلاء الساسة من العرب يعتقدون أن تصريح بلفور هذا أكبر مانع لما كان يمكن أن يقع في الوهم من امكان ائتلاف العرب واليهود وذلك ان اليهود قد ركبهم بسبب ذلك التصريح غرور أدى بهم الى الخروج عن كل حد معقول فملأوا الدنيا تهديدا للعرب وتبجحا بأحلامهم الصهيونية وكل ذلك اعتمادا على تصريح بلفور وعلى أن حراب انكلترا طوع أمر اليهود وانهم بها يطعنون صدور العرب وانهم عليها يشيدون ملكهم المزعوم وقد نسي أولئك اليهود ان في فلسطين أمة غيرهم وانها العرب وانها ذات شرف ودين وتاريخ وان تلك الاسطر المعدودة التي تصدق بها عليهم بلفور لا يمكن ان تمحو العرب من الوجود في فلسطين مهمما نسبوا اليها من سحر ومن قوة ، ولقد كان الاجدر باليهود التودد لتلك الامة واكتساب ثقتها وعدم تخويفها بصياحهم وكان يجب عليهم أن يشعروا من الناحية الانسانية والمنطقية بثقل الضربة الموجهة الى العرب بمزاحمة اليهود لهم في عقر دارهم ولكن اليهود طغوا طغيانا شديدا وجمدت لهم كل عاطفة حيال ذلك ولولا تصريح بلفور فيما يعتقد أولئك الساسة العرب لكان اليهود أقرب الى التفاهم وكان بعض أمانيهم أدنى الى التحقيق.

وهنا يخلق بي ان استرعي انتباه اللجنة الموقرة الى أن البغضاء التي عومل بها اليهود في الاقطار الاوروبية لم تكن فاشية في الشرق الاسلامي ولا العربي وكان لهم فيهما المكان الرحب وانما بعد ان صدر تصريح بلفور يجر وراءه الاقاويل عنهم أضاع اليهود ما كان لهم من عطف عليهم في نفوس العرب والمسلمين وما ذلك كله الا بعض العواقب السيئة التي وقعت عليهم أنفسهم من تصريح بلفور هذا وانها لنتيجة مؤلمة محزنة .

ومن الغريب في تصريح بلفور انه أعطي لقوم لم يكن لهم أي وجود سياسي بعد في فلسطين فكان بمثابة شهادة الميلاد قبل حصول الميلاد وأما الذي كان موجودا في فلسطين فهو العرب لا غير فكيف يسوغ أن يمنح تصرريح لاناس على أرض ليسوا فيها ويتجاهل صاحب التصريح المالك الشرعي لتلك الارض والمستقر فيها مع العلم أن فلسطين كانت في ذلك الحين لا تزال من الناحية الدولية بلاد العدو المحتلة لا يصح التصرف بها مع الهوى والمشيئة ولا يظن العرب أن ثمة في الارض تصريحا بمثل هذه الغرابة وذلك الشذوذ .

وهنا يجدر بي أن أذكر أعضاء اللجنة الملكية بأمر جلل وهو ان العرب يطلبون انجاز الوعد الخطي الذي أعطي لهم عن طريق والدي الملك وبموجبه سفكوا دماءهم في الحرب العامة من أقصى حدود الحجاز الى تخوم حلب وسهلوا لجيوش اللورد اللنبي حرية الزحف في بلاد كانت جيوشه آمنة فيها غير مكلفة بما تعانيه الجيوش المقاتلة أثناء وجودها في بلاد أعداءها ولا يزال العرب يعتقدون أن على عاتق بريطانيا الى الآن الكثير من الالتزامات الواجبة الاتمام نحوهم وانها فوق تصريح بلفور قوة يؤيدها التعاون الفعلي الذي قام بينهم وبينها منذ أول الحرب العالمية الى أن وضعت أوزارها • ثم أن تلك العهود سابقة لتصريح بلفور ومعززة بعده بغيرها وبالتصريح المشترك الذي أصدرته بريطانيا العظمى وفرنسا معا سنة ١٩١٨ فوقع ذلك التصريح البلفوري بين شقين من وعود سابقة وأخرى لاحقة ولا يدري العرب كيف كتب له البقاء وهذا مكانه وتلك حاله بين حجري الرحى •

ان لدى العرب عقيدة انبثت بينهم وزادتها الاحوال قوة الا وهي ان الحكومة البريطانية لا تنظر في ادارة فلسطين الا الى ناحية واحدة (جعل البلاد في أحوال سياسية وادارية واقتصادية تكفل انشاء وطن قومي يهودي فيها) ولعمري ماذا يبقى للعرب من كيان اذا هددوا كما رأينا في شؤونهم السياسية والادارية والاقتصادية •

ان العرب اذا التفتوا الى ما كانوا عليه في فلسطين قبل الحرب وما وصلوا اليه بعدها ونظروا الى ذلك الطوفان المتدفق عليهم من اليهود وانهم بلغوا في نحو أربعة عشر عاما ما اقتضى العرب أربعة عشر قرنا ان يبلغوه حق لهم ان ترتجف أعصابهم أمام هذا الموت الحثيث ، وأن يسألوا الى أين هم صائرون •

ان تلك النقطة من صك الانتداب هي التي برهنت الحكومة بالفعل وبالاعمال البينة على أنها قامت بتحقيقها وركبت لذلك كل سبيل وأما ما نص عليه صك الانتداب نفسه للسكان الاصليين فلا يزال حتى اليوم حبرا على ورق فان صك الانتداب مثلا يشير الى اقامة حكومة مستقلة عن الدولة المنتدبة يطلق عليها أسم حكومة البلاد فأين هي هذه الحكومة التي يجب أن تتفق في كثير من الامور مع الدولة المنتدبة (مادة ١٣) ثم أنظر ما تقول المادة (١٧) عن هذه الحكومة من ناحية الجيش والطيارات مثلا ثم هل نشطت الدولة المنتدبة الاستقلال المحلي والحكم الذاتي

المنصوص عليهما في ذلك الصك بمقدار ما نشطت الهجرة اليهودية بجميع أشكالها وأنواعها ، ثم قالت المادة السادسة من صك الانتداب ان على الحكومة في فلسطين كفالة عدم الحاق الضرر بحقوق ومركز جميع طوائف الاهالي وأن تكون هجرة اليهود في أحوال مناسبة فهل قامت الحكومة برعاية هذه المادة من ناحية الضرر بالاهالي ومركزهم ومن جهة الاحوال المناسبة •

ان الحكومة المنتدبة في رأي العرب قد بلغت أقصى التطرف في حماية مصالح اليهود الذين سمتهم فلسطينيين بالقوة وأعطتهم الجنسية الفلسطينية وهم بعد في مواطنهم البعيدة عن فلسطين أشد البعد وقبل ان تطأ أرجلهم فلسطين أو تقع عيونهم على شيء منها المانا أو روسا أو بولونيين أو غير ذلك ولا تزال الدولة المنتدبة ماضية في ذلك السبيل متفانية فيه ، ولما ضاق عنها حتى تصريح بلفور نفسه ابتكرت شيئا جديدا جعلته ذيلا لذلك التصريح وذلك الذيل هو ما سمته (القدرة على الاستيعاب) وكما انها تولت اختراعه فهي التي تتولى تفسيره وحدها من غير ان يكون للعرب في ذلك أي رأي لانها تعد نفسها مقيدة برأي الوكالة الصهيونية المعترف بها ممثلة لليهود وأما العرب فلم تفكر الادارة قط بمن يمثلهم ويعرب عن رأيهم وتركتهم تحت رحمة القضاء •

وكيف لا يقنع العرب أن الحكومة المنتدبة لا يهمها من الامر الا قضية اليهود وحدهم ولديهم البرهان التالي وهو ان عدد المهاجرين الذين دخلوا فلسطين في خلال أربع عشرة سنة كان مئة الف مهاجر يهودي أو أكثر قليلا وكانت البلاد تئن من هذه الكثرة فلما رفع العرب صوتهم بالشكوى وجاءت على أثر ذلك لجان بريطانية ثلاث للبحث في الاسباب التي حملت العرب على ما فعلوا وعادت الى انجلترا وقدمت تقاريرها في مصلحة السكان الاصليين لم يكن من الحكومة الا انها سمحت بتدفق الهجرة على فلسطين فدخلها في خلال أربع سنوات فقط ثلاثماية الف مهاجر يهودي آخر فوق الماية الف السابقة ، وذلك ما استفاده العرب من لجان التحقيق وانتهوا اليه •

ثم ان الهجرة التي تسميها الحكومة (غير مشروعة) وتقصد بها اليهود الذين يدخلون فلسطين تسللا ومن غير ارادتها ومعرفتها قد تجاوزت الحدود المعقولة وقاربت الهجرة المشروعة فماذا فعلت الحكومة ازاء ذلك ، هل قللت من اعطاء الرخص للموازنة بين الهجرتين أم هل أخرجت

المتسللين من البلاد ، كلا ، بل ازدادت في اعطاء الرخص سخاءا وكرما فانصب على البلاد من الناحية المشروعة وغير المشروعة سيل لا يزال متدفقا ينهمر . فكيف يطلب من العرب ازاء هذه الحالة أن تحصل لهم طمأنينة أو تكون لهم ثقة بأنهم لم يصبحوا على عتبة الباب وانما انها عشية أو ضحاها حتى تدفعهم يد القوة من تلك العتبة الى العراء .

ان العرب قد طالما لفتوا نظر الحكومة البريطانية وفي الاخص قبل الحركة الاخيرة في فلسطين الى ما أجمع عليه خبراء بريطانيون ولجان تحقيق بريطانية رسمية والى احترام التزامات بريطانيا العظمى نحو العرب وحتى الضئيل المثبت منها في صك الانتداب وان تذكر ان للعرب حقا طبيعيا في بلادهم وكيانا أصبح مهددا بالزوال . ثم ان العرب يعتقدون ان تصريح بلفور قد تم منذ أمد بعيد فقد أصبح لليهود وطن قومي في فلسطين ولهم فيها مدنهم وقراهم ومزارعهم ولغتهم وطائفة هائلة من موظفيهم في جميع الدوائر الحكومية الصغيرة منها والكبيرة وان مجاوزة هذا الحد معناه جعل فلسطين كلها يهودية لا جعل وطن قومي فيها لليهود ولذلك لا يمكن لعربي مهما كان اعتداله ومهما شارك المؤيدين لوعد بلفور في شفقتهم على اليهود التي تجاوزت كل حد وعاطفة الا ان ينصح بكل ما أعطي من قوة للوقوف عند هذه الغاية وعدم التقدم فيها ولو خطوة واحـدة .

ان العرب برهنوا في الحرب العامة وما بعدها الى اليوم على انهم أصدقاء أوفياء لبريطانيا وان تطورات الظروف زادتهم ايمانا في ذلك وأصبح ولائهم للامبراطورية البريطانية سياسة تقليدية ثابتة في مملكتهم العراقية وامارتهم الاردنية ومملكتهم السعودية العربية ومملكتهم اليمانية وفي جميع اماراتهم الاخرى في الكويت والبحرين وعمان وسائر المشيخات العربية وانهم على سواحل البحر الابيض وسواحل البحر الاحمر ومن حولهم الملايين من العالم الاسلامي الذي يصح أن ينظر الى بريطانيا العظمى نظرا خاصا ملؤه الاعتماد والثقة فهم يعتقدون ان هذه الامبراطورية لا تفرط بهذه العلاقات كلها بتضحية فلسطين لليهود الذين نالوا ما صبوا اليه من وطن قومي في فلسطين منذ أمد سحيق وفي اسرع مدة ممكنة فتفتح بذلك جرحا عميقا في نفس العالمين العربي والاسلامي لان بريطانيا في معالجة مشكلة فلسطين انما تضع بنانها على العرق الحساس للعرب والإسلام واما الخوف على مصالح بريطانيا مما يشاع عن قوة اليهود

وسعة جبلتهم فلا أدل على بطلان ذلك من عجزهم عن القيام بأي عمل ضد أية أمة أخرجتهم من أرضهم ولا تزال تشرد بهم في الآفاق وأما المصالح الامبراطورية ففي معزل عن ذلك ونجوة والبرهان على صدق هذا القول قائم في كل مكان ، واذا ذكر العرب المصلحة الامبراطورية فانما يعنون في ذلك أنفسهم في الوقت عينه لارتباطهم بها بعلائق متينة وانهم معها في هذا العالم الزاخر بالقلق والاضطراب على صلة الموت والحياة بمقتضى الحلف والمركز الجغرافي والمصلحة المشتركة ، اني انا شخصيا لا أزال أعمل على بقاء الصداقة العربية الاسلامية مع بريطانيا كما أحب وكما يجب أن تكون مكانا وقوة وخلوصا من كل شائبة واني ادعو العرب الى الحرص عليها ولا أخلي أصدقائهم البريطانيين من دعوتي هذه ٠

وتفضلوا يا صاحب الفخامة والسعادة بقبول فائق التحية والاحترام

عمان في ١٠ يناير سنة ١٩٣٧

الرد على مكماهون

وهذه مذكرة تاريخية خطيرة انفذها الملك الى المندوب السامي البريطاني في فلسطين يدحض فيها مزاعم هنري مكماهون صاحب الوعود الكاذبة :

عمان في ١٧ جمادى الاولى ١٣٥٦

الموافق ٢٥ تموز سنة ١٩٣٧

صاحب المقام الجليل السير آرثر ويكوب المندوب السامي لشرق الاردن الافخم.

عزيزي صاحب الفخامة

انه لم يدر لي في خلد البتة أن يجرأ أحد فيعرب عن رأي المرحوم والدي الملك بعد انتقاله من هذه الدار الفانية الى جوار الله سبحانه حتى سمعت البارحة في الاذاعة عن لسان السير هنري مكماهون ان العهود المقطوعة لوالدي لم تتناول فلسطين وان المرحوم نفسه كان يعلم ذلك ، ولما كان لتلك التهمة خطورتها وكنت الوحيد الباقي من أنجاله كان حقا علي أن أذود عنه وأسوغ لنفسي النطق بلسانه وأصرح ان تلك العهود كانت تشمل فلسطين وان المرحوم الوالد والذين معه كانوا على تلك العقيدة الراسخة لم يساورهم فيها ريب فوق اني كنت أعلم ذلك عنه في حياته وان فيما بين يدي من مراسلاته مع السير مكماهون ما يعزز حجتي ويؤكد صوابها ولقد كنت في ذلك الوقت كاتب يده وأمين سره والمتولي تلك المذكرات الى أن انتهت الثورة ٠

اني لارجو بعد أن تطلعوا على بياني هذا ان تتكرموا فتعملوا على تصحيح تلك الاذاعة بمثلها حرصا على الحقيقة وعلى التاريخ ووفاء لعظيم من عظمائه ان كان قد انتقل من الدنيا فان على الذين بعده من أمثالنا من آله ومن أصدقائهم أجمع أن يدفعوا عنه ما لا يمت اليه بصلة وفي الاخص ما يختص بكرامته القومية واني تأييدا لما المحت اليه أذكر ما يأتي :

١ ــ لقد كانت مسألة (الحدود) عقبة كؤودا في المراسلات التي دارت بين المرحوم والدي والسير هنري مكماهون نائبا عن بريطانيا العظمى وعلى الرغم من أية محاولة لاقناعه بالعدول عنها أو تعديلها فقد أصر على التمسك بها والبت فيها فقد قال السير هنري مكماهون في كتابه المرسل للشريف حسين بتاريخ ١٩ شوال ١٣٣٣ (٣ أغستوس سنة ١٩١٥) ما يأتي :

« أما ما يتعلق بالحدود فقد يكون بحثنا في مثل هـــــذه التفاصيل ـ والوقت قصير والحرب قائمة ـ سابقا لاوانه خاصة وان تركيا لا تزال تحتل قسما كبيرا من الاراضي التي أشرتم اليها في اقتراحكم احتلالا تاما » .

أما تلك (الاراضي) التي يشير اليها السير مكماهون فهي التي وردت في كتاب والدي اليه مع علي أفندي أصفر وفي المادة الاولى منه ما يلي :

١ ـ « ان تعترف انجلترا باستقلال البلاد العربية من مرسين ـ ادنه حتى الخليج الفارسي شمالا من بلاد فارس حتى خليج البصـــرة شرقا ومن المحيط الهندي للجزيرة جنوبا يستثنى من ذلك عدن التي تبقى كمـا هي من البحـر الاحمر والبحـر المتوسط حتى سيناء غربا » .

أما جواب والدي على الكتاب السابق للسير هنري مكماهون فكان بتاريخ ٢٩ شوال ١٣٣٣ (٩ أيلول ١٩١٥) وفيه ما يأتي :

« ان مصالح أبناء «ديانتنا» كلها تطلب الحدود التي ذكرتها لكم »

ثم ان جلالته أشار في ذلك الـكتاب بكلمات شديدة اللهجـة الى « البرودة » والى « التردد » الذين ظهرا في كتاب السير هنري مكماهون « فيما يتعلق بالحدود » ثم قال جلالته فيه :

« ان هذه الحدود المطلوبة ليست لرجل واحد نتمكن من ارضائـه ومفاوضته بل هي مطالب شعب يعتقد ان حياته في هذه الحدود وهو متفق بأجمعه على هذا الاعتقاد » .

وبعد أن أفاض جلالته في هذا الموضوع عن « اعتقاد » العرب لئلا فيما بعد « تعارضهم انجلترة أو احدى حليفاتها » :

قال ما نصه :

« ولذلك نرى من واجبنا أن نؤكد لكم اننا سنطلب اليكم في أول فرصة بعد انتهاء الحرب ما ندعه الآن لفرنسا في بيروت وسواحلها » .

ولقد أجاب السير هنري مكماهون على ذلك بكتاب منه مؤرخ في ١٥ ذي الحجة سنة ١٣٣٣ (٢٤ تشرين الاول سنة ١٩١٥) فقال :

« انه يؤسفني انكم لاحظتم في كتابي الاخير وحديثي عن قضية الجدود شيئا من البرودة والتردد » وبعد الاعتذار عن ذلك قال فخامته :

« فأرسلت مضمون كتابكم الى الحكومة البريطانية وانه يسرني أن أرسل اليكم البيانات التالية التي أثق كل الثقة انها تفوز برضاكم – ان مرسين واسكندرون وبعض الاقسام السورية غربي دمشق وحمص وحماة وحلب لا يمكن أن يقال عنها انها عربية محضة » .

ثم قال فخامته :

« أما الاراضي التي تستطيع انجلترة العمل فيها بملء الحرية دون أن توقع ضررا بحليفتها فرنسا فان لي السلطة التامة بأسم حكومة صاحب الجلالة أن أعطيكم التأمينات التالية جوابا على كتابكم .

(١) « ان انجلترا مستعدة – على أساس تلك التعديلات – أن تعترف باستقلال العرب وتقديم المساعدة لهم في الحدود التي اقترحها شريف مكة » الى آخر تلك التعهدات .

ومن هذا ترون فخامتكم أن المقصود بتلك الحدود انما كان « سواحل لبنان » الذي « تدعه لفرنسا في بيروت وسواحلها » على أمل المطالبة بها « بكل تأكيد بعد انتهاء الحرب » وقد قبل السير هنري مكماهون ارجاء البحث في تلك الانحاء الى فرصة أخرى وشكر الملك العربي ما أظهر من حرص على دوام التحالف بين الحلفاء ثم قال في كتابه المؤرخ في ٩ صفر ١٣٣٤ (١٣ كانون الاول ١٩١٥) ما يأتي :

« أما بشأن ولايتي حلب وبيروت فحكومة بريطانيا قد فهمت كل ما ذكرتم بشأنهما ودونت ذلك عندها بعناية تامة ولكن لما كانت مصالح حليفتها فرنسا داخلة فيها فالمسألة تحتاج الى نظر دقيق وسنخابركم بهذا الشأن مرة أخرى في الوقت المناسب » .

وقد أكد جلالته ذلك في كتاب منه بتاريخ ٢٥ صفر ١٣٣٤ (١ كانون ١٩١٦) وأجاب عليه السير هنري مكماهون بتاريخ ٢٤ ربيع الآخر ١٣٣٤ (٣٠ كانون الثاني ١٩١٦) بقوله :

« أما ما يتعلق في الجهات الشمالية فقد كتبت ملاحظة عن رغبتكم في تجنب كل ما من شأنه الاساءة الى تحالف انجلتره وفرنسا » .

من ذلك ترون أن فلسطين لم يكن في عروبتها من شك ولم ينكر ذلك عليها أحد وان فرنسا لم تكن تطالب بها ثم انها من « البلاد التي تستطيع انجلترة العمل فيها بملء الحرية دون أن توقع ضررا بحليفتها فرنسا » .

اني لارجو ان تكون هذه البراهين الساطعة التي أدليت بها ناطقة مقنعة بأن فلسطين كانت داخلة في الحدود العربية التي اقترحها شريف مكة وان الجدال في أمر الحدود انما ثار عن بيروت وسواحلها رعاية للحليفة فرنسا وان البت في أمرها أرجيء الى فرصة أخرى لانها لم تكن عربية محضة على رأي السير مكماهون ومثلها مرسين والاسكندرون .

ثم ان هنالك أدلة أخرى غير المراسلات المنوه بها وهي تصريحات رسمية صادرة من حكومة صاحب الجلالة وأخرى منها ومن حلفائها معها واني لاشير الى التصريح المشترك الصادر في ٨ تشرين الثاني ١٩١٧ عن أغراض بريطانيا وفرنسا من الحرب ، ثم الى البرقية الصادرة في ٨ شباط ١٩١٨ من بريطانيا العظمى الى جلالة والدي جوابا على التحريات التي أرسلها القائد التركي في سوريا الى أخي المرحوم الملك فيصل والى شخصي والتي بعث بها والدي الى حكومة جلالة الملك فأثنت على وفائه كل الثناء وكررت وعودها بتأييد العرب واستقلالهم وكان القائد التركي قد عير العرب بأنهم يساعدون الجنرال اللنبي على فتح البلاد التي دافع عنها صلاح الدين واخراجها من أيدي المسلمين ولقد ثار الجيش العربي وضباطه عند وصول تلك الرسائل التركية ولم يستأنفوا جهادهم الا بعد ان تلقوا التأمينات المقتبسة من تلك البرقية المنوه بها وهذا بعض ما جاء فيها : —

« ومما لا يحتاج الى دليل ان السياسة التي تنسج عليها تركيا هي ايجاد الارتياب والشك بين دول الحلفاء والعرب الذين هم تحت قيادة وعظيم ارشادات جلالتكم قد بذلوا الهمة الشماء ليظفروا باعادة حريتهم القومية » .

ثم قالت البرقية : —

« ان حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى وحلفاؤها ما زالت واقفة موقف الثابت لكل نهضة تؤدي الى تحرير الامم المظلومة وهي مصممة على أن

تقف بجانب الامم العربية في جهادها لتبني عالما عربيا يسود فيه القانون والشرع بدل الظلم العثماني » .

ثم قالت البرقية : ـ

« ان حكومة بريطانيا العظمى تكرر وعدها السالف بخصوص تحرير الامم العربية وان حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى قد سلكت مسلك التحرير وتقصد ان تستمر عليه بكل أمانة وتصميم بأن تحفظ العرب الذين تحرروا من السقوط في وهدة الدمار وتساعد الذين لا يزالون تحت نير الظالمين لينالوا حريتهم » .

ثم ان هنالك برقية مرسلة الى جلالته من حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى عن يد مندوبه بمصر في ذلك الحين وهو (الشيخ فؤاد الخطيب) وذلك في ٨ حزيران سنة ١٩١٨ عندما احتج بأسم جلالته على معاهدة سايكس بيكو التي أذاعها البلشفيك فور استلامهم الحكم في روسيا وهذا نص تلك البرقية :

« ان البلشفيك لم يجدوا في وزارة الخارجية في بتروغراد معاهدة معقودة بل محاورات ومحادثات مؤقتة بين انجلتره وفرنسا وروسيا في أوائل الحرب لمنع المصاعب بين الدول أثناء مواصلة القتال ضد الترك وذلك قبل النهضة العربية وان جمال باشا اما من الجهل أو الخبث غير في مقصدها الاساسي وأهمل شروطها القاضية بضرورة رضى الاهالي وحماية مصالحهم وقد تجاهل ما وقع بعد ذلك من أن قيام الحركة العربية ونجاحها الباهر وانسحاب روسيا قد أوجد حالة أخرى تختلف عما كانت عليه بالكلية منذ أمد مضى » .

ثم انه عندما قدم الكولونل لورنس الى جدة لعقد معاهدة مع جلالة المرحوم والدي كانت قضية فلسطين بيت القصيد ـ وان في الوكالة البريطانية في جدة نص المفاوضة التي دارت بين المرحوم شقيقي الملك علي نائبا عن والده وبين الكولونيل لورنس تحت رقم ١٥٢١م ـ ٥١ فقد أثار الامير علي مسألة فلسطين وأجابه الكولونيل لورنس بأن الوفد الاسلامي المسيحي يتناقش في هذه اللحظة أي كانون الاول ١٩٢١ مع الحكومة البريطانية في مصيرهم السياسي بأنه لا يمكن أن يعمل أي تصريح عن فلسطين الى أن تظهر نتيجة المناقشات فاذا حصل الوفد على حل مرض لهم « فلا تبقى مسؤولية على الملك حسين » فوافق الامير علي على ذلك ثم قال : ـ

« واذا أخفق الوفد فالملك حسين يستأنف الدفاع عن مطالب العرب القومية في تلك البلاد أي فلسطين » .

ذلك ما عن لي الالمام به في هذه العجالة وانما أقول ان حق العرب في بلادهم فلسطين صريح لا يحتاج الى وثيقة أو وعد فهم أهلها منذ أجيال وفي اقامة متصلة فيها وانهم على رغم ما اجتاحهم من حروب وتكأدهم من خطوب لم يفرطوا فيها ولم يتحولوا عن شبر منها وان الذي أرجوه من فخامتكم الآن هو ان تثقوا ببطلان ما ذكرته الاذاعة من أن العهود المقطوعة لوالدي لم تتناول فلسطين وانه نفسه كان يعلم ذلك فان الحقيقة التي لا مرية فيها هي ما صرحت به وأقمت الدليل عليه من أن فلسطين كانت داخلة في العهود المقطوعة لوالدي الملك وانه لم يكن يعلم غير ذلك .

وأرجو أن تتفضلوا فخامتكم بطريقة من الطرق بتصحيح تلك الاذاعة التي نحتج عليها أو ارشادنا الى ذلك لنقوم به بالذات رعاية لحرمة الاموات وحرصا على حقائق التاريخ واقبلوا يا صاحب الفخامة فائق الاجلال والاحترام .

صديق فخامتكم المخلص

حديث سياسي شامل

رفع مؤلف الكتاب الى الفقيد في ربيع عام ١٩٤١ طائفة من الاسئلة حول الحرب العالمية وتطوراتها وموقف بعض الدول العربية فرد عليها بخطه الكريم بما يلي وقد نشر الحديث في جريدة الجزيرة ، ويرى القراء في الصفحة التالية نص هذا الحديث :

[illegible]

نص الحديث السياسي بوضوح

س ـ ما رأي سموكم في الموقف الحربي؟

ج - الرأي أبان عن نفسه فلقد انتهت الحرب اذ اصبحت المانيا ولا خصم لها في اوروبا بعد خروج فرنسا .. وبهذا فقد ختمت دور التقدم بالجيوش البرية .

س ـ ما رأيكم في الموقف بعد هذا؟

ج - أعتقد ان الحرب ستطول وان قهر بريطانيا بالجيوش غير ممكن ما دامت أساطيلها متحكمة في البحار وما دامت الامبراطورية تمد انكلترا وتشد ازرها وشعوب العالم تكره الحروب؟

س ـ ما هو رأي سموكم في موقف الامم الشرقية؟

ج - صرح الراي عن نفسه ، ان الامم الشرقية تسعى الى السلامة من اخطار الاعتداءات الاوروبية ولذلك تساعد الدول الدمقراطية التي قطعت في التفاهم معها شوطا طويلا للتخلص من قيود التحكم بشتى الصور ، وترى الخطر كل الخطر في سوء عاقبة الديمقراطيات عليها .

س ـ ما رأيكم في الاذاعات اليومية بالراديو؟

ج - اعتقد أنها تعبر عن سياسة مؤسسيها . وغالب ما يذاع لا ينبغي أن يتلقى كانه حقيقة واقعة الا ما يأتي في البلاغات الرسمية . وانني اعلق على الاذاعات المقصودة أهمية كبرى من حيث أنها تسبب للحكومات التي تنتمي اليها من الصعاب أكثر مما تؤمن لها من فائدة وبالاخص ما ينقل من اخبار الحرب وصور الحرب واشكال الحرب فما فائدة ذلك لان من المسلم به أن كل أمة تنشد الحرية وتريد البقاء وتجادل عن ذلك فلا بد وانها ستصادف دونه كما قيل (خرط القتاد) وانها سترمي فيه بأنواع وسائل الدمار ليؤمن كلا الطرفين الغلبة لنفسه . ان من المفروض أن الشعوب قد عرفت كيف تتقي هذه الشرور وكيف تتغلب على أعدائها .

أسس مشروع سورية الكبرى

« راجع الصفحة ١٣٢ »

اوافق على تنفيذ المواد الخمس واشير
الى لزوم شعور الحكومة بأمر كثير من الطلبات
مرغوب في منهجها بهم لمشاركة البلاد اوماني

[illegible]

تحت الطلب

روجت بعض الصحف شائعات غير صحيحة عن مشروع سورية الكبرى فرد عليها جلالته بكلمة تلطف بتوجيهها الى المؤلف جاء فيها :

بعد التحية عن صحيح السلام، لا صحة
لما في الاهرام، لا يمكنه ان نعلن حالا
نزعة البلاد، يوم يدعونا تحمل
اخواننا، انما اختصاصنا لكائنين
تحت الطلب .

جلالته يفصح عن رأيه في مشروع سورية الكبرى والجامعة العربية

« راجع الصفحة ١٣١ »

يا بشير ... جلالة أنت المؤتمن الحقيقي

يا بشير واني لا اريد سوى ما يحكى من المسؤول عن الدبلوماسية يا بشير دولة

لا اريد في الموضوع الاتحاد بين البلاد العربية ودول الاسلام من هذا الجمع

يا بشير وانه ما دفعني الى وضع المشروع ... او عنقاء الى لزم ما منه

المؤمنين من العرب لا يزال الوحدة على مواقفهم معنا وحسن ظنهم تماما كما انا لا ازال

على موقفنا معهم وحسن ظننا بهم يا بشير كيف صح لهم أن يسعوا في الحرب الاولى

وفي محنة الانتدابات وخسارة الحجاز ثم رجعوا على اعقابهم قصاصا وقوما

من اهتم ببلادنا ويكون ... ولكنه لا يزال الفضل من اهل البلاد وابنائه

وسوريا الشرقية يا بشير هم كانوا من الجنود فخير احوال المعارف والتصاريف

من التفاهم الحقيقي فذلك في بيتهم وانما احدهم وان ابوا ذلك فيا بشير

وانا قائد الصالح منهم التابع للحكمة لنجهد الى انقاذه الباطل ... ومحاربة

الفرقة ونبذ مفاهيم الانتدابات الجديدة بحثا نوجه الى من العرب وبوحي من

وحكام تيهم) او غيره ولو سعى بسياسة باني الجامعة وهو (...) ... كليا وهو

وبسوء وبؤس وزارة الشرق ومعهد الامارات كلها ... العلمية.

داشلت نزلت ١٤ منه ١٣٦٦

ترحيب الملك برجالات سورية

على اثر الانقلاب الذي قام به حسني الزعيم عام ١٩٤٩ اتصل بعض الزعماء السياسيين الاحرار في سورية بمؤلف هذا الكتاب معربين عن رغبتهم في النزوح الى الاردن اذا سمح جلالة الملك وكان معظمهم من المناوئين لسياسة جلالته وقد تفضل (رحمه الله) بتوجيه هذه الرسالة المذيلة بتوقيعه الكريم الى المؤلف :

الاستاذ تيسير ظبيان

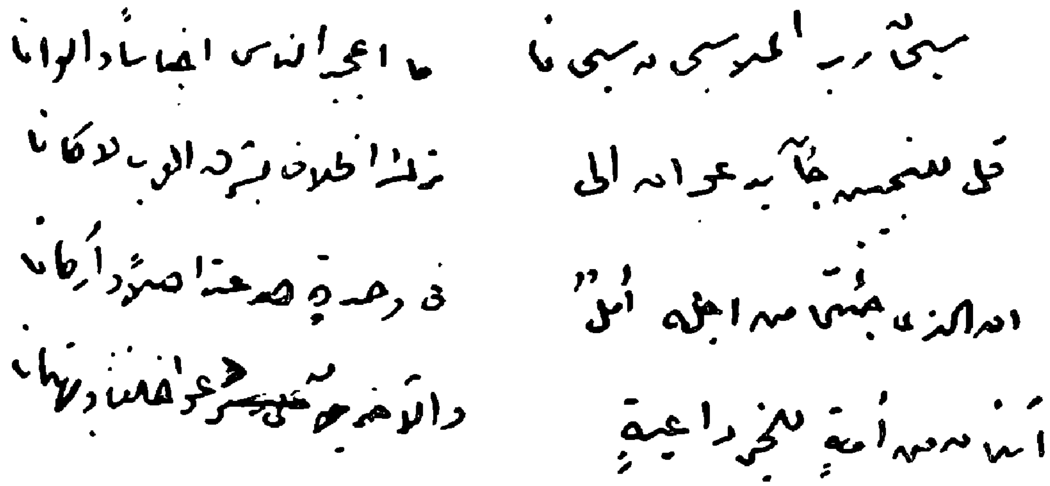
عزيزي

لا على أحد من رجالات سورية الذين يخشون
الأذى خاصة بسبب الانقلاب الأخير في أن
يلجأوا الى شرقي الأردن ومن المعلوم أن شرقي الأردن
حصن سورية الجنوبية على أن لا يخفى على الأذهان
انني قد اجبت مسألة البحث في وحدة سورية الطبيعية
من الشمال وفلسطين جنوبا لذلك انني من القائلين
بالوحدة السورية والراغبين إليها فاذا كان رجالات سورية
يريدون قطرهم العربي تحت هذا الضوء فمرحبا بهم واذا
ارادوا الالتجاء لدينا فمرحبا بهم على أن الجمهوريين
منهم ينبغي لهم أن ينشروا آراءهم في سورية الشمالية وأن يكتموا
نظام الحكم في سورية الجنوبية — ٢٦/٤/١٩٤٩

ابيات شعرية

ارتجلها الملك فى ثوان معدودة

جادت قريحة الملك الراحل بهذه الابيات الشعرية عندما استمع من المؤلف الى المساجلات الشعرية التي دارت بين الاستاذ عثمان عبيد قنصل مصر في عمان والاستاذ كامل شعيب العاملي الشاعر اللبناني المعروف والتي حضا فيها على ازالة الخصومات وضرورة التعاطف بين الشعوب العربية وقد كتبها الفقيد بخطه الكريم فجاءت عفو الخاطر (راجع الصفحة ٩٨) :


سبحان رب العرش سبحانا ... ما اعجب الناس اخلاقا والوانا
[illegible]

العدد ١٠١٧

جميع المخابرات ترسل باسم
محمد تيسير ظبيان
منشىء الجريدة ومديرها المسؤول
الادارة: عمارة شريم (طريق السلط)
تلفون: [١٣٢]
صندوق البريد [٢٢]

السنة الثامنة

قيمة الاشتراك
عن سنة في شرق الاردن ١٥٠ قرشاً فلسطينياً
عن ستة اشهر : ٧٥ قرشاً فلسطينياً
وفي البلاد الخارجية ضعف القيمة
الاعلانات: يتفق بشأنها مع الادارة

عمان : غرة شوال سنه ١٣٥٩ — الموافق ١ تشرين الثاني سنة ١٩٤٠

أمير البلاد

عطفه السامي على « الجزيرة » وصاحبها

وتحيته الى ديار الشام وبلاد الامارة والشعوب العربية

إن من المطبوعات الضار ؛ وإن منها النافع ، وعلى قدر ميول قراء تلك المطبوعات ينجم ضرر أو يكون نفع . ومن المطبوعات ايضاً ما يحصر الهم في الخدمة العامة للبلاد، ولتثقيف افكار العباد ؛ وفقاً لمنهاج خاص ؛ يختار لها ممن جعلهم الله في مرتبة الأب للأمة ، وهذه هي التي يركن اليها ؛ وينتظر الخير من ورائها . ولقد طلب الينا أن نضع كلمة بمناسبة تكرر الحول على خروج جريدة الجزيرة في عمان . وإنه لطلب محبب إلينا ؛ مقبول لدينا ، ليقيننا من إخلاص صاحبها ؛ وانتسابه إلينا ، فهو تيسير ظبيان ، ذلك الضابط المجاهد في الجيش العربي، وذلك الشهم الذي خدم التدريس في شرق الأردن ؛ مدة غير قصيرة ، وهو صاحب الجزيرة في الشام ايضاً . وما الشام ولا من بالشام ممن يجحد المفكر العاقل ما لهم من مكانة ومركز ، يجيء من فجر دخول ابي عبيدة وابن الوليد ، وهي العاصمة الاسلامية العربية ؛ التي سارت منها جيوش الفتح ؛ من الشرق الى الغرب . مقتحمة الصحاري والفيافي ؛ التي عجزت عن اقتحامها جيوش العصر الحاضر . ولا غرو فأولئك بعزمهم الى الامام الجهاد في سبيل الله ، والدعاية الى كلمة سواء، وهي : [لا إله إلا الله] ونشر العدل والمساواة بين البشر، من غير تفريق ؛ حيث قال الله تعالى : « يا ايها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ؛ إن أكرمكم عند الله أتقاكم » . فما من أمة يكون شعارها التقوى إلا ويكون التوفيق حليفها ؛ والفلاح نصيبها ، فتهدي الناس الى خيرهم ، آمرة بالمعروف ؛ ناهية عن المنكر ، وإن كلمتي هذه في الجزيرة ؛ هي ذكرى لماض لامع ساطع، أرجو أن ينجم لمعانه من هذه النقطة المباركة؛ ومن هذا البلد المبارك الميمون مرة اخرى ، ففيه كانت واقعة مؤته، وبه كانت واقعة زيزاء ، وبه كانت واقعة اليرموك والرملة ، وبها جال اولئك الفاتحون كأبي عبيدة ؛ وابن الوليد؛ ويزيد بن ابي سفيان ؛ وشرحبيل بن حسنة ؛ وعكرمة بن ابي جهل ، ومن تحت ايديهم من اشاوس ؛ قذفت بهم الجزيرة ليحتلوا هذه البلاد التي بارك الله حولها ، فالله أسأل أن لا تضل هذه الأمة ذلك الطريق ؛ وأن تمشي عليه ؛ وأن تنبذ سيئات الاخلاق؛ وقبيح التقليد ؛ الذي لم يعرض على ابنائها ؛ إلا بهدم طيبهم ؛ وأخذ خبيث الناس ؛ والعياذ بالله من ذلك .

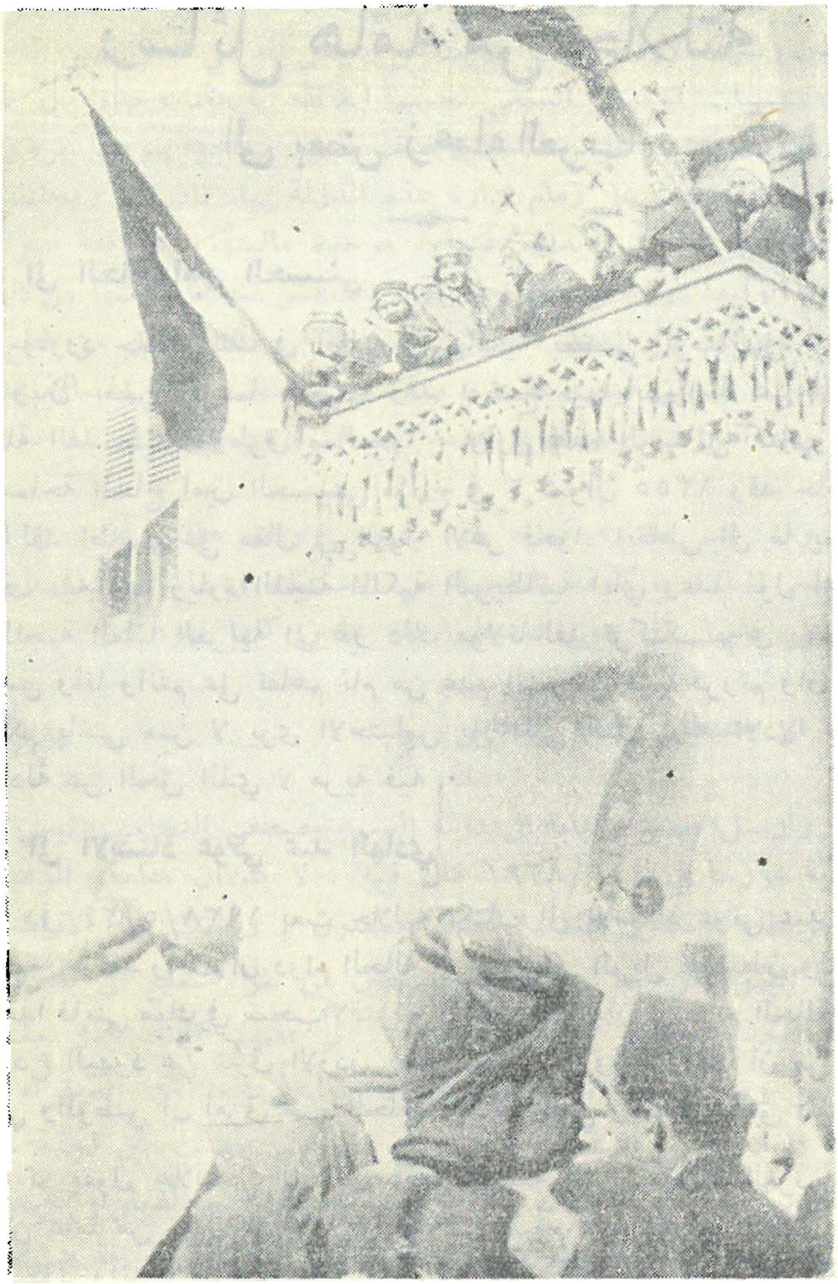
ومني السلام على الجزيرة ؛ وعلى من يقرأ الجزيرة ؛ وعلى من يهتدي بهدي السلف الصالح.

قصر رغدان في ٢٤ رمضان المبارك سنة ١٣٥٩

« عبد الله بن الحسين »

هذه نسخة مصورة من الصفحة الاولى من العدد الممتاز الذي اصدرته جريدة الجزيرة في اواخر عام ١٩٤٠ وقد توجت بكلمة الفقيد

« راجع الصفحة ٦٣ »



نختتم الكتاب بهذه الصورة التاريخية وهي تمثل جماهير الشعب التي هرعت الى الديوان الملكي للترحيب بجلالة الملك الحسين بن علي لدى وصوله الى عمان في ١٩٢٩/١/١٨
وقد ظهر في الصورة : الملك عبدالله والى يساره حسن خالد الصيادي رئيس الحكومة الاردنية وموسى كاظم الحسيني الزعيم الفلسطيني المعروف

رسائل هامة من جلالته
الى بعض زعماء العرب

كتاب الى الحاج أمين الحسيني

وأورد جلالة الملك في أماليه السياسية بعض الرسائل المتبادلة بينه وبين بعض الزعماء العرب وقد اوضح فيها بصراحة عن أرائه في المشكلة الفلسطينية وطرق معالجتها · وأولى هذه الرسائل كتاب وجهه الى سماحة الحاج أمين الحسيني مؤرخ في ٢ شوال ١٣٥٥ وقد جاء فيه :

لقد اطلعت على مقال في اللواء الاغر فحواه ايقاظي الى ما يجب أن أتصرف فيه عند زيارة اللجنة الملكية البريطانية اياي وعدم قول أي كلمة عن اللجنة العليا العربية الى غير ذلك مولانا لقد تركتكم في رمضان بالقدس وأنا وأنتم على تفاهم تام من عدم التعرض فيما قررتم وان كنت أفهمتكم بأنني ممن لا يرى الاحتباس بل انني كنت اريد الادلاء بالحجج والمجادلة عن الحق الذي لا مرية فيه ·

كتاب الى الاستاذ عوني عبد الهادي

وفي ١٩٣٨/٥/٢٤ بعث جلالته بكتاب الى الاستاذ عوني عبد الهادي قال فيه : ولقد رأيت أن دوام الحالة الراهنة هي الويل لفلسطين وللعرب ، عدا هذا فانني معك في سحب الاقتراح اذا أقنعتني بأن في دوام الحالة الراهنة ما يردع اليهود عن شرق الاردن بعد فلسطين · ولقد رأيت أن من واجبي الديني والوطني أن أمزق هذه الحلقة المحكمة التي وضعت لخنق أنفاسي ·

ثم يقول جلالته : لو كان في السياسة التي تعقبتها العرب منذ عشرين عاما من تأثير لما امتلأت فلسطين اليوم بما يقارب النصف مليون من اليهود وانه لا يوجد منهم في شرق الاردن شخص واحد ·

كتاب الى الدكتور عبد الحميد سعيد

وبتاريخ ١٩٣٨/٦/٥ أرسل جلالته كتابا الى الدكتور عبد الحميد سعيد رئيس جمعية الشبان المسلمين بمصر يرد فيه على كتاب تلقاه منه وقد قال جلالته في كتابه : لقد وفقت الى ايجاد حكومة شرق الاردن مع استثنائها من تصريح بلفور الذي كان قد شملها لان عهد سايكس بيكو جعلها ضمن منطقة النفوذ البريطاني وذلك من أحد سبقني ·

ثم دافع جلالته عن المشروع الذي كان قد أعلنه عن ضرورة توحيد فلسطين وشرق الاردن وقال : رأيت من واجبي الديني الذي أدين الله عليه ، ومن مقتضيات قوميتي السعي لحسم الغائلة بايجاد وحدة بين فلسطين وشرق الاردن فتزيد نفوس فلسطين نصف مليون من اخوانهم هنا كرة واحدة ، فوق أنهم يقبضون على زمام ادارة هذه الدولة بيد قادرة ، ومجلس نيابي يمثل الامة ، وبجيش يدافع عنها ، موحدة ماليتها ، مراقبة سواحلها ، موصدة أبوابها دون كل هجرة سرية ، فتتنفس تنفسا يمكنها من التماسك ويمكن اخواتها من الدول الشرقية المجاورة الى ذلك الحين من قطع شوط غير قصير ، تتوثق فيه صلاتها ، وتشتد روابطها فتعالج المسألة عند ذلك بعين أبعد نظرا ، وبيد أقوى عضدا مع فكرة موحدة ٠

وقد ختم جلالته كتابه هذا بقوله : ولقد هالني أن أرى الاجماع على عدم المبالاة بالكارثة الناجمة عن الاستيلاء وابقاء الحالة الحاضرة التي هي سبيل الى جعل فلسطين بعد عامين كلها يهود ٠

كتاب الى مصطفى باشا النحاس

وأرسل جلالته كتابا الى دولة السيد مصطفى النحاس رئيس الوزارة المصرية مؤرخا في ١٩٣٨/٦/٤ قال فيه : لا بد أن مقامكم الرفيع اطلع على خريطة لفلسطين عملتها لجنة سمسون ، وعلمت على الاراضي التي تملكها اليهود من العرب فجعلت فلسطين من بئر السبع الى بحيرة الحولة كوجه المجدور معلمة بعلامات صفراء ، ثم علمتم كذلك بما فعلته لجنة بيل من وضعها على تلك الخريطة علاوة على العلامات الصفراء علامات قاتمة دليلا على ما استملكه اليهود في المدة التي مضت بين لجنة سمسون ولجنة بيل ، وأن العلامات القاتمة بنسبة العلامات الصفراء تقيس قدر الثلث ٠ وعلى هذا النمط متى بقيت الحالة الراهنة على ما هي عليه من دوام الانتداب الحاضر وحمايته لوعد بلفور ، واستمرار العرب في بيع أراضيهم ، واستمرار الآخرين الذين ينتفعون من الرئاسة السياسية الكاذبة بالبكاء والعويل سوف تذهب فلسطين لا يمكن الحصول عليه الا بالقوة ، وان هذه ليست موجودة بيد العرب اليوم بكل أسف ، فمن واجب كل ذي حمية أن يسعى لتحديد الخطر وتوقيفه ثم يعاد النظر في ازالته كليا ٠

محتويات الكتاب

صفحة	

صفحة	

★